شرح بلوغ المرام

حق المسلم على المسلم

السلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال المؤلف رحمه الله تعالى:

كتاب الجامع، باب الأدب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه رواه مسلم .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.. فأسأل الله لي ولإخواني العلم النافع، والعمل الصالح، والإخلاص والسداد في القول والعمل بمنه وكرمه آمين.

"كتاب الجامع" هذا الكتاب ختم به المصنف -رحمه الله- هذا الكتاب، وما أحسنه من ختم لهذا الكتاب، وهذا الجامع يجمع آدابا كثيرة.

وسمي الجامع لأنه جمع آدابا كثيرة في أبواب عدة، منها باب الأدب، وباب البر والصلة، والزهد والورع، والترغيب في مكارم الأخلاق، والترهيب من مساوئها، والذكر والدعاء.

فهذه الأبواب الستة سميت بالجامع؛ لأنها جمعت هذه الأبواب، من حيث الجملة، ومن حيث التفصيل، فإن فيها أحاديث هي من جوامع الكلم، تجمع آدابا يشرع لكل مكلف أن يتأدب بها، خاصة طالب العلم فإنه محل القدوة، والنظر والقدوة والاقتداء، فإنه يزين علمه بالعمل، وبالسمت الصالح، والهدي الصالح، والأخلاق الحسنة، وهذا من أهم المهمات في طالب العلم، وخاصة في مثل هذه الأوقات، مع

.....

كثرة الشر، وعدم الأخذ بآداب النبوة وأخلاقها، والهيشات والطيشان في الأسواق والطرقات والمجامع، فيشرع لطالب العلم أن يتخلق وأن يتأدب بهذه الآداب ما استطاع.

ومنها آداب واجبة، منها آداب مستحبة، وقد كان المتقدمون ربما وضع بعضهم كتابا خاصا في هذه الآداب، مثل ابن أبي زيد القيرواني –رحمه الله– له كتاب اسمه الجامع في السنن والآداب والأحكام والأخلاق، أو نحو هذا –رحمه الله– كذلك أيضا ابن عبد الهادي في المحرر –رحمه الله– ختم كتابه المحرر بكتاب الجامع.

وهذه الأحاديث التي ذكرها المصنف أحاديث مختارة بعناية؛ من جهة الأخذ بمجامع الأخلاق ومكارمها، ومعاليها، حتى يجتنب سفسافها ودنيئها.

وحديث أبي هريرة ﷺ الذي صدر به المصنف – رحمه الله– وهو عند مسلم: " حق المسلم على المسلم ست " وفي الصحيحين: ﴿ خمس تجب للمسلم على المسلم، إذا دعاك فأجبه، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا لقيته فسلم عليه ﴾ وهذا فيه زيادة: ﴿ إذا استنصحك فانصحه ﴾ والأحاديث في هذا ربما أتت في كثير من الأخبار بذكر ست أو خمس، مثل: ﴿ أعطيت خمسا ﴾ في الصحيحين، يعني شبيه بهذا، وفي صحيح مسلم ست: ﴿ أعطيت ستا ﴾ وفي حديث حذيفة: ﴿ فضلنا على الناس بثلاث ﴾ وأحاديث في هذا الباب.

ولا تنافي؛ لأنه من باب مفهوم العدد كما يقولون، ولا مفهوم له عند الجمهور، أو أنه له مفهوم حال الإخبار، وإن كان هذا هو الصحيح من قولي أهل الأصول أن مفهوم العدد معتبر؛ لأن منه ما هو معتبر بالاتفاق، ومنه ما هو موضع خلاف.

لكن كان –عليه الصلاة والسلام– يخبر في زمان ثم بعد ذلك يكرمه الله –سبحانه وتعالى– ويزيده ويزيد أمته من الخصائص التي تميزهم عن الأمم قبلهم، وكذلك أيضا يزيدهم خصالا، ومكارم أخلاق يتحلون بها ويتخلقون بها، ولا كلفة فيها ولله الحمد، بل هي تدعو إليها الجبلة والفطرة والخلقة.

فغالب هذه المجامع، هذه الأخلاق والآداب؛ ليست من باب التكليف، بل هي في الحقيقة تدعو إليها الفطرة وتدعو إليها العقول السليمة، وإن كان كل ما في الشريعة لا يقول العقل: ليته أمر بشيء

.....

—

لم يأمر به، ولا يقول: ليته نهى بشيء لم ينه عنه، لكن هنالك أشياء يكلف بها ويؤمر بها، هنالك أشياء بطبيعته هو يحبها وتدعوه نفسه إليها؛ لأن الله جبله عليها وركبه عليها سبحانه وتعالى.

فلهذا تجتمع جبلة الفطرة وأمر الشارع، فما أحسن اجتماعهما والتئامهما، فيعمل ويؤجر بما فطره الله –سبحانه وتعالى– عليه، وجبله عليه، فلله الحمد أولا وآخرا.

وهذا الحديث كما تقدم ربما جاء في بعض الأخبار زوائد تدل على جمل من الأخلاق يشرع للمكلف أن يتخلق بكل خلق جميل، وهذه الأخلاق بينها العلماء وتكلموا عليها، وفيها من المسائل وفيها من شريف العلم الشيء الكثير، لكن حسبنا أن نشير إلى ما جاء في كلامه –عليه الصلاة والسلام– فهو شاف كاف في المقام.

"إذا لقيته فسلم عليه" وهذا من أعظم الخصال، وهو السلام، والسلام اسم من أسماء الله كما ثبت بذلك الخبر، من حديث أبي هريرة: ﴿ السلام اسم من أسماء الله فافشوه بينكم ﴾ وجاءت الأخبار الكثيرة بالأمر بإفشاء السلام.

في الصحيحين من حديث البراء بن عازب: ﴿ أمرنا رسول ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع؛ بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم، وإبراء المقسم ﴾ والشاهد قوله: "إفشاء السلام" أمر بإفشاء السلام.

وثبت هذا المعنى في عدة أخبار من حديث البراء أيضا عند أحمد، ومن حديث عبد الله بن عمرو: ﴿ أفشوا السلام ﴾ فلهذا جاءت الأخبار كالعيان في الأمر بإفشاء السلام، والأحاديث في هذا كما تقدم كثيرة.

ولهذا أمر بالسلام إذا لقي أخاه، وأمره بالسلام إذا فارق أخاه، وأمره بالسلام إذا لقي جماعة، بل إنه يشرع له أن يسلم على أخيه كلما لقيه ولو فرقت بينهما شجرة أو حجر، كما روى أبو داود بإسناد جيد أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حال بينهما شجرة أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه ﴾ وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: ﴿ كنا إذا كنا مع النبي –عليه الصلاة والسلام– نمشي فإذا فرق بيننا جدار أو شجرة، فلقي بعضنا بعضا سلم بعضنا على بعض ﴾ .

وهذه السنة، ربما ضعف كثير من الناس عن العمل بها، والواجب هو الاجتهاد فيها، بل ربما استثقلها بعض الناس إذا أكثرت عليه من السلام، مع أن السلام كله خير وهدى وصلاح، فيه كثرة الخير، وكذلك يحصل به من الخصال الدينية والدنيوية الشيء الكثير، وهو تحية آدم وذريته، هو التحية، وهو التحية لبني آدم في الدنيا، وهي تحيتهم في الجنة: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ﴾ [1]

.

ثم السلام الصحيح أنه واجب ابتداء، أما رده فهذا محل اتفاق من أهل العلم: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [2] فالرد واجب، والفضل مستحب، العدل واجب في كل شيء، يجب، وأعظم العدل أن ترد مثل تحيته، أما الفضل والزيادة فهو سنة، مستحب.

وفي هذا الحديث المشهور عن عمران بن حصين عند أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهما في أنه ﷺ لما قال جاره: السلام عليكم، قال: عشر، والآخر قال: عشرون، والآخر قال: ثلاثون ﷺ الحديث بطوله، ولهذا كان ابتداؤه على الصحيح واجبا بظواهر الأوامر: ست حق المسلم على المسلم.

ولهذا أوجب الفقهاء أمورا بنصوصٍ لا تصل إلى قوة هذه الأوامر أوجبوها، بل عليها جمهورهم، بل ربما حكي الاتفاق عليها، وهذه النصوص أولى أن يجب فيها، أن يجب السلام للأمر بها، ولهذا إذا كانت إجابة الدعوة واجبة وهي محل اتفاق من أهل العلم على خلاف بين وليمة النكاح وسائر الولائم، فالسلام من باب أولى أن يكون واجبا، أرأيت لو لقيت أخاك في طريق ولم تسلم عليه، ولم يسلم أحدكما على الآخر، فإنه يقع في قلبه من الوحشة والانكسار من كونك لم تسلم عليه، ما لا يقع فيما لو لم تجب دعوته، أنت لو لم تجب دعوته قد يعذرك، يقول: لعله كذا، يعذرك، لكن ما عذرك إذا لم تسلم عليه. مئونته سهلة، وكلام طيب وحسن، ما عذرك؟ ليس هنالك عذر. لكن لو غفل أو نسي فهذا أمر آخر، لكن الشاهد في الأمر بإفشائه كما تقدم.

- ١سورة الأحزاب آية : ٤٤.

- ٢سورة النساء آية : ٨٦.

" إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه" كذلك أيضا الدعوة وإجابة الدعوة، دعوة أخيك المسلم، وهذا ثبتت فيه الأخبار من حديث ابن عمر: أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتم إليها

.....

وكذلك حديث أبي هريرة في الصحيحين: ﴿ شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويمنعها الفقراء ﴾ وفي لفظ: ﴿ يمنعها من يأتيها، ويدعى إليها من يأباها ﴾ .

وصرح في مسلم برفعه، أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ شر الطعام طعام الوليمة ﴾ صرح بذلك، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر: ﴿ أجيبوها عرسا كان أو نحوه ﴾ وجاءت في هذا أحاديث حديث زهير بن عثمان النميري من حديث عبد الله بن مسعود، ﴿ أنه أول يوم حق، وثاني يوم سنة، وثالث يوم سمعة ورياء، ومن سمع سمع الله به ﴾ .

فهي واجبة من حيث الجملة، لكن خلاف الجمهور مع غيرهم هل هو عام في كل الدعوات أو هو خاص بدعوة الزواج، ولا شك أن عموم الأدلة يدل على وجوب إجابة الدعوة إلا من عذر.

﴿ وإذا استنصحك فانصحه ﴾ كذلك أيضا إذا استنصحك فانصحه، فالنصيحة واجبة إذا طلب النصيحة، قال –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ الدين النصيحة ﴾ رواه مسلم. عند أبي داود كررها: ﴿ الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة ﴾ كررها ثلاثا. وفي حديث جرير بن عبد الله في الصحيحين أنه قال: ﴿ بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم ﴾ قرن النصح بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وكذلك هي من خصال أهل الإيمان: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [1] هذه خصال أهل الإيمان، يتناصحون، يأمر بعضهم بعضا، وينهى بعضهم بعضا، فالنصيحة واجبة.

ثم الصحيح أن النصيحة واجبة ابتداء لظاهر الأوامر، إذا رأيت أخاك على أمر لله حق فيه عليك أو عليه؛ وجب عليك أن تنصحه؛ لأنه من عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كانت النصيحة في أمر مستحب فهي مستحبة، وإلا فهي واجبة، ولا يخلو أي واحد من نقص في تفريط في

- ١سورة التوبة آية : ٧١.

.....

حق من حقوق الله، وكيف يزول النقص بغير نصيحة، لا يمكن، إذا لم ينصح بعضنا لبعض، أما إذا طلب النصيحة فإنها واجبة ولأنها لا مئونة فيها، دعاك إلى رشد ودعاك إلى خير، فيجب عليك أن تنصح له.

"وإذا عطس فحمد الله فشمته" سيأتي هذا أيضا الإشارة إليه في أخبار ستأتي في ذكر العطاس ووجوب التشميت على الصحيح لظواهر الأدلة الكثيرة في هذا الباب، وأنها من أعظم خصال أهل الإيمان التي يدعو بعضهم لبعض فيها.

" وإذا مرض فعده " كذلك إذا مرض فعده؛ لأنه من حق المسلم على المسلم ﴿ خمس تجب للمسلم على المسلم ﴾ في حديث أبي موسى في صحيح البخاري: ﴿ عودوا المريض، وفكوا العاني، وأطعموا الجائع ﴾ .

وكذلك حديث البراء بن عازب: ﴿ إذا مرض فعده ﴾ قال: كان يأمرنا. وأصل الأوامر على الوجوب هذا هو الصحيح من كلام أهل الأصول. إذا جاء أمر في الشريعة فالأصل فيه الوجوب.

أما قول بعضهم: إن ما كان في مال الإنسان وفي حقه الذي يتصرف فيه فإنه لا يجب، وما كان من باب الأدب فلا يجب. فهذه قاعدة ضعيفة مخالفة للأدلة الصحيحة، بل من الآداب ما هو واجب بالاتفاق، مثل بعض آداب الخلاء، والنصوص تدل على هذا مثل بعض آداب الأكل في النصوص، لا فرق فيها في الوجوب في الأحكام وكذلك في الآداب، بل ربما كانت الآداب أشد؛ لأن في الغالب أن الآداب تتعلق بعلاقة المكلف مع الآخرين، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان يأمر بها، ولم يستثن شيئا.

ولهذا نص الشافعي –رحمه الله– في بعض كلامه في بعض رسائله في كتاب الأم، على أنه يجب مثل هذه الأشياء، بل نص –رحمه الله– على أنه لا يجوز الأكل من أعلى القصعة، من أعلى الطعام، حديث ابن عباس: ﴿ كلوا من حواليها، ودعوا ذروتها؛ يبارك الله فيها ﴾ وقال: إنه لا يحرم الطعام، لو أكل من أعلاها، لا أقول إنه يحرم لكنه أساء، وبين أنه يجب أنه يجب ذلك وأنه واجب عليه.

وقد أحسن الشافعي –رحمه الله– لكن تجد أصحابه لا يأخذون بها مع أنه في كتاب الأم وهو من الكتب المتأخرة من القول الجديد، وأنت إذا تأملت أقوال أهل العلم المتقدمين تجد أن الأئمة الكبار

.....

—

-رحمة الله عليهم- في مثل هذا على ما جاءت به ظواهر النصوص، وترى المتأخرين يتأولون ويحملون على أمور ومحامل هي موضع نظر.

وهكذا عن الإمام أحمد -رحمه الله- ولهذا ترى هذا في كلام الصحابة -رضي الله عنهم- حينما يبطلون ويحرمون العقود بظواهر الأمور، إذا أبطلوا شيئا أو حرموا شيئا قالوا: نهى عن ذلك رسول الله ﷺ أو أمر بذلك رسول الله ﷺ هكذا يقولون: سمعنا وأطعنا.

وكذلك أيضا فالمقصود مثل ما تقدم في مسألة "إذا مرض فعده" لكن أحكام العيادة لها أحكام كثيرة، وهذا من حيث الجملة في حكم العيادة " وإذا مات فاتبعه" وهو اتباع جنازة الميت، وهو حق لأخيك المسلم عليك، وإذا كان لم يقم به أحد غيرك فإن هذا واجب متعين، مثل ما نقول في غسله إذا لم يوجد من يغسله، أو في كفنه إذا لم يوجد من يكفنه، وهكذا، نعم.

النظر إلى من هو أسفل في أمور الدنيا

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ﴾ متفق عليه .

—

نعم، وهذا الحديث فيه الأمر بالنظر إلى من هو أسفل في أمور الدنيا، ولهذا يفسره اللفظ الآخر في صحيح مسلم: ﴿ إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في الخلق والمال فلينظر إلى من هو أسفل منه ﴾ يعني إذا نظر إلى من هو مفضل عليه في المال والخلق والجاه، والمنصب فلينظر إلى من هو دونه؛ لأنه لا يخلو إنسان أن يكون من هو دونه ممن يعاشره ويخالطه. فقال: فهو أجدر. يعني أحرى، أن لا تزدروا نعمة الله عليكم.

ولهذا النظر الصحيح هو نظر أهل الإيمان للنظر إلى أهل الإيمان، بأن تنظر إلى أهل الإيمان، ففي أمور الدنيا وزخارفها تنظر إلى من هو أسفل منك، فإن هذا يدعوك إلى أن تشكر نعمة الله ﷻ لا تزدري نعمة الله عليك، لكن إذا كان حال الإنسان يقول: فلان يملك الأموال فلان يملك كذا، وفلان، وهو يقول: أنا ليس عندي إلا كذا، هذا في الحقيقة قد يكون نوعَ إعراض عن الشكر فهو بدل أن يشغل نفسه بشكر الله ﷻ شغل نفسه بالنظر إلى من فضل عليه في هذه الأمور، ففتح أبواب الشياطين عليه، وتسويلهم ربما يسوقه إلى ما هو أعظم وأكبر.

ثم نسي أن ينظر إلى من هو أعلى منه في الدين والعلم والدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخصال الخير، وأخلاق أهل الجود والكرم والشجاعة، وخصال الخير والمعروف وما أشبه ذلك.. الخصال الكثيرة، لا تحصى، هذا هو الواجب، ولهذا هذا هو محل نظر الله عز وجل.

على المكلف أن ينظر يكون نظره إلى ما أمر الله -سبحانه وتعالى- بالنظر إليه وهو محل نظر الله ﷻ ﴿ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ﴾ كما رواه مسلم في الصحيح، ولهذا من ينظر إلى هذه الأشياء فإنه كما تقدم، وفي الحديث سبب

إلى ازدراء النعمة، لكن حينما يكون نظره إلى خصال الخير وهي التي محط نظره –سبحانه وتعالى– ومحل نظره

.....

—

-سبحانه وتعالى- هو النظر إلى القلوب؛ لأن المقام مقامها وعليها المعول وهي الأمر الآخر والأول؛ لأنها هي التي تدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

وفي الحقيقة أنت حينما تنظر إلى أهل الدنيا ليكن نظرك نظر عطف ورحمة، ولهذا ترى المسددين الموفقين ينظر إلى أهل الدنيا الذين لم يصرفوها إلى رضاه -سبحانه وتعالى- نظر عطف ورحمة، يرحمهم في الحقيقة، مساكين، مغرر بهم، لا يغبطهم، يعلم أنهم حينما فتنوا بهذا المال ولم يستخدموه ولم يجعلوه في طاعة الله، فإنه وبال، وإنه إمهال، كما في الحديث: ﴿ إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴾ .

والظلم يكون بالظلم في المال، والظلم في العمل، والظلم بظلم الآخرين، في أي أمر من أمور الدنيا، بل يحمد الله -سبحانه وتعالى- على ما قسم الله -سبحانه وتعالى- ولا يدري لعله لو حصل له مثل ما حصل لفلان أن يفتن، وفي حديث أبي كبشة الأنماري عند الترمذي وغيره بسند جيد: ﴿ إنما الدنيا لأربعة نفر ﴾ الحديث بطوله.

وفي حديث ابن عمر، وفي حديث ابن مسعود في الصحيحين، وحديث أبي هريرة في صحيح البخاري بين النبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وعلما ﴾ في حديث ابن مسعود: ﴿ آتاه الله الحكمة، ورجل يقول: لو أن لي مثل ما له لعملت مثل ما عمل ﴾ يعني يغبط فلان، يغبط فلان على عمله، هذا هو النظر الحقيقي بأن يغبط أهل الإيمان والدين والعلم وخصال الخير على ما هم فيه من الخصال؛ حتى يعمل بهذه الأعمال.

فإذا حسنت نيته وصدقت، ولو أنه حصل له ما حصل لهم لعمل مثل ما عملوا فإن الله -سبحانه وتعالى- يبلغه تلك المنازل، لكن خلاف بين أهل العلم هل يبلغه منازلهم مع تمام العمل، بمعنى أن يبلغ بالنية والمضاعفة، أو يبلغ بمجرد نيته وله أجر بذلك لكن مضاعفة العمل يكون عمله كعملهم، هذا موضع نظر، وإن كان ظواهر الأدلة يدل على أنه يبلغ مثل عمل هؤلاء تماما سواء بسواء.

ولهذا حديث أبي كبشة الأنماري ﴿ فهما سواء ﴾ فهو بمنزلته فهما سواء، وجاءت أحاديث أخرى تدل على هذا المعنى، المقصود أن هذا هو الواجب في نظر العبد حينما ينظر إلى من فضل في الخلق والمال، وأنه ينظر إلى من فضل عليه في خصال الخير كما في هذا الخبر، نعم.

البر حسن الخلق والإثم ما حاك في الصدر

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: ﴿ البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ﴾ أخرجه مسلم .

—

نعم حديث النواس بن سمعان ﷺ "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في النفس –أو في نفسك– وكرهت أن يطلع عليه الناس" حديث وابصة بن معبد عند أحمد والدارمي: ﴿ البر حسن الخلق ﴾ في لفظ: ﴿ جئت تسأل عن البر والإثم، البر حسن الخلق، أو فقال: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك ﴾ .

وفي حديث، هو حديث جيد، وفي حديث أبي ثعلبة الخشني وكذلك لا بأس به، عند أحمد –رحمه الله– أنه قال: ﴿ البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب ﴾ وفي حديث أبي أمامة أيضا عند أحمد أنه سأله لما سأله عن الإثم، قال: ﴿ إذا حاك شيء في صدرك فدعه ﴾ .

جاء في هذا المعنى أخبار عن النبي –عليه الصلاة والسلام– لكن فيها ضعف، وهذه الأخبار هي أجودها، وأجودها وأصحها حديث النواس، ثم يليه حديث أبي ثعلبة الخشني، ثم رواية وابصة بن معبد، وكذلك حديث أبي أمامة، لكنه من باب الحسن لغيره في الشواهد.

وثبت عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: إياكم وحواز القلوب، وهي الحكاكات التي تحك في القلب وتحك في النفس. فالأخبار اتفقت على تفسير البر والإثم، وإن اختلفت في اللفظ لكنها متفقة في المعنى.

"البر حسن الخلق" والبر يطلق على معاملة الخلق بمحاسن الأخلاق والأعمال بالإحسان إليهم وصلتهم وإكرامهم وأمرهم ونهيهم وبذل المعروف لهم، وبذل الخير لهم، والاجتهاد.

.....

—

كما قيل: بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه. هذا هو البر. فسره بعضهم: بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه. ويروى عن بعض السلف، ابن عمر وغيره، أنه قال: البر شيء هين؛ وجه طليق، وكلام لين.

هذا هو البر، ما يكلفك شيء، أمر فعلي، وأمر قولي، وجه طليق وهو الابتسام: ﴿ وتبسمك في وجه أخيك صدقة ﴾ في اللفظ الآخر عند أحمد بإسناد لا بأس به: ﴿ وأن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه ﴾ ووجهك يعني بجميع وجهك منبسط إليه.

حينما توقع السرور في نفس أخيك وتتقرب إلى الله بذلك، وهذا من أعظم الحسنات؛ لأن سرور النفس من مصالحها في الدنيا، حينما تسرّ، كذلك يسر أخوك وتسر أخاك. ثم هو أيضا يكون سببا في الخير لك عند الله عز وجل.

وكذلك البر في معاملة الله ﷻ وعلى هذا يشمل جميع أنواع الطاعات، فشملت كلمة البر جميع أعمال الخير؛ لأن البر في أصلها من الاتساع ومنه البَر لاتساعه سمي بر، ومنه البُر حب البُر سمي بُرا لكثرة منافعه، ومنه البِر. والبَر، واسمه –سبحانه وتعالى– البَر.

فهذه الكلمة في اشتاقاقاتها وفي مواردها ومصادرها تدل على الاتساع في الخير، في كل ما تطلق عليه، ومنه بر الوالدين، سمي بر الوالدين برا حتى يجتهد المكلف في جلب أنواع الأعمال التي تسرهم، ويحسن بها إليهم، من أقوال وأفعال، وكذلك الإحسان إليهم بنفقة ونحوها، في جميع أعمال البر، وكذلك ما يعامل به ربه سبحانه وتعالى.

" البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس ". وهذه كلمة من جوامع الكلم، وهي تتفق مع قوله –عليه الصلاة والسلام– في حديث النعمان بن بشير أنه قال: ﴿ من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ﴾ وهكذا كلامه –عليه الصلاة والسلام– يتفق يفسر بعضه بعضا ويلتئم حتى يكون شيئا واحدا، لكن الشأن في معرفة كلامه– عليه الصلاة والسلام– خلاف ما عليه أهل الضلال الذين همهم إيراد الشبهات، وأن يصدم النصوص بعضها ببعض، ويعارض بعضها بعضا، لكنها مؤتلفة متفقة؛ فلهذا قال في اللفظ الآخر أنه أمر بالاستبراء، بأن يستبرئ: ﴿ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ﴾ .

وهذا الخبر وهو قوله: ﴿ الإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس ﴾ جمع الحرام البين والحلال البين والأمر المشتبه بهذه اللفظة، الحلال البين والحرام البين والأمر المشتبه؛

لأنه قال: ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس. فالشيء إذا اجتمع فيه أمران، حاك في النفس يحك في

.....

الصدر يجد حرج وضيق، ثم هو عند الناس أمر مستنكر، هذا لا يكون إلا أمرا اشتهر بأنه من الأمور المحرمة؛ لأنه وجد حرجا وضيقا ثم عند الناس يعلمون أنه من الأمور التي تستنكر.

ولا يشتهر ولا يستنكر إلا الأمر المحرم، وهذا لا يكون إلا في المحرمات من الربا والزنا وشرب الخمر والكذب والنميمة، ولهذا سماه إثما، والإثم لا يكون إلا في أمر ظاهر تحريمه، ولا يكون في أمر مشتبه، وقابله بالبر ويفهم منه ما يقابله وهو ما انتفى عنه الأمران وهو ما لم يوجد فيه حرج ولم يكن مستنكرا، فانتفى الأمران.

هذا لا يكون إلا في الأمور التي تظهر من أعمال البر والخير ومن المباحات التي يعملها الإنسان ويظهرها ولا يستخفي بها؛ لأنها ظاهرة ولا تستنكر، بل هي إما مأمور بها مثاب عليها، أو مسكوت عنها؛ لأنها مباحة مثل سائر الطاعات من زكاة وصلاة وصوم وحج، وجميع أعمال البر، وكذلك سائر أنواع المباحات من شرب وأكل ولبس في غير محرم.

ثم يحصل بين ذلك مرتبتان، وهما الشبهة، وهو ما حاك في النفس ولم يستنكره الناس، ليس فيه استنكار، لكنه حاك في النفس وليس أمرا مستنكرا، أو استنكره الناس ولم يحصل في نفسه تردد ولا ضيق، فهذه مراتب كثيرة وهي مراتب الشبهات، وتقوى وترتفع بحسب قوة الشبهة، وبحسب ضعفها، يقوى ما يحيك في النفس، ثم ربما وصل إلى درجة الحرام، وربما ضعف ويكون إلى درجة الحلال.

ثم تحت هذا مسائل كثيرة وهي أنه يختلف هذا من إنسان إلى إنسان ومن شخص إلى شخص، ففي الأمور المشتبهة، إذا كان الناظر من أهل العلم والبصيرة فما حاك في نفسه فدعه، ولهذا قال في حديث أبي أمامة فدعه، يعني إشارة إلى الإعراض عنه لأن أقل أحواله أنه شبهة، فدعه، وفيما أحل الله سعة للمكلف.

كذلك أيضا إذا كان يستنكره الناس، وأنت لا تستنكره، لكن استنكار الناس مما يجعلك تقف وتتردد ويحصل عندك تردد، وهذا كله إذا كان الاستنكار مستند إلى شبهة، أما إذا كان الاستنكار غير مستند إلى شيء فلا التفات إلى استنكار الناس، بل الواجب العمل بالأدلة، وعند الجهل وعدم العلم، فلا يلتفت إلى استنكار الناس.

ولهذا ما أكثر ما يعرض ويحيك في النفس في هذه الأيام مما يسمع الإنسان في بعض الأمور وبعض المعاملات، وما يحصل له في نفسه من الأشياء المترددة المشتبهة، فإذا حاك في نفسه شيء ولم يكن هذا الأمر تركه فيه حرج عليه فالحمد لله، فيدع هذا الأمر ويتركه إلى ما لا حرج فيه.

لكن الشيء الذي يحيك في النفس والسنة دلت على أنه لا بأس به فلا يلتفت إلى مثل هذا، ولهذا بعض الناس ربما حاك في نفسه بعض الأمور المشتبهة عنده، وهي في نفس الأمر ليس فيها شبهة، فلا يلتفت إليها، ولهذا النبي –عليه الصلاة والسلام– لما أمر الصحابة في مواضع لم يلتفت إلى إنكارهم، بل أمرهم أن يعملوا كما عمل، ولهذا في الصحيحين من طرق كثيرة في صلح الحديبية لما أنه أمرهم بفسخ العمرة بالتحلل منها وأمرهم أن ينحروا الهدي ترددوا، ثم بعد ذلك لما فعل النبي –عليه الصلاة والسلام– أقدموا. وكذلك في قضية الكتاب لما حصل ما حصل من عمر رضي الله عنه جماعة عدوا هذا ذنبا يستغفر الله منه، وكذلك لما أنه أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة، وحصل عندهم تردد غضب –عليه الصلاة والسلام– في هذه المواطن، ولهذا قال: ﴿ وإن أفتاك الناس وأفتوك ﴾ .

إذا كان الذي يفتيك عن غير بينة وعن غير بصيرة، في هذه الحال، ويكون أمره أمرا مشتبها يرجع إلى حواجز النفوس، والرجوع إلى حواجز النفوس وحكاكات القلوب هذا أمر معروف مطرد، وعمل به السلف رحمهم الله حينما تشتبه الأمور ويحصل فيها شيء من التردد من جهة الإقدام عليها أو تركها، نعم.

لا يتناجى اثنان دون الآخر لا يتناجى اثنان دون الآخر

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل أن ذلك يحزنه ﴾ متفق عليه، واللفظ لمسلم .

نعم، وحديث ابن مسعود ثبت في الصحيحين معناه أيضا من حديث ابن عمر، وجاء تعليله: حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه. يقال: يُحزِنه ويَحزُنه، والعلة كما في الخبر أنه يقع له حزن، ولهذا أمر الشارع: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان" فالنجوى لا خير فيها إلا ما كان لله: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [1] كل ما يتناجاه الناس ويقولونه لا خير فيه "إلا" إن كان الاستثناء منقطع هنا، وذلك أن النجوى والتناجي وهو الاختصاص بالنجوى، سواء كان جماعة أو فرادى، بمعنى أن تختص إنسانا أو جماعة بالمناجاة، وهي المشاورة والمحادثة، مأخوذة من النجوى من الأرض، وهي المكان المرتفع، كأنك خصصت فلانا دون غيره، كما اختصت هذه البقعة من غيرها بارتفاعها.

"لا يتناجى" –وظاهر النهي التحريم– دون الثالث، وهذا ليس المعنى أنه يختص بالثلاثة لا، حتى الأربعة دون الرابع، والخمسة دون الخامس وهكذا، بل إنه إذا كثر العدد كانت التهمة أشد، والنبي –عليه الصلاة والسلام– ذكر عدد الثلاثة؛ لأنها أقل ما يتصور، أقل ما يتصور ثلاثة في التناجي، أما إذا كانوا اثنين لا يحصل التناجي، لأن من يناجي؛ لأنه ذكر أقل العدد إذا كانوا ثلاثة يتناجى اثنان ويبقى واحد، وكذلك يلحق به فيما إذا كانوا أكثر من ثلاثة.

ويفهم منه أنه قال: "دون الآخر" وهو ما إذا كانوا أكثر من ثلاثة، أربعة، فلا بأس أن يتناجى اثنان دون اثنين؛ لأنه في هذه الحال ينتفي المحذور؛ لأنه يستطيع الثاني أن يناجي صاحبه دونهم، فليس أولى بالاستثناء منهم.

- ١سورة النساء آية : ١١٤.

. . . . . .

وكذلك أيضا يخرج منه ما إذا تناجى اثنان ودخل ثالث عليهما، فلا بأس بذلك؛ لأن المحذور أن يبتدئ التناجي بينهما والآخر موجود، وفي حكمه ما إذا كان بعيدا عنهما، مثل: إذا تناجى اثنان في مجلس والآخر بعيد عنهما، يظهر والله أعلم أنه لا بأس بذلك إلا إذا دلت القرينة على أمر أنه يؤذيه أو سبق حديثهما، أو أنهم بينهم كانوا مجتمعين ثم هو انفرد مثلا وحده، في هذه الحالة يظهر المنع؛ لأنهم مجتمعون.

وكذلك مثل ما تقدم إذا كان في مكان عام مثل سوق وتناجى اثنان وهناك واحد فلا بأس، وإن كان قريبا منهما؛ لأن هذا مكان عام، لكن هذا في الأماكن الخاصة، وهو التناجي، تناجي اثنين دون الثالث.

وإن احتاج أن يتناجى رجلان وهنالك ثالث، فلا بأس أن يأتي برابع حتى يجلس مع أحدهما أو يؤخر المناجاة حتى يذهب من يريدان أن يتناجيا دونه: " حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه" لهذا نهي المؤمن أن يحزن أخاه، وأن يوقع في قلبه الحزن، وذلك أنه ليس المقصود مجرد الحزن؛ لأن الحزن أصلا منهي عنه ولا ينبغي للمؤمن أن يحزن، بل إنه يجعل ما يقع في قلبه لله ﷻ والحزن لا فائدة فيه.

أما سائر الأعمال التي توقع في القلب من الخوف والخشية، هذه عبادة، أما مجرد الحزن، لا، فإنه لا يحصل به فائدة، قال: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [1] يخاطب أبا بكر رضي الله عنه . ولهذا يفتح باب الشيطان على المكلف، يقول: لماذا يتناجيا دوني؟ إما أنهم تناجيا بأمر فيه شر، وقد يقول قائل: لا، بيننا من المودة ما بيننا، مما يقطع هذه الوساوس.

نقول: لماذا خص أحدهم دون الآخر، أو خصصت هذا دون هذا، فإنه يقول: لماذا خصه بالمناجاة فإنه رآني لست أهلا للمناجاة. أيضا إما هذا وإما هذا، وهذا فيه إيهام احتقار المسلم لمسلم، إما حقيقة أو من تسويل ووسوسة الشيطان، أُمِرَ المكلف أن يسد أبواب الشيطان وأن يقطع دابرها عن نفسه، كذلك أيضا لا يجوز له أن يفتحها على أخيه، نعم.

- ١سورة التوبة آية : ٤٠.

لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا ﴾ متفق عليه .

—

وهذا المعنى أيضا ثبت من حديث جابر، وفي صحيح مسلم أيضا بلفظ النهي المؤكد، بقوله: " لا يقيم الرجل " وإن كان نفيا لكنه مراد به النهي، وله في اللفظ الآخر: ﴿ لا يقيمنَّ الرجل ﴾ بالنهي المؤكد، نون التوكيد الثقيلة، دليل على أنه لا يجوز، كذلك أيضا جاء في اللفظ الآخر أنه قال: ﴿ لا يقيمن الرجل الرجل يوم الجمعة ﴾ في رواية مسلم في رواية معقل بن عبيد الله الجزري، عن أبي الزبير، عن جابر.

وإن كان هذا التقييد موضع نظر، الحديث ثابت في صحيح مسلم، ومسلم –رحمه الله– روى هذا الحديث في المتابعات، وأصله ثابت، فهذا التقييد موضع نظر، ولهذا في رواية مسلم، هل ذكر يوم الجمعة؟ قال: ما خص جمعة ولا غيرها. فالظاهر العموم، لكن لو أنه هذه اللفظة يظهر والله أعلم أنها من باب ذكر بعض أفراد العام الذي لا يقتضي التخصيص الموافق له؛ لأنه موافق له؛ لأن الإقامة يوم الجمعة وهو النفي لا ينافي قوله: "لا يقيم الرجل الرجل". إنما يكون من باب التخصيص إذا كان النصان متنافيين لا يمكن أن يجتمعان.

أما إذا اجتمعا ولم يتعارضا، فإنه كما قيل: يسمى من باب العموم وذكر بعض أفراده، أما إذا تعارضا كان من باب المطلق والمقيد في هذه الحالة يأتي قضية التخصيص، إما التخصيص أو التقييد، وهنا لا معارضة؛ لأن هذا النفي في حديث جابر داخل في العموم داخل في عموم النفي، ولأنه من أبلغ العموم، قوله: "لا يقيم الرجل" وإن كان نافيا لكنه أبلغ من النهي، لأن قوله: "لا يقيم الرجل الرجل". فهو إخبار أن هذا هو الواقع الشرعي الذي لا يجوز تغييره، مثل قوله: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ

. . . . . .

يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ﴾ [1] هو خبر بمعنى الأمر كأن هذا هو الواقع الشرعي، فهو كأنه راسخ ثابت في الشرع لا يجوز تغييره، ولهذا جاء بلفظ الخبر. والخبر لا يدخله نسخ ولا تخصيص، فأجريت بعض الأمور مجرى الخبر وإن كان المراد بها النهي أو الأمر، وهذا أبلغ، مثل كذلك في قوله: لا يقيم الرجل الرجل. وهذا الخبر ثبت أيضا من حديث أبي هريرة أيضا، ومن حديث وهب بن حذيفة عند بعض أهل السنن، وفي لفظ آخر عند مسلم: ﴿ إذا قام الرجل من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به ﴾ وفي لفظ عند أبي داود بسند فيه ضعف أنه –عليه الصلاة والسلام– أمر أو كان إذا قام وأراد أن يرجع جعل شيئا.

وهذا يبين أن من جلس في مجلس فهو أحق به، وهذا من الحقوق التي تجب للمسلم؛ لأن حقوق المسلم كثيرة، إما حق ملك أو حق تملك إما أنه حق ملك أو حق تملك أو حق انتفاع، أو حق اختصاص، أو حق تعلق، كلها حقوق خمسة، قررها أهل العلم.

ومنها حق الاختصاص، وحق الاختصاص لا يملك فيه العين ولا يملك فيه المنفعة، إنما يملك الانتفاع. حق الاختصاص هو أن تملك الانتفاع، فلا تملك المنفعة فضلا عن أن تملك العين، مثل إنسان إذا تقدم إلى المسجد وجلس فيه، تقدم مثلا إلى مجلس يبيع فيه، لهو أحق أن يبيع في هذا المكان، تقدم إلى مجلس من مجالس العامة يجلس فيه، دعي إلى وليمة فجلس فهو أحق بهذا الكرسي، فهو أحق بالانتفاع ولا يملك المنفعة.

لكن لو أراد أن يؤجر هذا المكان يجوز ولا ما يجوز؟ نعم، إذا أراد أن يؤجر ما يجوز؛ لأنه لا يملك المنفعة، مثل المستأجر، المستأجر يملك المنفعة.

ولهذا حق المنفعة يملك الانتفاع ويملك البدل على ذلك بالتأجير أو البذل، أما الانتفاع فله البذل بلا عوض، ولا يجوز أن يؤجر عليه، لكن له أن يقدم غيره من الناس في هذا، فلو كان جالسا في المسجد وقدم غيره آثر غيره من الناس فلا بأس، أو في مكان من الأمكنة فلا بأس أن يبذله بلا

- ١سورة البقرة آية : ٢٣٣.

عوض، فحق الاختصاص وهو حق الانتفاع بالمنفعة دون أخذ العوض عليها هذا لا يجوز التعدي على صاحبه،

ولا يجوز الافتيات عليه، فهو أحق به حتى يقوم، ثم إذا قام فإن كان يريد الرجوع وكان خروجه لحاجة فلا بأس مثل إنسان في المسجد جالس ثم ذهب يتوضأ فهو أحق به ولا يجوز الافتيات عليه في حقه، مثلا.

كذلك المعتكف في مكان جالس ثم ذهب وخرج لأجل يأكل طعام ويقضي حاجة هو حق، حق اختصاص مقدم على غيره، إنسان يبيع في هذا المكان فهو أحق بغيره، لكن حق البيع إن كان تقدم إليه ابتداء فهو أحق به، وإن سبقه غيره فهو أحق، إلا إذا بذله له أو أقطعه إياه من له حق الاقتطاع من جهة والي الأمر، فلا يجوز الافتيات عليه؛ لأنه أحق به من غيره، فكذلك هذه المجالس.

وهذا من أعظم حكم الشرع التي توجب المودة والمحبة، وأنه لا يجوز أن يقيم غيره في مجالس العلم ومجالس الصلاة والاجتماعات العامة، ومن سبق إلى شيء فهو أحق به من غيره، نعم.

من آداب الطعام

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إذا أكل أحدكم طعامه فلا يمسح يده حتى يلعقَها أو يُلعقها ﴾ متفق عليه .

—

وهذا حديث ابن عباس فيه أدب من آداب الطعام، وهو أنه قال: "إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده– في اللفظ الآخر: بالمنديل حتى يلعقها أو يُلعقها ".

وهذا المعنى جاء من حديث كعب بن عجرة، ومن حديث أنس، ومن حديث جابر ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم، وهو أدب أكل الطعام، في حديث كعب بن عجرة، في صحيح مسلم أنه –عليه الصلاة والسلام– كان يأكل بأصابعه الثلاثة، أي الإبهام والسبابة والوسطى، وجاء تفسيرها في لفظ آخر عند الطبراني وغيره وهذا هو الظاهر.

وكذلك في حديث جابر: ﴿ إن الشيطان يحضر أحدكم في كل شأن، فإذا سقطت لقمة أحدكم فلا يذرها للشيطان فليمسحها وليأكلها ﴾ وفيه: ﴿ فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ﴾ وفي لفظ آخر: ﴿ فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة ﴾ في حديث أنس، في حديث أبي هريرة تكرر هذا اللفظ في هذه الأخبار: ﴿ فإنكم لا تدرون في أي طعام البركة ﴾ .

ففيه فوائد؛ أولا: لعق الأصابع وأنه يشرع لعقها، وأنه لا يغسلها حتى يلعقها أو يُلعقها، يعني إذا كان عنده من لا يأنف به من ولد من أولاده وأهله ممن لا يأنف فلا بأس يلعقها هو أو يُلعقها غيره.

ثم هذه فيها مصالح عظيمة، وفيها شكر للنعمة، ثم النبي –عليه الصلاة والسلام– لا يأتي إلا بمصالح الدين والدنيا، ومع أن أهل الاختصاص ذكروا فيه من الفوائد الطبية في لعق الأيدي وخاصة ما يقع في أطراف الأصابع ومصها، ولعقها، حينما يمص أصابعه من المواد التي تنزل وتصل إلى البدن وتكون من أحسن المعينات في هضم الطعام وفي إساغته.

.....

—

وهذه المعاني وإن ثبتت وتقررت فنحن لسنا بحاجة إليها، لكن هي من باب الدلالات التي تجعل المكلف يعلم أنه –عليه الصلاة والسلام– لا يقول إلا حقا، ولهذا أمر بلعق الأصابع، ولا يمسح يده بالمنديل بل يلعق، ثم بعد ذلك إذا لعق أصابعه فإنه يغسل، لا بأس أن يغسلها.

.....

ولهذا في حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي: ﴿ من نام وفي يديه غمر فأصابه شيء ﴾ في اللفظ الآخر عند أبي داود ﴿ ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه ﴾ الغمر هو الزهومة مما يبقى من أثر الطعام.

وفي الحديث من الفوائد مثل ما تقدم: لعق الأيدي، وفيه أنه إذا سقطت اللقمة يأخذ اللقمة ولا تأنف نفسه من مسحها، وفسرها بأنه لا يدري في أي طعامه البركة، هل هو في الساقط في اللقمة أو الباقي في الصحن.

في حديث أنس في صحيح مسلم: ﴿ أمرنا أن نسلت القصعة ﴾ أمر بسلت القصعة، والسلت من أبلغ الإزالة حتى لا يبقى شيء، وفيها دلالة على أن الإنسان ينبغي له أنه يضع الطعام بقدر ما يكفيه حتى لا يبقى في الصحفة شيء، فأمر بسلتها –عليه الصلاة والسلام– لأنه لا يدري هل هو في الباقي أو فيما أكل أو فيما سقط، فلهذا أمر بمسحها وأكلها إذا أصابها شيء، نعم.

من آداب السلام

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ليسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير﴾ متفق عليه، في رواية لمسلم: ﴿والراكب على الماشي﴾ .

—

نعم، حديث أبي هريرة فيه أدب من آداب السلام، يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير، واللفظ الذي ذكره هنا موجود في صحيح البخاري، "والراكب على الماشي"، وفيه دلالة على أن هؤلاء الأربعة يقدم منهم مَن الحقُّ عليه، الصغير على الكبير، يسلم الصغير لأن الحق للكبير، والمار على القاعد.

والصغير قد تقرر في الأدلة الكثيرة تقديم الكبير في أمور كثيرة، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿الكبر الكبر﴾ وقال –عليه الصلاة والسلام–: ﴿البركة مع أكابركم﴾ في حديث جيد رواه ابن حبان وغيره، وقال: ﴿ليس منا من لم يوقر كبيرنا﴾ وأحاديث في هذا المعنى كثيرة، عنه –عليه الصلاة والسلام– في حديث السواك، قال: ﴿أمرني أن أبدأ بالأكبر﴾ والأحاديث في هذا كثيرة، وهو تسليم الصغير على الكبير.

"والمار على القاعد، والقليل على الكثير، والراكب على الماشي" المار على القاعد كذلك؛ لأن القاعد له حق من جهة أن الماشي هو الذي يسلم، ولأن الماشي بمثابة الداخل، والداخل عليه أن يسلم: ﴿إذا جاء أحدكم المجلس فليسلم﴾ كما روى أبو داود في حديث أبي هريرة: ﴿إذا جاء أحدكم المجلس فليسلم فإن بدا له أن يقوم فليسلم، فليست الأولى أحق من الآخرة﴾ فالمار بمثابة الداخل، والداخل هو الذي يسلم ليس الجالس، وكذلك القليل على الكثير؛ لأن العدد الكثير لهم الحق، والقليل هم الذين يسلمون. وكذلك الراكب على الماشي، كما قلنا، كما في المار على القاعد؛ ولأن هذا فيه دفع زهو الراكب.

ثم اختلف العلماء فيما إذا كان الجالس صغيرا والمار كبيرا أو الجالس قليلا والمار كثيرا، فهل يسلم القاعد؛ لأنه صغير، أو لأن عددهم قليل، فيه خلاف. والأظهر والله أعلم أن المار يسلم مطلقا

.....

هذا الأظهر، سواء كان قليلا أم كثيرا، سواء كان صغيرا أو كبيرا، هذا هو الظاهر؛ لأن وصف المرور يشمله، وأنه ماش ومار وداخل، فعموم النصوص تشمله، كما تقدم.

ثم أيضا القاعد لو أمر بأن يراعي الذين يمرون عليه لشق عليه ذلك، والشارع يدفع المشقة، فلهذا كان الحق للقاعد، والمراعاة تكون للماشي؛ لأنه لا مشقة عليه في ذلك فهو يمشي أو يركب، فيسلم على من مر عليه من قاعد ومن ماشٍ إذا كان راكبا وكذلك إذا كان صغيرا وهو كبير فيسلم، هذا هو الأقرب كما تقدم، نعم.

ما يجزئ عن الجماعة في السلام والرد

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجماعة أن يرد أحدهم ﴾ رواه أحمد والبيهقي .

وهذا حديث لا بأس به، وله شاهد من حديث الحسن بن علي، وهو قال: يُجزئ ويقال يَجزي. يعني يكفي، أو يُجزئُ يعني من الإجزاء من أجزأ يُجزئ أو من جزى يجزي، من الرباعي يُجزئ، أو من الثلاثي من جزى يجزي، يعني يكفي إذا مروا أن يسلم أحدهم.

وهذا الحديث رواه أبو داود أيضا، و"أن يسلم أحدهم". وعن الجماعة أن يرد أحدهم؛ لأن هذا سنة كفاية، يعني المعنى أنه واجب كفاية واجب كفائي، في السلام في الرد، هذا واجب كفائي بلا شك، وكذلك أيضا القول الصحيح: أنه واجب كفائي على المسلم؛ لعموم النصوص المتقدمة، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين، إذا مر أحدهم أن يسلم.

فإذا مر جمع على جمع فسلم الجمع، سلم بعضهم أجزأ، وإذا رد بعضهم أجزأ، لكن لو كان الذي رد صغيرا وفيه مكلف هل يجزئ أو لا يجزئ، فيه خلاف، والأظهر والله أعلم أنه يجزئ.

فلو سلم مثلا على اثنين أحدهما قد بلغ والآخر صغير، فرد الصغير، فالأظهر، والله أعلم، أنه يجزئ وإن كان الرد في حق الصغير ليس واجبا لأنه ليس مكلفا، وذلك أن فعله صحيح، ولهذا يجزئ فعله الذي هو سنة بإسقاط الواجب عن المكلفين، كما لو كان إماما فإنه يصلي وصلاته سنة، ولو كان صبيا إذا أحسن الصلاة وميزها، فيجوز أن يؤم على الصحيح، ولو كان خلفه مكلفون، فلا بأس، ويسقط الواجب عنهم بذلك، نعم.

بدء اليهود والنصارى بالسلام

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه ﴾ أخرجه مسلم .

—

الحديث هذا معروف أنه عن أبي هريرة، في صحيح مسلم، والظاهر أنه عن أبي هريرة، وفيه النهي: " لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه" وهذا المعنى ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر أنه –عليه الصلاة والسلام– أيضا في مسألة السلام أنه إذا سلم اليهودي فقولوا: وعليكم، في حديث أنس في الصحيحين: ﴿ إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم ﴾ حديث عائشة في الصحيحين: ﴿ ولما مر نفر من اليهود، فقالوا: السام عليكم، فقلت: وعليكم السام والذام واللعنة، –وفي لفظ– يا إخوان القردة والخنازير– قال: مهلا يا عائشة، قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: ألم تسمعي ما قلت؟ قلت: وعليكم ﴾ في لفظ في صحيح مسلم من حديث جابر ﴿ نجاب فيهم ولا يجابون فينا ﴾ وفيه أنه قال: ﴿ إن الرفق لم يكن في شيء إلا زانه، ولم ينزع من شيء إلا شانه ﴾ .

ففي هذا دلالة على أنه لا يجوز السلام على الكافر لأن السلام من خصائص أهل الإسلام، فلا يجوز بذله؛ لأن السلام اسم من أسمائه –سبحانه وتعالى– والكافر ليس أهلا أن يبذل له السلام، وهو السلام –سبحانه وتعالى–:

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل عيب ومن نقصان

فالسلام لأهل الإسلام في الدنيا وفي الآخرة، يدلك على عظمة هذا الاسم، والسلام يسلم به المسلمون في جميع أحوالهم بل في عباداتهم، في الصلاة، في التشهد، وبالانصراف من الصلاة، يسلمون، والسلام علامة السلامة والطمأنينة، وحلول السلامة بها حلول خير، فلا يسلم على اليهودي والنصراني وسائر أنواع الكفرة.

. . . . . .

فإذا كان لا يسلم على أهل الكتاب فغيرهم من باب أولى، لا يجوز أن يُبْتَدءوا بالسلام، لكن إذا سلموا تقول: وعليكم، وإذا تحققت أنه قال: السلام عليكم، ولم يحصل منه تلبيس فالصحيح أنك ترد عليه، وتقول: وعليكم السلام، وتقول بالواو أيضا على الصحيح أيضا تقول بالواو، خلافا لابن عيينة وجماعة والصواب إثبات الواو، وهو الثابت في الروايات الصحيحة.

ولا منافاة في هذا، لا منافاة، أما إذا كانوا سلموا صراحة فهذا لا إشكال، وإن كان أدغموا ولا تدري، تقول: وعليكم، فإن كان أرادوا الموت فالمعنى، وإن كان تقريرا لما سبق فالمعنى الموت حق علينا وعليكم، أو أن الواو استئنافية ليست عاطفة، وأن المعنى عليكم ما تدعون به، عليكم وحدكم، هي تكون استئنافية إذا أريد هذا، أو تكون عاطفة إذا أريد تقرير المعنى، وهو أن الموت حق وهو أن كل نفس ذائقة الموت.

فالمقصود أنه لا يبذل السلام ولا يسلم عليهم، وفي حديث بصرة أنه –عليه الصلاة والسلام– عند أحمد وغيره قال: ﴿ إني سائر إلى يهود غدا فلا تبدءوهم بالسلام ﴾ أيضا نهى أن يُبدءوا بالسلام عليه الصلاة والسلام.

"وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه" ليس المعنى هو إيذاؤهم، ليس المعنى اضطروهم إلى أضيقه أن يضطروا إلى حافات الطريق، وأن يضايقوا، هذا لا يجوز؛ لأن الإيذاء محرم، ولا يجوز الإيذاء لكل إنسان إلا إذا بدا منه ما يوجب نقض عهده، فإن هذا يعامل معاملة أمثاله، ليس مجرد مضايقة، أمره أعظم وأتم، أما ما دام أنه لم يحصل منه شيء فلا يجوز إيذاءه، لا يجوز إيذائه، بل مأمور بالبر إليهم، ولهذا قال: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ ﴾ [1] مأمور بالبر إليهم والإحسان إليهم.

- ١سورة الممتحنة آية : ٨.

إنما المعنى، المعنى أنه لا يترك لهم الطريق ووسط الطريق وأن تفسح لهم الطريق وأن يكون لهم وسط الطريق، فهذا ينافي ما يكون عليه المسلم، فإذا سار في طريق فإنه لا يفسح له الطريق، معنى أنه

. . . . . .

يجعله وسط الطريق ويكون المسلم في حافاته من هنا ومن هنا، يعظمه ويرفعه، لا الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، الإسلام يعلو: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ ﴾ [1] .

وكذلك من السبيل، السبيل الحسي، كما هو السبيل المعنوي، فكما أنه لا سبيل عليه في الأمور المعنوية الشرعية، كذلك لا سبيل له عليه في طرقات المسلمين، فالسبل والطرقات التي يسير بها المسلم له، والمعنى أنه لا يكرمه بمعنى أنه يجعل له وسط الطريق، ويفضي إلى غروره ويفضي إلى تكبره، ويظن أن المسلم معجب بما هو عليه فيكون سببا في بقائه في دينه.

لكن إذا أحسنت إليه وأكرمته بأنواع الإكرام وعملت المعروف إليه، ولم تجعل له الإظهار والعزة التي تفوت بها المصالح، والمقصود منها أن يرى أهل الإسلام ويرى دينه فيكون سببا لإسلامه وإيمانه، فهذا هو المطلوب ليس المعنى هو مضايقته وإيذاؤه، فإن الإيذاء إيذاؤه محرم ولا يجوز كما تقدم، نعم.

- ١سورة النساء آية : ١٤١.

ما يقوله العاطس والرد عليه

وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ﴿ إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم ﴾ أخرجه البخاري .

نعم، وكأنه "عنه" والله أعلم كأنه حديث علي إما متقدم أو متأخر، كأنه والله أعلم يعني متقدم على حديث أبي هريرة، كأنه في الأصل عن متقدم عن حديث أبي هريرة لتعلقه بالسلام، ولهذا قال: وعنه، والمراد أبو هريرة رضي الله عنه .

وفي هذا سنة الرد في العطاس، وماذا يقول من عطس، إذا عطس أحدكم يقول: الحمد لله، وليقل له صاحبه: يرحمك الله، وليقل هو: يهديكم الله ويصلح بالكم، وكذلك هذا المعنى ثبت في الصحيحين من حديث أنس أنه –عليه الصلاة والسلام– عطس عنده رجل فشمت أحدهم ولم يشمت الآخر، قال: شمته ولم تشمتني، قال: إنه حمد الله ولم تحمد الله، ومعناه في صحيح مسلم من حديث أبي موسى أيضا كذلك، وهذا المعنى في الأخبار كثير عنه –عليه الصلاة والسلام– وفيه سنة تشميت العاطس.

والظاهر أنه واجب، يجب تشميت العاطس إذا سمعه، وحق عليك ما تقدم، "وإذا عطس فحمد الله فشمته" إذا قال: الحمد لله، وإن لم يسمعه فلا، ويشرع أن يقول: الحمد لله، وإن قال الحمد لله على كل حال فلا بأس، قد ثبت في حديث أبي هريرة لسالم بن عبيد الله الأشجعي عند أبي داود، وكذلك الحديث الآخر أنه قال: الحمد لله على كل حال، ويقول هو: إذا قال يرحمك الله، يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وهذا خاص بأهل الإسلام، أما الكافر إذا عطس فيدعو له، يدعو له، يعني يدعو له بالدعوات العامة التي مثل ما جاء في حديث بهز بن حكيم أن اليهود يتعاطسون عن النبي –عليه الصلاة والسلام– رجاء أن يقول: يرحمكم الله.

. . . . . .

—

فلهذا خص منه أنواع منهم الكافر الذي إذا عطس فلا يدعى بأن هذه تحية، وهذه دعوة بين أهل الإسلام، ثم ظاهر هذا أنه يشمت العاطس مطلقا ولو زاد على ثلاث إلا إذا علمت أن به زكام ففي هذه الحال إن شئت شمته، وإن شئت لم تشمته، وإن شئت دعوت له.

. . . . . .

—

إذا كان فيه زكام الأظهر، والله أعلم، أنك مخير هذا هو المتحصل من النصوص في هذا الباب، أما حديث أنه إذا زاد على ثلاث فلا تشمته، لا تثبت كلها لا تثبت ولا تصح، بالنظر فيها لا تثبت، وجاءت مرفوعة وموقوفة، والثابت في صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع: أنه عطس رجل عند النبي عليه الصلاة والسلام فشمته، فلما عطس الثانية قال: الرجل مزكوم دل على أنه علق بوجود الداء الذي عرضه الزكام، سواء كان بعد الأولى أو بعد... إذا علمه إذا علمه، سواء علمه ابتداء، أو علمه لما وقع منه العطاس، فإن شاء شمته وإن شاء دعا له، مخير، نعم.

الشرب قائما

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ لا يشربن أحد منكم قائما ﴾ أخرجه مسلم .

—

نعم وهذا حديث النهي " لا يشربن أحد منكم قائما" في حديث أنس أيضا في صحيح مسلم أنه زجر عن الشرب قائما، قلنا: فالأكل –يعني قتادة– قال: ذاك شرٌ وأخبث. حديث أبي هريرة عند أحمد ﴿ لما رأى رجلا يشرب، قال: يسرك أن يشرب معك الهر، قال: لا يا رسول الله، قال: شرب معك من هو شر من الهر، الشيطان ﴾ .

وظاهر الأحاديث النهي للنهي والزجر، وجاء في الصحيحين من حديث علي، وفي الصحيح من حديث ابن عباس، أنه –عليه الصلاة والسلام– شرب وهو قائم. حديث ابن عباس شرب من زمزم وهو قائم، اختلف العلماء خلافا كثيرا في هذا، والأظهر والله أعلم أن الشرب قائم لا بأس به لكنه خلاف الأولى لشربه –عليه الصلاة والسلام– قائما، فإن كان لغير عذر فهو خلاف الأولى وإن كان لعذر فلا بأس به.

هذا هو المتحصل من الأخبار في هذا الباب، ولهذا قال: فمن نسي فليستقي. أمر بالاستيقاء دلالة على أنه إذا لم يكن معذورا فهو منهي، لكنه إما مكروه أو خلاف الأولى خلافا لمن قال إنه منسوخ، فالجمع مقدم على النسخ من الأخبار، نعم.

الانتعال والبداءة باليمين

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ولتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع ﴾ وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، ولينعلهما جميعا أو ليخلعهما جميعا ﴾ متفق عليهما .

—

حديث أبي هريرة بروايتيه فيه الأمر بالانتعال والبداءة باليمين، وفيه النهي أيضا عن المشي بالنعل الواحدة والخف الواحد، وهذا المعنى كما ترون ثبت في الصحيح حديث أبي هريرة، في صحيح مسلم من حديث جابر، أنه قال: ﴿ لا يمشي أحدكم في النعل الواحد ولا في الخف الواحد ﴾ وفي هذا: ﴿ إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ولتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع ﴾ وفي اللفظ الآخر: ﴿ لا يمشي أحدكم في النعل الواحدة ﴾ .

وفي هذا أدب من آداب لبس النعل، وأنه إذا لبس النعل فإنه يبدأ به، وظاهر الأحاديث ظاهر هذا الأمر الوجوب لظاهر النهي ﴿ إذا انتعل أحدكم فليبدأ ﴾ لأنه أولا قال: إذا انتعل فليبدأ. ثم قال: لتكن. فإنه تقرير لحالها.

فاليمنى هي الأولى لأمور؛ أولا: أن السنة البداءة باليمين، والنبي –عليه الصلاة والسلام– فيما رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد قال: ﴿ إذا توضأتم وإذا لبستم فابدءوا بميامنكم ﴾ وقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ الأيمنون الأيمنون الأيمنون ﴾ .

فاليمين مشروع فيها على كل حال، قال أنس: "فهي سنة، فهي سنة، فهي سنة". وكان يبدأ بيمينه –عليه الصلاة والسلام– في جلوسه. كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي في حينما يسوق الإناء الشرب. وكذلك في أخبار في هذا المعنى تدل على البداءة باليمين، حديث عائشة في الصحيحين: ﴿ كان يعجبه التيمن في تنعله وطهوره وفي شأنه كله ﴾ وفي لفظ: "ما استطاع" عليه الصلاة والسلام.

وهكذا أيضا اليمين في النعل، اليمين في لبس الثوب، يبدأ حينما يلبس الثوب ويبدأ باليمين، الكم الأيمن، في النعل يبدأ باليمنى، إذا خلع فليبدأ بالشمال؛ لأن اليمين لها فضلها فالسنة أن يبدأ بها، حتى تكون في النعل أكثر مدة فيبدأ بها لأنه زينة، والزينة يسن يبدأ بها في الأفضل، فتكون اليمنى أول ما يبدأ بها.

ثم بعد ذلك أيضا إذا خلع تكون الشمال هي الآخر، تكون الشمال هي آخر ما ينزع؛ لأنه حينما يبدأ بالشمال تكون اليمنى أكثر بقاء في النعل من اليمين، وكذلك أيضا النهي عن المشي في خف واحد وفي نعل واحد.

واختلف في العلة لكنه يفضي إلى عدم العدل بين الأعضاء، والسنة هو العدل، فلا يمشي في نعل، إما أن يخلعهما جميعا أو يحفيهما جميعا، أو لينعلهما جميعا، وهذا سواء كان في الخفاف أو في النعال أو في السراويل أو في غيرها مما يلبس، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

يقول السائل: إني دائما أحاول عدم العبوس أمام أصحاب المعاصي، كالمدخنين مثلا ولكن لا أستطيع، فهذا الشعور أنا مجبور عليه، وأخشى أني أكرههم لذاتهم وليس معصيتهم أريد النصيحة؟

نقول: لا أنت لم تؤمر بالعبوس في وجوه المدخنين، أنت مأمور بإنكار المنكر، فإذا رأيت إنسان مثلا يعصي فعليك أن تلقاه بوجه طيب حتى تنكر عليه، فكيف تنكر على إنسان وأنت عبست في وجهه.

لكن إذا كان هذا الإنسان أمرته ونهيته ولم ينفع فيه فأردت هجره فلا بأس، وهذه قاعدة عظيمة ولها فروع كثيرة، لكن حينما تريد أن تأمر وتنهى فإنك في هذه الحال عليك أن تبتسم وعليك أن تقول كلام طيب، وإذا علمت أن عبوسك في وجه هذا المدخن ربما يزيده شرا فإنك لا تعمل العمل الذي يزيده شرا؛ لأن القصد تحصيل المصالح ودفع المفاسد وتقنينها، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

جر الثوب خيلاء

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء ﴾ متفق عليه .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، حديث ابن عمر رضي الله عنهما فيه وعيد شديد لمن جر ثوبه خيلاء.

—

والثوب في اللغة يشمل كل ملبوس، من قميص، وسراويل، وإزار، ورداء، ومشلح، وعمامة، كل ما يلبس، وقبا، وما أشبه ذلك، والبرانس، كل ما يلبس فإنه ثوب. فهو وصف عام لكل ما يجعل على البدن، سواء على البدن كله كالبرانس، أو على أسفل البدن كالسراويل، أو على مثل الفنايل، أو على أسفله مثل الإزار والسراويل، أو يكون على الكتفين فأسفل مثل القميص.

فمن جر شيئا منها، من هذه الثياب كما في هذا الوعيد، من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه – سبحانه وتعالى– هذا فيه هنا قال: لا ينظر الله إليه. وحديث أبي هريرة: ﴿ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه ﴾ والمعنى واحد.

وكذلك ثبت المعنى هذا من حديث أبي هريرة في الصحيحين من حديث ابن عمر أيضا في الصحيحين بلفظ آخر وهو أنه –عليه الصلاة والسلام– أخبر عن رجل بينما هو يمشي في حلة يتبختر إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل إلى يوم القيامة.

.....

—

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة في النهي عن الإسبال والأمر برفع الثياب، وكذلك قوله –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ ثلاث لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم؛ المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ﴾ وهذا المعنى ثبت في عدة أخبار عنه –عليه الصلاة والسلام– من حديث أبي هريرة كما تقدم، وحديث ابن عمر.

وأحاديث في هذا الباب كثيرة في النهي عن الإسبال، وأن الواجب هو تشميرها ورفعها، ولهذا كان النبي –عليه الصلاة والسلام– يرفع ثيابه، وفي حديث ابن عمر أنه مر وفي ثوبه استرخاء، فأمره النبي –عليه الصلاة والسلام– فرفع إزاره، فقيل له إلى أين؟ فقال: إلى أنصاف الساقين. فكان ابن عمر يتحراها رضي الله عنه.

وهذا دليل على تحريم الإسبال، وإذا كان بخيلاء فإنه تحريم آخر منضم إليه لعموم الأدلة في تحريم الإسبال وأنه محرم، وإطلاق الأدلة، والأدلة جاءت بأن الخيلاء محرمة، وكذلك جاءت أن الإسبال محرم.

لكن لما كان الإسبال في الغالب لا يكون إلا مع خيلاء خاصة حينما يرخي ثيابه في هذه الحال يشتد الإثم، ولهذا في حديث ابن عمر هذا زيادة عند الترمذي والنسائي بإسناد جيد ﴿ أن أم سلمة –رضي الله عنها – قالت: يا رسول الله فكيف يصنع النساء بذيولهن، قال: يرخينه شبرا، قالت: إذا تنكشف أقدامهن، قال: يرخينه ذراعا لا يزدن عليه ﴾ .

فهمت أم سلمة –رضي الله عنها – العموم، ولو كان الإسبال جائزا بلا خيلاء لم تسأل أم سلمة، لأنها قالت لما سمعت من النبي –عليه الصلاة والسلام– كيف يصنع النساء بذيولهن؟ ومعلوم أنها تسأل عن إسبال الإزار أو إسبال ثيابهن، في جرها وسحبها لأن النساء قد علم أنهن يسحبن ويجررن ثيابهن ولم ينهين قبل ذلك؛ لأن الخيلاء محرمة، فسألت عن مجرد جر الإزار، وإلا لو كانت فهمت، وأقرها النبي –عليه الصلاة والسلام– أن المراد جره بخيلاء لم تسأل عن ذلك؛ لأنه يعني نهي عن جر الإزار من أجل الخيلاء فلا حاجة أن تسأل لأنهن إذا كن يجررن ذيولهن بلا خيلاء فهذا لا بأس به، إنما سألت عن مجرد جر الإزار؛ لأنها فهمت أن جره محرم والنبي –عليه الصلاة والسلام– لم يقل لها: إنكن لا تصنعن ذلك خيلاء أو إنما نهيت عمن يجره خيلاء، أو ما أشبه ذلك.

. . . . . .

—

كذلك أيضا ما يدل على ذلك أن هذه الهيئة وهذه اللبسة، وهي جر الذيول وسحب الثياب، من صفات لباس النساء، وقد علم أن الرجل لا يجوز له التشبه بالنساء لما رواه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ لعن الله المخنثين من الرجال ﴾ وفي اللفظ الآخر: ﴿ لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ﴾ .

فنهى عن صفة التخنث بلعن المخنثين من الرجال، واللعن يدل على أنه أمر محرم، أمر محرم، ولهذا شدد فيه –عليه الصلاة والسلام– وقال ما قال، والرجل لا يتشبه بالنساء، ومما يدل عليه أيضا أنه –عليه الصلاة والسلام– كما روى أبو داود من حديث أبي هريرة بسند جيد: ﴿ لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل ﴾ فلا يجوز للمرأة أن تلبس لبس الرجال، ولا يجوز للرجل أن يلبس لبس النساء.

وهذا هو الواجب خلاف ما ابتلي به المسلمون اليوم من رجالهم ونسائهم، حيث انعكست الآية، صار الرجال يجرون ذيولهم، وصار النساء يرفعن ثيابهن، وهذا من المصائب والبلايا، ويجعل النساء رفع الثياب، أو يجعلون تجعل إطالة الثوب وكونه ينزل تجعله عيبا في اللباس. وهذا لا شك من الجهل وقلة العلم، وكثرة المصائب التي تبتلى بها الأمة، كذلك الرجال هم في لباسهم على هذا الوصف كما تقدم.

وفي حديث عائشة –رضي الله عنها– عند أبي داود أيضا أنه ذكر لها أن امرأة تلبس النعل فقالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: ﴿ لعن الله الرجلة من النساء ﴾ التي تتشبه بالرجال.

فلهذا عموم النصوص والمعنى يدل على هذا المعنى، وأنه لا يجوز التشبه بالنساء في لباسهم، وكذلك لا يجوز تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء.

وما ينبه أيضا أن هذا الرفع للثياب عام في جميع الثياب، وجميع القمص، وأن الإزرة كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه جاء فيه أن إزرة المؤمن أنصاف ساقيه، وهذه الإزرة على الصحيح شاملة لجميع الثياب، خلاف ما ذكره بعض أهل العلم أنه خاص بالإزار، وأنه في الثياب يكون إلى الكعبين، أما الإزار فإنه تكون الإزرة إلى نصف الساق لورود الحديث بذلك.

. . . . . .

—

وهذا يظهر، والله أعلم، أنه حصل نتيجة عدم تتبع الأخبار والنظر فيها، وقد تأملت الأخبار في هذا الباب وجدتها لا تدل إلا على هذا القول، وهو عمومها وأنه ما جاء في الإزار فهو في القميص والسراويل، كما قال ابن عمر، أولا كما قال ابن عمر ﵁ كما روى عنه أبو داود بإسناد صحيح: أنه قال ﵁ قال: ما قال رسول الله ﷺ في الإزار فهو في القميص والسراويل. هذا كلام ابن عمر.

وهذا يغنينا عن أي اجتهاد؛ لأنه قول صحابي حكاه عن فهمه ونظره للنصوص وهو أعلم، بل هو روى هذه الأخبار، ولا شك أن تفسير الصحابي أولى وأفضل وأتم من غيره عموما، فكيف إذا كان هذا التفسير لنصوص رواها هو.

أيضا أمر آخر قول النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن عمر: ﴿ الإسبال في الإزار والقميص والعمامة ﴾ أخبر أن الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، وأنها يشملها الإسبال.

ونقول: إذا كان الإسبال يشمل القميص والعمامة والإزار وأن التي نهي عن إسبالها يشمل جميع الثياب، كذلك الثياب التي أمر بتشميرها ورفعها شامل لها، ولو كان هنالك تخصيص لنوع من الثياب، نوع يحرم إسباله عموم الثياب، ونوع من الثياب يكون رفعها فوق الكعب، حسب، ونوع آخر السنة أن ترفع إلى نصف الساق، لكان بيان هذا من أهم المهمات؛ لأنه مما يخفى وطلب استنباطه يكون فيه تكلف في هذه الحال.

دليل آخر أيضا أنه قد تقرر عند أهل العلم أن ما خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، من قواعد أهل العلم في المفاهيم في دلالات الألفاظ، يذكرون أنهم يقولون: ما خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له. وهذا يكاد يكون متفقا عليه، ولا شك أن قوله: إزرة المؤمن أنصاف ساقيه. أنه خرج مخرج الغالب؛ لأن الغالب على العرب كما قال ابن جرير –رحمه الله– أنهم يلبسون الأزر ويكثرون من لبسها لأنها أيسر لهم.

فالنبي –عليه الصلاة والسلام– لما نص على الإزار؛ لأنه هو المعتاد وهو الأكثر وهو الغالب، فغير الإزار في حكمه، أو من باب أولى.

.....

أيضا دليل رابع: قول النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ﴾ علقه بوصف مدحٍ وهو أنه قال: إزرة المؤمن وهذا تعليق بوصف مدح، وإذا كان تعليق بوصف مدح، دل على أنه أمر مطلوب، وقد علم عند أهل العلم، أن القميص أفضل من الإزار؛ لأنه أبلغ من الستر، وإذا كان هذا الوصف للإزار، وأن إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، فلا شك أنه في القميص من باب أولى، لفضل القميص على الإزار، ولما في الحديث من حديث أسماء أو من حديث أم سلمة أحدهما رضي الله عنهما، أنه –عليه الصلاة والسلام– كان أحب الثياب إليه القميص. لأنه أبلغ في الستر، فهذا واضح وظاهر.

فإذا كان لبس الإزار على هذا الوصف يكون وصف مدحٍ وهو أنه من لباس أهل الإيمان، ففي القميص من باب أولى.

وجه خامس أيضا يظهر بالتأمل: أنه –عليه الصلاة والسلام– كما في حديث حذيفة رواه النسائي وغيره بإسناد صحيح وجاء عن غير حذيفة، أخذ بعضلة ساقه، وفي لفظ بنصف ساقه، فقال: ﴿ إزرة المؤمن إلى هذا، فإن أبيت فإلى هنا، فإن أبيت فلا حق للكعبين في الإزار ﴾ .

وقد علم أنه لا حق للكعبين لا في الإزار ولا في القميص ولا في السراويل ولا في المشالح، كلها لا حق لها فيها، وهذا يدل على أنه أراد عموم الثياب، إذ لو قلنا: إن المراد به الإزار وحده لكان إسبال الثياب تحت الكعب جائز؛ لأن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ لا حق للكعبين في الإزار ﴾ لو أخذنا بظاهر هذا اللفظ بقوله: ﴿ إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ﴾ لجادل مجادل وقال: كذلك أيضا الإسبال المحرم هو إسبال الإزار وحده؛ لأنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ لا حق للكعبين في الإزار ﴾ فغيره كذلك.

أيضا وجه خامس أو سادس: ما رواه الترمذي في الشمائل، والنسائي في حديث عبيد بن خالد رضي الله عنه ﴿ أنه كان يمشي وعليه بردة ملحاء، يعني تميل إلى البياض غير الناصع أو البياض الذي فيه سواد، قال: فناداني رجل فإذا رسول الله ﷺ فقال: ارفع إزارك إلى أنصاف الساقين– أو نحو ذلك– أو قال: ارفع إزارك، قال: فقلت: يا رسول الله إني كذا أو قال: إني حمش الساقين، فقال: أما لك فيّ أسوة. وكان قال: ارفع ارفع ثوبك – وكلمة الثوب كما قد علم تشمل جميع أنواع الثياب– قال:

.....

—

والتفت فإذا إزاره إلى أنصاف ساقيه ﴾ فدل على أن وصف المدح شامل لجميع أنواع الثياب، كما تقدم.

وأيضا ربما بالتأمل يظهر وجوه أخر يظهر بالتأمل وجوه أخر في هذه المسألة، وبالجملة هذا هو الأصل، هذا هو الأصل فيما يأتي من النصوص في هذا الباب، لكن مثل ما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– في حديث حذيفة وما جاء في معناه، كذلك في حديث أبي جريج جابر بن سليم، لما قال: ارفع إزارك، ارفع إزارك، وأمره بأن يتزر هذه الإزرة، هذا هو وصف مدح.

وإذا كان المكلف أو اللابس راعى أحيانا بعض الأمور وبعض المصالح الشرعية، فكثير من أهل العلم يرون أن مراعاة أحوال الناس لتحصيل المصلحة على وجه لا يترتب عليه أمر محرم، ويحصل مصلحة شرعية؛ فإن هذا لا بأس به إذا كان لم يقع في محرم، وترخص برخصة شرعية وقصد مقصدا صالحا حسنا.

والقول الضعيف فضلا عن القول الذي ليس بضعيف ربما كان العمل به حسنا بما يعرض بشرط أن لا يكون ضعفه شديدا، فمن باب أولى إذا كان هذا في أمر فيه سعة من السنة، لكن قصد تقرير أن النصوص على عمومها من جهة المعنى، ثم أيضا كما تقدم من قول: إزرة المؤمن أيضا مفهوم لقب في الحقيقة، مفهوم لقب، يعني هو مفهوم غالب من جهة، ومفهوم لقب من جهة أخرى.

من جهة ذكر الثوب مفهوم لقب، مثل ما تقول: جاء محمد، وجاء أحمد لا يفهم منه أنه لم يأت غيرهما، ومفهوم اللقب لا يعتبر مفهومه بل يعمل به فيما دل عليه من المعنى، الذي فهم من مفهوم آخر وهو مفهوم الغالب كما تقدم، فهذه الأوجه أمامنا تدل على هذا المعنى وبالجملة الإسبال بكل شيء بحسبه، بالثياب بحسبها، وبالعمائم بحسبها.

فإطالة كل شيء بحسبه، وإسبال الثياب والقميص والسراويل هو أن تنزل عن الكعبين، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار ﴾ وهذا أيضا عام يدل عمومه أنه شامل لكل ثوب يلبس، سواء كان اقترن بالكبر أو لم يقترن، وإذا اقترن بالكبر كان محرما آخر، كما تقدم، نعم.

الأكل والشرب باليمين

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ﴿ إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ﴾ أخرجه مسلم .

—

وهذا حديث ابن عمر ثبت معناه أيضا في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ﴿ لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بشماله ﴾ وهذا النهي للتحريم، ثم علل "فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله" ولا يجوز التشبه بالشيطان، بل إذا كان لا يجوز التشبه بالحيوانات، ولا يجوز تشبه الرجل بالمرأة ولا المرأة بالرجل، فكيف التشبه بالشيطان.

إذا كان الشيء مجانسا لشيء فتشبهه به لا وحشة فيه، لكن جاء الشارع بين أن تشبه جنس بجنس آخر فيما هو من خصائصه لا يجوز، فكيف إذا كان جنسا آخر، كالتشبه بالحيوانات، وأقبح من ذلك التشبه بالشياطين، ورأس الشياطين إبليس وذريته، هو يأكل بشماله ويشرب بشماله، فهو هديه وسنته.

بل إذا كان لا يجوز التشبه باليهود والنصارى في هديهم فكيف بالشيطان فهو أقبح، وهذا يبين أنه محرم؛ لأنه علقه وعلله بأمر منكر وهو التشبه بالشيطان، خاصة في مثل هذه الخصلة، وهي الأكل والشرب الذي يستدعي شكر النعمة، ولهذا في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في الصحيحين: ﴿ أن رجلا أكل عند النبي –عليه الصلاة والسلام– بشماله قال: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت –فما رفع يده– ما منعه إلا الكبر ﴾ دل على أن الأكل بالشمال من دلائل الكبر إلا لعذر.

وفي حديث عمر بن أبي سلمة في الصحيحين، رضي الله عنهما، أنه قال: ﴿ كنت غلاما تطيش يدي في الصحفة، فقال لي النبي –عليه الصلاة والسلام–: يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك ﴾ .

. . . . . .

—

وهذه أوامر، أولها: سم الله، ثم قال: كل بيمينك، يدل على أن الأكل باليمين واجب، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان من سنته تناول الأشياء الحسنة بيمينه ومن ذلك الأكل بها والشرب بها، نعم.

الإسراف في الطعام والشراب

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ كل واشرب والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة ﴾ أخرجه أبو داود وأحمد وعلقه البخاري .

—

نعم "كل واشرب والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة" وهذا أمر بالأكل والشرب: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [1] فلا يأكل على جهة إسراف، ولا يشرب على جهة الإسراف، في حديث المقداد بن معديكرب: ﴿ بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ﴾ .

وجاء في هذا المعنى عدة أخبار تدل عليه، وكذا قال ابن عباس: كل واشرب وتصدق في غير سرف ولا مخيلة. ولهذا سيأتي في حديث المغيرة بن شعبة هذا المعنى، وأن الإسراف منهي عنه، والجمهور على أن الإسراف في المباح مكروه، وذهب جمع من أهل العلم إلى أن الإسراف منهي عنه، وجنح بعضهم إلى التحريم، وهو رأي تقي الدين.

وإذا استلزم على الإسراف تضييع الأموال، تضييعها وعدم صرف المصالح، ولزم منه تضييع حقوق لإخوانه المسلمين ممن هو محتاج فإنه يحرم، وإن كان إسرافا مجردا فإن هذا مما يكره، وقد يحرم، وإن كان تأنق في الطعام أو في الشراب مما يتناول ويؤكل، لكنه تأنق وتحسين، يعني إسراف من جهة الصنعة لا من جهة إكثارها، الإسراف إما من جهة الكثرة في الشيء، وإما من جهة إنفاق الدراهم الكثيرة في تحسين الطعام، فهذا لا بأس به.

أما إذا كان إسرافا من جهة المبالغة في جلب الأطعمة والملابس التي لا يحتاج إليها فهذا هو موضع الخلاف، أما إذا كان الإسراف من جهة التأنق وتحسين الطعام، وبذل الأموال فيه فهذا لا بأس به. فلو

- ١سورة الأعراف آية : ٣١.

.....

أن إنسانا دعى إخوانه وأكرمهم وبالغ في إكرامهم في أن يكون طعاما حسنا طيبا، واختار لهم جيد الطعام بالدراهم الكثيرة هذا لا بأس به.

وقد ثبت عن الإمام أحمد –رحمه الله– أنه دعاه بعض أصحابه، كما ذكره أبو يعلى –رحمه الله– ومعه أبو خيثمة ويحيى بن معين، وكان قد صنع لهم حلوى، حلوى جيدة، بنحو ثمانين درهم في ذلك الزمن، وهذا ثمن غالٍ مرتفع، فقال أبو خيثمة: هذا إسراف. يقوله لمن دعاه رزق الله بن موسى الذي دعاهم، قال: هذا إسراف، والإمام أحمد يسمع –رحمه الله– فقال أبو عبد الله –رحمه الله–: لو أن الدنيا تكون لقمة واحدة فأخذها المسلم فجعلها في فم أخيه فلا بأس بل هو حسن، قال يحيى بن معين: أصبت يا أبا عبد الله أصبت وسكت أبو خيثمة، فكأنه وافقه.

وهذا مما يدل على أنه لا بأس به لكن هذا من باب جهة المبالغة في التأنق على جهة الإكرام، أما إذا كان الإسراف من جهة الكثرة – يعني من جهة الكمية لا من جهة الكيفية – فالإسراف إما يوجد من جهة الكيفية أو من جهة الكمية، فإن كان من جهة الكم ويترتب على الإسراف عدم استعمال وأكل هذه الأطعمة، عدم لبس هذه الثياب فهذا منهي عنه، دائر بين التحريم والكراهة.

والقول بالتحريم له قوته، وهو ظاهر الأدلة، وإن خالف في ذلك الجمهور، وإن كان من جهة الكيفية، ويقصد بذلك إكرام قرابة أو صديق أو أهل العلم من إخوانه أو ما أشبه ذلك فلا بأس بذلك ما لم يفوت أمرا واجبا أو مصلحة أتم من هذا، نعم.

فضل صلة الرحم

باب البر والصلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ من أحب أن يبسط عليه في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه ﴾ أخرجه البخاري.

—

هذا اللفظ له حديث – عندكم من أحب ولا من سره، من أحب، نعم هم نعم.

﴿ من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه ﴾ وفي الصحيحين من حديث أنس: ﴿ من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه ﴾ والأثر هو أثر الإنسان أثر خطواته ومشيه.

والمرء ما عاش ممدود له أثر لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر

أو: أو:

..... **لا ينتهي الأثر حتى ينقضي العمر**

كما قال زهير بن أبي سلمى، والأثر يتبع العمر، والإنسان ما دام حي ويمشي فأثره يتبع عمره، فإذا انقضى العمر انقطع الأثر، ولذا قال: ﴿ وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه ﴾ وهذا فيه فضل صلة الرحم بل وجوبها. والأدلة في هذا المعنى كثيرة عنه عليه الصلاة والسلام في وجوب صلة الرحم.

والرحم صلتها واجبة، ولا يجوز قطعها هذا كما قال الله ﷻ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] **وهو المبالغة في قطع الأرحام، فذكر هذه العقوبات، وهذا الوعيد في قطع الرحم.**

- ١سورة محمد آية : ٢٢-٢٣.

.....

لكن مراتب الرحم كثيرة، وتختلف وأعظمها صلة الوالدان كما سيأتي ثم من يليهم، وجاء في هذا المعنى أخبار كثيرة، بل ثبت في الصحيحين من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن خالد بن زيد أن رجلا جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وكان أصحابه حوله، ثم شق الصفوف إليه ثم قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم "وتصل الرحم" نص على صلة الرحم.

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الرحم معلقة بالعرش، وأنها أخذت بحقو الرحمن، وقالت: هذا مقام العائذ بكَ من القطيعة، قال: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك متفق عليه عن أبي هريرة.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة، ومن حديث عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال: الرحم شجنة من الرحمن قال: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك يقال: شُجنة وشِجنة، والشِجنة يعني العروق المشتبكة في الشجرة، يعني في اتصالها، وشدة ارتباطها جعلها كالعروق المشتبكة، وأن من قطعها فهو مقطوع منه – سبحانه وتعالى – وذلك أنها من أعظم الصلات به – سبحانه وتعالى – هو صلة الرحم.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري في حديث عبد الله بن عمرو: ليس الواصل بالمكافئ إنما الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: أن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة – يخبر عن قرابة – أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويجهلون علي، وأحلم عنهم ويسيئون إلي، قال: " إن كنت كما تقول فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك " قال: وأحلم عنهم ويسيئون إلي، فأمره أن يحسن إليهم، وهذه هي الصلة الحقيقية، وهذا هو الواصل الذي يصل إلى من قطعه.

وروى الترمذي بسند جيد أنه عليه الصلاة والسلام قال: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر .

وثبت معناه من حديث عائشة –رضي الله عنها– عند أحمد أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار ﴾ وهذا مشاهد ممن كان

بينهم صلة وتواصل فإن له أثر عليهم في أموالهم، وفي أعمارهم، ولو كانوا مقصرين، بل جاء في بعض الأخبار أنهم ولو كانوا عندهم شيء من الفجور فإنهم يبارك لهم في أموالهم وأعمارهم، وإن كانوا مؤاخذين من جهة أخرى.

والأحاديث والأخبار في هذا المعنى عن النبي عليه الصلاة والسلام متواترة كثيرة، ولهذا عظم أهل العلم، هذا الشأن وبينوه وبينوا أن أعظم الصلة هي صلة الدين، وأعظم الرحم هي رحم الدين، وإذا كانت الرحم توصل وأن أجرها عظيم، فرحم الدين أعظم من رحم الولادة، ولهذا قطعت الصلة بين المسلم والكافر ولا صلة بينه وبينه، ولو كان ابنه، وكانت الصلة بين الرجلين، والرجل والمرأة، والمرأة والمرأة، ولو كانا متباعدين في بلديهما وفي جنسهما، لأنه تجمعهما أخوة الدين والإيمان: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ﴾ [1] وهي أعظم الرحم رحم الدين، وإذا اجتمعت مع القرابة كانت أتم وأتم وأعظم.

فالأخبار كما تقدم في هذا كثيرة ومنها هذا الخبر الذي ذكره المصنف –رحمه الله– قوله: ﴿ وأن ينسأ له في أثره ﴾ اختلف العلماء فيه على معاني قيل: هو البركة في الوقت، والبركة في المال، والبركة في الذكر الطيب بعد وفاته، وقيل: إنه على ظاهره وأنه يزاد في عمره حقيقة، وهذا أظهر أنه يزاد في عمره، فلو أن إنسانا يصل رحمه، أو أن إنسانا لا يصل رحمه، فإن عمره يكون هذا القدر، وإنسان آخر يصل رحمه يكون عمره أكثر منه.

وهذا كما ذكر العلماء في صحف الملائكة، فإن صحف الملائكة عندهم أن الله يأمر يقول: إن كان إن وصل فلان رحمه فاجعلوا له مثلا من العمر ثمانين سنة تسعين سنة، مائة سنة، اجعلوا له مثلا مائة سنة، وإن لم يصل رحمه فاجلعوا له ثمانين سنة، أو إن وصل رحمه فاجعلوا له ثمانين، إن لم يصل رحمه فاجعلوا له ستين.

- ١سورة الحجرات آية : ١٠.

. . . . . .

فالذي في صحف الملائكة هو الذي يتغير، والله ﷻ لا يتغير ما في علمه، ويعلم فلان ماذا يعمل وهو عليه قوله: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [1] ومنه هذا على أحد القولين، واختلف العلماء هل في أم الكتاب هل فيه محو أو هو خاص بصحف الملائكة على قولين لأهل العلم، لكن صحف الملائكة، يأتي فيها المحو وهم يراقبون هذا فإن وصل رحمه، جعلوا له من العمر هذا الشيء وقبضوه على هذا القدر؛ لأن الله أمرهم، وإن لم يصل رحمه، يقبضونه على القدر الذي أمرهم الله، والله ﷻ يعلم حال هذا هل يصل رحمه، أو لا يصل رحمه، وهذا هو أظهر القولين لظاهر الخبر كما تقدم نعم.

- ١سورة الرعد آية : ٣٩.

وعيد قاطع الرحم

وعن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ لا يدخل الجنة قاطع ﴾ يعني قاطع رحم، متفق عليه.

وهذا الحديث أيضا فيه وعيد في قاطع الرحم: لا يدخل الجنة قاطع، قال سفيان: يعني قاطع رحم، وهذا الذي ذكره سفيان جاء عند البخاري في الأدب المفرد -رحمه الله- مرفوعا إلى النبي نصا من رواية عبد الله بن صالح، عن الليث عن عقيل عن الزهري، بهذا الإسناد عن محمد بن مطعم عن جبير بن مطعم، واختلف الرواة عن الزهري، وظاهر رواية عقيل أنه مرفوع، وظاهر رواية سفيان أنه من تفسيره، إما من نفسه أو أخذه عن الزهري، لكن ظاهر رواية عقيل بن خالد بن عقيل، أنه مرفوع، وبالجملة المعنى واضح لا يدخل الجنة قاطع؛ أي قاطع رحم، وهذا على ظاهره.

وفيه وعيد شديد، وهذا من الذنوب التي ورد فيها الوعيد، وكل ذنب ورد فيه الوعيد بالآخرة فهو من الكبائر، ولذا قالوا: إنه ما ورد فيه وعيد أو حد في الدنيا أو نفي إيمان.

والذنوب إلى صغائر وكبائر:

وكن عالما أن الذنوب صغيرها ... وكبيرها قسمت سورة في المجود
فما في حد في الدنى أو توعد ... فسم كبرى على نص أحمد
وزاد حفيد المجد أو جا وعيده ... بنفي لإيمان ولعن مبعد

كما يقول ناظم الكبائر الحجاوي -رحمه الله- من هو حفيد المجد؟

وزاد حفيد المجد أو جا وعيده ... بنفي لإيمان ولعن مبعد

نعم هو شيخ الإسلام والمجد هو من جده المجد اللي هو عبد السلام بن تيمية، هو عبد السلام، وأبوه عبد الحليم، لكن اشتهر المجد، وحفيده المجد هو عبد السلام، وحفيده، والحفيد يطلق على ولد الولد ويطلق على الولد يطلق عليهما، لكن المشهور أنه على ولد الولد وقد يطلق على

الولد، وأبوه عبد الحليم، عبد الحليم، وهو عالم كبير –رحمه الله– لكنه كما قال الذهبي: نجم بين الشمس والقمر،

.....

اختفى بين الشمس والقمر، بين المجد صاحب المنتقى رحمه الله، وأبي العباس ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم.

وكل هذا من الكبائر هذه، وهو ما جاء فيه وعيد أو حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة أو نفي لإيمان، ومن هذا لا يدخل الجنة قاطع.

ومثله ما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة – رضي الله عنه – لا يدخل الجنة قتات أيش معنى قتات: نمام، النمام، كذلك مثل الوعيد في القتات الوعيد في القاطع، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه وهو من صحيح أبي هريرة، وإن كان المشهور في رواية الصحيحين: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله قال: من لا يأمن جاره بوائقه كذلك لا يدخل الجنة مدمن خمر ومصدق بالسحر وعاق لوالديه هذا نفي على ظاهره.

أما ما يقوله كثير من الشراح ويقع في كلامهم، مثل كلام الحافظ بن حجر: لا يدخل يعني لا يدخل من أول وهلة، هذا تأويل فيه نظر، والصواب: أن نقول لا يدخل الجنة على ظاهره، لا يدخل الجنة مثل ما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

أما لا يدخل الجنة من أول وهلة، هذا خلاف ظاهر النص، مثل قوله: لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر لا يدخل الجنة، ولهذا نقول: كل من يدخل الجنة فلا يدخلها إلا وقد خلا من هذه الأوصاف، أما إذا كان بهذا الوصف فلا يدخل الجنة، ولهذا لو سألني سائل هل هذا عام في الكفار والمسلمين؟ نقول: نعم، هذا عام في الكفار والمسلمين، إذا جاء النهي فهو عام كما أنه عام في الكفار كذلك عام في أهل الإسلام لا يدخل الجنة قاطع لا يدخل قتات وهكذا لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر .

فهو بهذا الوصف لا يدخل الجنة، لكنه – سبحانه وتعالى – يطهره، فإذا طهر فإنه يدخل الجنة، أما قبل ذلك وهو بهذا الوصف؛ لأن كل عبد يبعث على ما مات عليه فإذا مات إنسان وهو قاطع للرحم، مات إنسان وهو قتات يبعث على ما مات عليه معه الإسلام، لكنه بهذا الوصف ما دام هذا الوصف الذي هو قائم ولم يتب منه لا يدخل الجنة، لكن الله – سبحانه وتعالى – إما أن يعفو عنه

. . . . . .

—

فيذهب خبثه ورجسه ويكون طاهرا ويدخل الجنة، أو أنه – سبحانه وتعالى – يبتليه بمصائب في الدنيا مع أنه قاطع قائم على القطيعة وتأتي المصائب ويبتلى بها وتمحو ذنوبه فيموت وقد زال وصف هذا الخبث بما ابتلاه الله به من المصائب.

أو أنه –سبحانه وتعالى– يوقعه مثلا في عذاب القبر أو مصائب وشدة القبر وما أشبه ذلك فإنه يزول هذا الوصف عنه ولا يدخل الجنة وهو في هذا الوصف القائم، أو بشفاعة الشفعاء أو ما أشبه ذلك.

المقصود أن كلامه عليه الصلاة والسلام على عمومه، ويبقى كما هو وهو واضح تام الوضوح، ولا يخالف الأخبار الأخرى إذ لا يدخل الجنة إلا من كان سالما من جميع الذنوب؛ لأن الدور ثلاثة:

دار لمن خلص خبثهم، وهي النار. ودار مختلطة، وهي الدنيا، فيها الطيبون وفيها الخبث. والدار الكبرى والعظمى هي دار الجنة أهل الطيب والسلامة، من جميع أنواع الشرك، هذه هي دار الطيبين والطاهرين، فلا يدخلها إنسان وهو قاطع، لا يدخلها إنسان قتات بل لا يدخلها إلا وهو طيب. فكما تقدم إذا زال هذا الوصف عنه إما برحمة الله أو بشفاعة الشفعاء، أو بمصائب أو ما أشبه ذلك فإنه يدخل الجنة نعم.

حرمة عقوق الأمهات ووأد البنات وإضاعة المال

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: ﴿ إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال ﴾ متفق عليه.

—

نعم، وهذا مثل ما تقدم في تحريم العقوق، وهو من الكبائر، من الكبائر، وأنه لا يجوز ونص على الأمهات لكثرة حقوقهن؛ ولأن لها حقوقا كثيرة كما في الصحيحين ﴿ أن رجلا قال يا رسول الله من أبر مني بحسن الصحبة؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أباك ﴾ وفي لفظ آخر: أمُّك أمُّك أمك ثم أبوك هذا وهذا.

وجاء هذا المعنى أنه عليه الصلاة والسلام أوصاهم بأمهاتهم ثلاث مرات، ثم الآباء، ثم الأقرب فالأقرب فنص على برها؛ لأنها عانت أمورا ثلاثة: الحمل، آلام الحمل، وآلام الوضع، وآلام التربية والرضاع في حال الصغر ﴿ إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ﴾ وإلا فالعقوق محرمة للعموم.

ثم أيضا الأم في الغالب لضعفها، يجترئ عليها أولادها، فلهذا نص على ذلك من جهة أنها لضعفها وتجرؤ أولادها عليها من البنين والبنات، فبين حقوقها وأن الواجب هو القيام بحقوقها وإكرامها ومراعاتها في جميع أحوالها.

ووأد البنات، وهذه من سنة الجاهلية التي أبطلها الإسلام، واختلف فيمن بدأها، هل هي...، وهل الوأد كان لجميع الأولاد من الذكور والإناث؟ والجاهلية منهم يئد البنين والبنات، ومنهم من يئد البنات، لكن كان وأد البنات فيهم أكثر، وهذا من أعظم القطيعة، ذكر أن هذا من أعظم القطيعة وهو قتل الولد كما سيأتي في حديث عبد الله بن مسعود.

"ومنعا وهات" يقال: ومنعا وهات ويقال ومنع وهات، وهات، ومنعا يعني منع الحق الواجب، وأنه لا يجوز، وهذا يبين أنه يجب أن يؤدي الحقوق الواجبة.

.....

ومن أعظم وألزم الحقوق هي الحقوق الواجبة عليك لوالديك، فناسب ذكره فلا يمنع الحق الواجب عليه؛ لأنها حقوق كثيرة، ويشمل جميع ما يجب بذله، ولا يجوز منعه، ومنعا وهات، هاتِ أن يطلب ما ليس له، ثم أطلق الممنوع، أطلق الشيء الذي يمنع، وأطلق الشيء الذي يطلب، ومن القواعد في علوم البلاغة أن حذف المتعلق وكذلك في الأصول، أن حذف المتعلق يشعر بالتعميم، فإذا قال: منعا وهات، لماذا قال، وأيش يمنع؟ حتى يشمل كل ما يمنع، وأنه يجب بذله، وكذلك أن يطلب شيئا ليس له، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، وهذه ذكر العلماء فيها بحوث ومسائل، وخاصة إضاعة المال وتقدم إن شاء الله شيئا من ذلك.

"كره لكم قيل وقال" وهذا اختلف فيه، والأظهر والله أعلم أنه يشمل جميع الأقوال التي لا تتحقق ولا تستند إلى شيء، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود بسند جيد: ﴿ بئس مطية الرجل زعمه ﴾ وإن كان كلمة الزعم لا بأس بها واستخدمها أهل العلم والرواة، وجاءت في الأخبار كثيرا، لكن إذا كانت دائم القول في زعموا ويكثر منها ولا يتحقق، فإذا أطلقت ولهذا كان الصحيح أنها بحسب القرائن، فإن دلت على عدم التحقق وكثر إطلاقها فمثل هذا مما ينهى عنه، ولهذا روى مسلم، في مقدمة صحيحه، أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك، وأن يحدث، قال: ﴿ كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ﴾ وهذا كما تقدم، منهي عنه، قيل وقال.

وكذلك أيضا حذف المتعلق ليشمل كل شيء، ثم هذا يشمل الأقوال التي تتحقق والتي تنقل وأقبحها إذا كانت في غيبة، ونميمة، ثم يليها بحسب ذلك مراتب عظيمة.

وأيضا يشمل حكاية بعض الأقوال التي عن بعض أهل العلم من الأقوال التي تقدح فيهم، والواجب صيانة أهل العلم، فأهل العلم في أي زمان في قديم الزمن وحديثه إذا قال قولا أو تكلم بكلام يعلم اجتهاده، وأنه يريد الصواب فلا يجوز عيبه وشينه بقول قاله يكون عيبا على أهل العلم، فالواجب المناصحة.

ولا يجوز إشاعة الأقوال الباطلة ونقلها، فالمؤمن ينصح عموما، فكيف بأهل العلم حق عليهم، إلا من عرف تماديه في الباطل وما أشبه ذلك فهذا له لون آخر، لكن الشأن أنه لا يجوز شين أهل العلم.

.....

ولذلك ذكروا إن الإنسان إذا وجد أقوال لا تصح، فإنه يذكرها ويبطلها لكن لا يذكر أصحابها إلا على سبيل التقدير لهم والاحترام لهم حينما يذكرهم، أو أنه يطوي بساط القول في ذلك ولا يذكرهم ويذكر القول ويبين بطلانه ولا يذكر القائل، ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يوري في مثل هذا، يقول: "ما بال أقوام" ما كان يصرح.

"وكثرة السؤال" يشمل السؤال سؤال المال وغير سؤال المال، وكذلك السؤال في المسائل التي فيها مغالطة وفيها إلغاز وتحجية وإحراج، هذه منهي عنها، ولذلك روى أبو داود من حديث معاوية – رضي الله عنه – أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن الغلوطات – وهي التي يغالط بها، وإضاعة المال أيضا، مثل ما تقدم، وهذا من الأدلة التي استدل بها جمع من أهل العلم على أن إضاعة المال – وهو إنفاقه على وجه الإسراف – أنه لا يجوز نعم.

رضا الله في رضا الوالدين

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: ﴿ رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين ﴾ أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم.

وهذا الحديث رواه الترمذي من طريق يعلى بن عطاء العامري عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، ويعلى لا بأس به ثقة، وعطاء العامري أبوه هذا مقبول، في درجة المقبول، ويحتمل أن يكون الحديث من باب الحسن لغيره للأحاديث، وبالجملة الحديث فيه لين، لكنه في باب الشواهد، ورضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين، ولهذا قرن الله شكرهما: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [1].

وفي حديث أبي الدرداء عند الترمذي بسند جيد ﴿ أن رجلا جاءه وسأله وقال: إن لي امرأة وإن أبي – أو قال أمي – يأمرني بطلاقها، فقال – فيشار لذلك – فقال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يقول: "الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فاحفظ ذلك الباب أو ضيعه" ﴾ قد جعل أوسط أبواب الجنة، فالوالد يشمل الوالد والوالدة، وهذا المعنى متفق عليه كما تقدم، لكن رضاهما في غير معصية الله، المراد رضاهما في غير...، ولذلك قال رضا الله ولا يكون رضاه –سبحانه وتعالى– إلا في غير معصيته، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي الصحيحين: ﴿ إنما الطاعة في المعروف ﴾ نعم.

- ١سورة لقمان آية : ١٤.

لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه

وعن أنس ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: ﴿ والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ متفق عليه.

وهذا اللفظ لو قال: واللفظ لمسلم لكان أحسن، لأن هذا هو اللفظ لفظ مسلم، والذي في صحيح البخاري: ﴿ لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ حديث أنس، وهذا اللفظ: والذي نفسي بيده زيادة، والذي نفسي بيده، وكذلك الشك: حتى يحب لجاره أو لأخيه، البخاري الجزم بلا شك: ﴿ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ في رواية عند أحمد والنسائي بسند صحيح: ﴿ حتى يحب لأخيه من الخير ﴾ بين، وهذا لأنه يشمل جميع أنواع الخير ﴿ حتى يحب لأخيه من الخير ﴾ ويشمل بالمفهوم أن يبغض له ما يبغض لأخيه، لأن محبة الخير تستلزم بغض الشر لأخيك المسلم، وهذا من أعظم وأفضل خصال الإيمان.

وكذلك الجار، والجار الأحاديث والأخبار فيه كثيرة في الوصية إليه في الصحيحين من حديث أبي شريح، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ﴾ وفي لفظ الصحيحين: "فليحسن إلى جاره".

وهذا المعنى متواتر في حديث عائشة في صحيح البخاري: ﴿ ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ﴾ وميز بين الجيران، وجعل ما كان أقرب بابا هو أولى بالصلة، وأولى بالهدية، نعم.

وأقسم عليه الصلاة والسلام وهو الصادق البر، وربما أقسم لتأكيد الأمر صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا النفي على ظاهره أيضا، والنفي للإيمان الواجب، هذا الصحيح بخلاف قول من قال يعني أنه الإيمان الكامل، لا الشارع لا ينفي مسمى اسم ويكون المراد به المسمى الكامل، لا، لو كان هذا، لو كان المراد لا يؤمن يعني الإيمان كاملا كان هذا النفي موجودا على عموم المسلمين، إذ لا يخلوا مسلم ومؤمن من نقص في إيمانه.

وهذا باطل لأن المراد لا يؤمن يعني نفي؛ لأنه ترك أمرا واجبا، ولا شك أن من ترك أمرا واجبا فإن الوصف الممدوح قد تركه كما في قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو

.....

مؤمن ﴿ ولهذا عن ابن عباس إن الإيمان يكون فوقه كالظلة، فإن تاب عاد إليه، وعند ابن حبان بإسناد صحيح: ﴿ لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان ﴾ فسره، وأن الحقيقة التي يحصل بها الكمال الواجب بأداء الحقوق الواجبة، واجتناب الأمور المحرمة من حقوق الله وحقوق عباده، نعم.

أي الذنب أعظم؟

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك، قلت ثم أي؟ قال: ثم أن تزاني حليلة جارك متفق عليه.

—

وهذه من الأمور المحرمة، ومن كبائر الذنوب، أما أولها ظاهر: وهو الشرك الأكبر أن تجعل لله ندا وهو خلقك.

والثاني: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك.

والثالث: أن تزاني بحليلة جارك.

ذكر أمورا وذكر نوعا خاصا من الشرك أن تجعل لله ندا وهو خلقك –سبحانه وتعالى – علق وبين أنه هو الخالق –سبحانه وتعالى– وهو المستحق للعبادة، وأعظم الحقوق وأجلها هو حقه – سبحانه وتعالى– وأعظم الباطل هو إبطال هذا الحق، أن تجعل معه ندا –سبحانه وتعالى.

ولهذا كان هذه الكبيرة وهي أكبر الكبائر لا ينفع معها عمل، عند الله عز وجل ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] **وقال – سبحانه وتعالى:** ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [2] **وقال:** ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [3] .

- ١سورة الفرقان آية : ٢٣.

- ٢سورة الزمر آية : ٦٥.

- ٣سورة الأنعام آية : ٨٨.

.....

—

والخصلة الثانية: أن تقتل ولدك، ذكر نوعا خاصا من القتل، وهو قتل الولد، وهذا فيه قتل وفيه قطيعة للرحم، حيث قتل ولده خشية أن يطعم معه، كما كان يفعل أهل الجاهلية في قتل أولادهم من البنين والبنات، أو خشية العار للبنات.

ثم أن تزاني بحليلة جارك وهذا الزنى قبيح، وإذا كان بحليلة الجار كان أقبح وأقبح، الجار الذي حقه من أعظم الحقوق، في صلته وبره، تخاتله، وتزاني، قال: تزاني يعني يدل على أن الأمر وقع عن مخادعة، تزاني عن مخادعة حتى وقع في هذا الأمر وهو الزنى بهذا، ولهذا روى الإمام أحمد –رحمه الله–: لئن يسرق الرجل من عشرة أبيات خير من أن يسرق من الجار، ولئن يزني بعشر نسوة – يعني أن زناه بامرأة جاره شر من زناه بعشر نسوة، وسرقته من بيت جاره شر من سرقته من عشرة أبيات – وإن كان لفظ الحديث خير فالمراد ليس المراد بها المفاضلة كما يقع.

لكن الحديث المقصود منه أنه إذا تقبيح أمر الزنى وأمر السرقة من الجار، وكما في هذا الحديث، ولهذا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [1] .

جاء في رواية مسلم، فأنزل الله تصديق هذا بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [2] الآية، نزل تصديقا لما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ما يأتي به هو عليه الصلاة والسلام تارة تتواطأ عليه النصوص في الكتاب والسنة، وهذا أقوى الأدلة وهو ما اتفق عليه الكتاب والسنة، إذا اتفق الكتاب والسنة على شيء فهذا من أبلغ ما

- ١سورة الفرقان آية : ٦٨-٦٩.

- ٢سورة الفرقان آية : ٦٨.

.....

يكون، يليه إذا جاءت السنة مفسرة لهذا المعنى، يليه إذا جاءت السنة مستقلة بمعنى، فهذه كلها من طرق الإثبات وهي محل إجماع من أهل العلم.

ما اتفق عليه الكتاب والسنة اتفاقا واضحا والمعنى واضح لا يحتاج إلى تفسير، يليه ما كان في الكتاب وجاء تفسيره في السنة، يليه ما جاءت به السنة مستقلة به، كل هذه من الطرق، يليه الإجماع، ويليه القياس والاعتبار الصحيح، هذه خمسة طرق كلها متفق عليها بين أهل العلم في إثبات الأحكام، ومجمع عليها إجماعا مقطوع به، نعم.

من الكبائر سب الرجل والديه

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: ﴿ من الكبائر شتم الرجل والديه، قيل وهل يسب الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه ﴾ متفق عليه.

وهذا مثل ما تقدم في ذكر الكبائر، وأن منها أن يشتم أو في لفظ يسب الرجل والديه، وهذه يسمونها المجاز المرسل – يسميه بعضهم – وهو ذكر السبب وإرادة المسبب، قال: أن يشتم الرجل والديه وفي الحقيقة الرجل لا يشتم والديه، لكن ذكر السبب وهو شتم الرجل لغيره، فإنه إذا شتم غيره، فإن غيره يقتص ويسبه أو يسب والديه إذا كان سب أباه، فإذا سب رجل أبا الرجل فإنه في الغالب يرد عليه، فجعل السبب موضع المسبب، والسبب هو شتمه لغيره، والمسبب هو شتم غيره لوالديه، فكأنه سب والديه هو وإن كان الذي سب والديه غيره؛ لكنه تسبب، فينزل السبب منزلة المسبب؛ لأنه طريق قريب مفض إليه.

وهذه قاعدة في الشريعة: الذرائع المفضية إلى المقاصد لها حكمها، وتأخذ مرتبتها في باب التحريم وفي باب الوجوب.

الذرائع التي توصل إلى الأمور المحرمة محرمة، إذا كانت ذرائع قريبة، أما إذا كانت ذرائع بعيدة أو متوسطة، فهذا محل إجمال ومحل وتفصيل، أما الذرائع القريبة فإنها تأخذ حكم المقاصد؛ لأنها مفضية إليها إفضاء؛ ولهذا حرم الخمر وجعل مسكرا وإن كان لا يسكر، لو شربه ولم يسكر، ولم يخمر عقله حرم وجعل حكمه حكم الخمر؛ لأنه يفضي إلى الإسكار غالبا، فجعل شربه بمنزلة الإسكار، وكل مسكر خمر، جعل المسكر خمرا وسماه خمرا، ولهذا لو شرب جرعة من خمر فإن حكمها حكم الخمر التي تخمر العقل؛ لأنها ذريعة قريبة وطريقة مفضية إلى مقصود محرم، كذلك إذا

كانت مفضية إلى مقصود مشروع، ولهذا يقول – سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا

.....

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [1] حرم الذرائع المفضية إلى المحرمات، وهذه مراعاتها تنفع طالب العلم، في مسائل كثيرة تعرض له في باب الدعوة إليه – سبحانه وتعالى – والجهاد وفي أمور كثيرة حينما يقارن ويميز بين المسائل، وطالب العلم هو الذي يميز بين خير الخيرين وبين شر الشرين.

أما التمييز بين الخير والشر فهذا كل يميزه، حتى الحيوانات تعرف ما يضرها فتجتنب، تجتنب ما يضرها، وتعرف ما يصلحها فتأخذ به، لكن الشاهد في التمييز بين درجات الحسنات، وكذلك بين دركات السيئات والمفاسد، ودرجات الحسنات والمصالح، فيميز بينها ثم يأخذ بأعلاها في جانب المصالح والحسنات، ويجتنب أعظمها مفسدة في جانب المفاسد والسيئات بارتكاب أدناها.

ولهذا جاءت الشريعة على هذا كثيرا، وجاءت أدلة كثيرة، في المنع من الطرق المفضية إلى الأمور المحرمة، ومن هذا نهي الرجل أن يسب والديه، قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة: ﴿ اتقوا اللاعنين. قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم ﴾ سماهما لاعنين، لأنهما يفضيان إلى اللعن غالبا، نعم.

- ١سورة الأنعام آية : ١٠٨.

هجر المسلم فوق ثلاث

وعن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: ﴿ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ﴾ متفق عليه.

—

وهذا فيه تحريم الهجرة بين المسلمين ، وأن الواجب هو التواصل، ولذا ثبتت الأخبار بهذا من حديث أنس أيضا في الصحيحين تحريم الهجرة أكثر من ثلاث، ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: ﴿ لا هجرة بعد ثلاث ﴾ في صحيح مسلم أيضا من حديث ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال كما في حديث ابن عمر هذا أو في حديث أبي أيوب: ﴿ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ﴾ أي ثلاثة أيام، وفي الآخر: ﴿ يلتقيان – كما هنا – فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبتدئ بالسلام ﴾ .

حديث أبي هريرة عند أبي داود أنه: فإن لقيه فسلم عليه، فقد خرج من الهجرة، وإن لم يسلم عليه فقد خرج المسلم من الهجرة، وباء ذاك بالإثم يعني الذي لم يسلم، وإذا زاد عن ثلاثة أيام عظم الإثم، فإن امتد إلى سنة كان كقتله، كما روى أبو داود بإسناد جيد من حديث أبي خراش أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه ﴾ .

لكن الشريعة هذه كلها حكمة، وكلها مصلحة، ولهذا النفوس بطبيعتها يعرض لها ما يعرض، ولم يأمر من غاضب أخاه وخاشنه بشيء من القول، أن يكلمه مباشرة، لو حصل مخاصمة بين اثنين بعد صلاة العصر اليوم بأمر من أمور الدنيا اختلفا في شيء وتهاجرا، جاء إنسان أجبرهم ودعاهم قال: تصالحا، هذا حسن طيب وهذا هو الواجب، وهذا هو المشروع والحسن، لكن لو قال: نفسي لا تطيعني الآن. نقول: لا بأس لك رخصة، في اليوم الأول يذهب ثورة غضبه، وفي اليوم الثاني يفكر ويعود وينظر، وفي اليوم الثالث تهدأ نفسه، أو في اليوم الثاني تهدأ نفسه وفي اليوم الثالث يعود، فرخص له الشارع ثلاثة أيام، ثم الصحيح أن ثلاثة أيام أنها اثنتان وسبعون ساعة خلافا لمن قال: إنه

.....

—

إذا هجر مثلا من وسط النهار لا يحسب إلى الليل، والصواب أنه ثلاثة أيام بلياليها، في اللفظ الآخر ثلاثة أيام.

ثم بعد ثلاثة أيام يجب عليه أن يكلم ولا يجوز الهجرة، وهذا فيما إذا كان في أمر من أمور الدنيا، أما إذا كانت الهجرة في أمور الآخرة في معصية، فهذا باب واسع والهجرة فيه لها أحكامها وهي مبنية على المصالح قد يهجر وقد لا يهجر، لكن هذا فيما يتعلق بأمور الخلاف والنزاع، فالهجرة مقدرة بثلاثة أيام ولا يحل له بعد ذلك أي هجرة.

ثم الهجرة عند الجمهور تزول بالسلام، وذهب أحمد وجماعة إلى أنه إن كان بينهم مودة قبل ذلك من صلة وبر فلا يزول الهجر بينهما إلا بأن يعودا إلى ما كانا عليه قبل ذلك، وهذا هو الأظهر؛ لأنه في الحقيقة لا زال في النفس شيء وقد يستغلها الشيطان في بقائها، وهذا واقع كثير فيمن لا يعود إلا إلى السلام، فإنهما في الغالب يعودان إلى حال من المهاجرة أخرى، فالواجب أن يعودا إلى فيما كان يعامله قبل ذلك، نعم.

كل معروف صدقة

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ كل معروف صدقة ﴾ أخرجه البخاري.

—

حديث جابر رضي الله عنه رواه مسلم من حديث حذيفة معناه: كل معروف صدقة، والمعروف: ما عرف حسنه في الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلة والبر وإطعام الطعام وبذل السلام، وإزالة الأذى عن الطريق، والدعوى إلى الله والتسبيح والتهليل، ثبت في حديث عائشة وفي حديث أبي ذر هذا المعنى وفي الحديث عن أبي هريرة: ﴿ على كل سلامى صدقة كل يوم تطلع الشمس فيه تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو تحمل متاعه صدقة ﴾ وكذلك في حديث عائشة: ﴿ كل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ﴾ في حديث أبي ذر ﴿ وفي بضع أحدكم صدقة ﴾ فالصدقات كثيرة.

كذلك في حديث أبي ذر الآخر أيضا ذكر أنواعا من الصدقات، وفي حديث عدي بن حاتم في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ﴾ والكلمة الطيبة صدقة، ما في أحد يعجز عن الكلمة الطيبة، وشق التمرة صدقة، شق التمرة، يعني نصف التمرة صدقة، وثبت في الصحيحين ﴿ أن عائشة -رضي الله عنها- شقت تمرة لامرأة أعطتها تمرة فشقتها نصفين فأعطت كل واحدة من ابنيها تمرة ﴾ .

وفي صحيح مسلم أنها كان عندها ثلاث تمرات فأعطتها إياها فأعطت ابنتيها كل واحدة تمرة ثم أرادت أن ترفع إلى فيها تمرة فاستطعمتها ابنتاها فشقتها نصفين فأعطت كل واحدة نصف تمرة ما أحسن هذا الإحسان، إلى هاتين الجاريتين الصغيرتين أمهما تحسن إليهما بشق تمرة ﴾ واتقوا النار ولو بشق تمرة ﴾ ولهذا أعجب عائشة شأنها فأخبرت النبي عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ من ابتلي من هؤلاء البنات بشيء كن له سترا من النار ﴾ وفي لفظ: ﴿ إن الله قد أوجب لها الجنة وحرم عليها النار ﴾ صلوات الله وسلامه عليه، نعم.

لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق ﴾ وعنه ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك ﴾ أخرجهما مسلم.

—

حديث أبي ذر في معنى حديث جابر لكن فيه نصح وإرشاد: ﴿ لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق ﴾ وهذا مثل ما قال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين من حديث عائشة ومن حديث أبي هريرة أنه قال: ﴿ لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة ﴾ وهذا ثبت في حديث أبي جري جابر بن سليم عند أبي داود بإسناد صحيح أنه قال: ﴿ لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلق أخاك ووجهك منبسط إليه ﴾ مجرد انبساط الوجه إلى أخيك هذا من المعروف، فلا يحقرن شيئا من المعروف.

ومثل ما تقدم الكلمة الطيبة صدقة، لأن ما يراد به وجه الله ﷻ لا يحتقر، والله ﷻ لو تصدق العبد بشيء يسير أو تكلم بكلمة يسيرة، ولو تكلم بكلمة يسيرة، فإنه – سبحانه وتعالى– يقبلها بيمينه ويربيها، قال: كما يربي أحدكم فلوة، حتى تكون أعظم من الجبل، يقبلها – سبحانه وتعالى – حتى تكون أعظم من الجبل، ولهذا لا يحتقر المسلم ما يراد به وجهه – سبحانه وتعالى– لأنه يضاعفه ويعظمه.

ولهذا قال: ﴿ ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ﴾ لأنه أمر متيسر، وفي حديث آخر أنه قال: ﴿ إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك ﴾ وفي لفظ: ﴿ فأصبه منها ﴾ .

في حديث جابر عند أحمد من رواية الأعمش قال: بلغني عن جابر ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ إذا طبخت لحمة أو لحما فأكثر ماءها وأوسع على جيرانك ﴾ فمن لم يصبه اللحم أصابه من المرق، وهذا يبين أن طبخ اللحم أفضل من شيه؛ لأن طبخه به مصالح يكون فيه المرق الذي يحصل بطبخه، ويكون فيه فائدة المرق له وبتعهد من يتصدق به عليه، ولهذا قال: ﴿

إذا طبخت مرقة

. . . . . .

—

فتعاهد جيرانك ﷺ فيبين حق الجار بتعاهده، وإذا كان الجار هذا قريبا تأكد حقه، وإن كان مسلما قريبا تأكد حقه؛ لأن الجيران ثلاثة:

فإن كان مسلما قريبا فله حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة، وإن كان مسلما حقان، حق الجوار وحق الإسلام، وإن كان ليس مسلما فله حق الجوار، فالحقوق ثلاثة وكلها حقوق متأكدة، نسأله – سبحانه وتعالى – لي ولكم التوفيق والسداد، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

فضل إعانة المسلم لإخوانه المسلمين

السلام عليكم ورحمة الله، سم الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ﴾ أخرجه مسلم.

—

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، هذا الحديث في فضل إعانة المسلم لإخوانه المسلمين، وما فيه من الأجر العظيم، وهذا المعنى تواترت به الأخبار والأدلة، وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أيضا هذا المعنى أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ﴾ بل في الصحيحين هذا من حديث أبي هريرة هنا، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: ﴿ المسلم أخو المسلم ﴾ ثم قال: ﴿ ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ﴾ وهذا الحديث فيه فضل التنفيس ﴿ من نفس كربة عن أخيه المسلم، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ﴾ وفي حديث أبي هريرة أيضا هذا المعنى: ﴿ والله في حاجته ما كان في حاجة أخيه ﴾ يعني أنه يقوم بحاجته ويكفلها له – سبحانه وتعالى.

وهذا المعنى كما تقدم في فضل التنفيس، ذكر هنا ثلاثة أمور: تنفيس الكربات، والتيسير على المعسرين، والستر على المذنبين. وهذه كلها من أعظم المعاني والحكم.

والكربة أو الشدة يشرع تنفيسها والأفضل تفريجها، ولهذا في حديث أبي هريرة قال: "من فرج – وهنا قال من نفس – من فرج عن مؤمن كربة، فرج الله عنه – سبحانه وتعالى – أو نفس عنه –

. . . . . .

هنا – كربة من كرب يوم القيامة"، وفي ذاك الحديث ذكر التفريج، وأن من فرج عن أخيه كربة، فيفرج الله عنه – سبحانه وتعالى – كربة من كرب يوم القيامة، والتفريج أو التنفيس هو تخفيف الكربة، تخفيفها.

والتفريج هو إزالتها بالكلية، ولا شك أن التنفيس له فيه أجر، والأفضل والأعظم هو التفريج حتى تزيلها بالكلية، هذا هو الأفضل والأكمل، والكرب التي تصيب أخاك المسلم، مما يعرض له في حياته، وكذلك أيضا ما يتعلق بالتنفيس والستر، ولهذا قال: ﴿ ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ﴾ والتيسر على المعسر يكون إما بحق ما عليه من المال إذا كنت تطلبه أنت، أو بالتخفيف عنه، أو بإعانته بشيء من المال، ولذا قال: ﴿ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ﴾ الجزاء من جنس العمل ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ [1] ﴿ من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ﴾ ؛ ولهذا ثبت في الحديث في الصحيحين أبي اليسر كعب بن عمرو رضي الله عنه في صحيح مسلم، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من وضع عن معسر، من يسر على معسر أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم القيامة ﴾ بأن يكون في ظله –سبحانه وتعالى– يوم القيامة.

وفي حديث أبي قتادة في صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو ليضع عنه ﴾ وهذا يبين فضل التنفيس والتيسير على المعسر، فالتيسير تنفيس عنه.

وربما دخل أيضا في اللفظة السابقة من جهة تنفيس الكرب، ولهذا قال: ﴿ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ﴾ فهذا نوع من التنفيس أيضا، حينما تخفف وتعين أخاك المسلم.

- ١سورة الرحمن آية : ٦٠.

وفي حديث عقبة بن عامر عند أحمد أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة ﴾ تظله يوم القيامة الإعانة، وكان كثير من السلف يجتهد ويتحرى في مثل هذا، ويتحرى المعسرين سواء كانوا هو الذي يطلبهم، أو يكون غيره من الناس.

.....

—

وفي حديثٍ عند أحمد ما معناه أنه عليه الصلاة والسلام – وهو حديث جيد – أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من كان له على أخيه دينٌ فله بكل يومٍ مثله، يعني من الأجر، فإن حل الأجل وأنظره، فله بكل يوم مثلاه من الأجر ﴾ أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– ففيه فضل إعانة أن تعين أخاك، يعين المسلم أخاه، تعين المسلمة أختها، كل يعين أخاه، فيما يتيسر وفيما يقدر، وإذا وقع في كربة فإنه ينفس عليه ويخفف عنه.

وهذا المعنى كما تقدم مما يدل على أن من يقع في شيء من ضائقة الدين فإنه يشق عليه ذلك، وإن كان الذي عليه الدين لا إثم عليه إذا كان يأخذه لأداء حق من الحقوق، بل هو في عون الله – سبحانه وتعالى.

وكما في حديث ميمونة وغيرها مما رواه الإمام أحمد –رحمه الله–: ﴿ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ﴾ يعني مدة دوامه في عون أخيه، هذه مصدرية ظرفية ما هنا، يعني مدة كونه في عون أخيه، فإذا كان معينا لأخيه أو يجتهد في إعانة إخوانه فالله في عونه، وفي حديث ابن عمر أن الله ﷻ يكون في حاجته، وأشد الحاجات وأشد الأوقات التي يحتاج العبد فيها إلى عون هو في يوم القيامة، لكن العموم يشمل حاجته وما يعرض له في حياته الدنيا وفي الآخرة، نعم.

من دل على خير فله مثل أجر فاعله

وعن أبي مسعود ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم –: ﴿ من دل على خير فله مثل أجر فاعله ﴾ أخرجه مسلم.

نعم، والحديث السابق أعله بعضهم بأن الأعمش لم يسمعه من أبي صالح، وقال: حدثت عن أبي صالح، ولكنه ثبت موصولا عنه في مسلم أيضا أن من طريق أبي أسامة عن الأعمش قال: حدثنا أبو صالح، ثم هو جار على الجادة من جهة كثرة سماع الأعمش من أبي صالح، وهو من الأسانيد المطروقة المعروفة التي تأتي كثيرا بهذا الطريق، ثم جاء تصريحه بسماعه منه، والأحاديث في معناه والشواهد كثيرة.

حديث أبي مسعود عقبة بن عامر الأنصاري ﷺ أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ من دل على خير فله مثل أجر فاعله ﴾ والحديث رواه مسلم، وفيه ﴿ أن رجلا من الصحابة، قال: يا رسول الله إني قد أبدع بي – يعني هو يريد الجهاد في سبيل الله وحصل لدابته ما يمنعها من مرض ونحوه، فأراد أن يعينه النبي عليه الصلاة والسلام – فقال رسول الله – ﷺ " ما عندي شيء " – ليس عنده شيء – فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يعطيه أو من يعينه، فقال عليه الصلاة والسلام: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" ﴾ هذا الرجل دل هذا على من يعينه بمركوب في سبيل الله، فكان له مثل أجر من أعطى، وهذا من فضل الله – سبحانه وتعالى.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئا ﴾ وقال في الدعاء إلى الضلالة كذلك.

وفي صحيح مسلم أيضا حديث مطول من رواية جرير بن عبد الله البجلي لما جاءه أهل اليمن وهم مجتابي النمار وفيه في آخره ذكر –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ من سن سنة حسنة – وفي لفظ في صحيح مسلم "صالحة" فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ وفي لفظ: ﴿ سنة صالحة عمل بها من بعده إلى يوم القيامة، لا ينقص من أجورهم شيئا ﴾ وذكر أيضا في السنة السيئة مثل ذلك، وهذا يبين أن من

. . . . . .

دعا ودل فإن له مثل أجر من دعاه إلى ذاك الهدى، مهما كثر هذا العمل، فالله أكثر – سبحانه وتعالى – والله أكرم، ولا يستكثرن العبد شيئا يريد به وجه الله ﷻ فإنه – سبحانه وتعالى – لا يتعاظمه شيء أعطاه، بل يعطي الكثير الجزيل على القليل – سبحانه وتعالى – فمن دعا إلى هدى أو دل عليه أو سن سنة حسنة فإن له أجرها وأجر من عمل بها.

ويدخل في هذا ما رواه مسلم من حديث أبي الدرداء من رواية أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ من دعا لأخيه بظهر الغيب ملك موكل عند رأسه، يقول: آمين ولك بمثل ﴾ إذا دعا لأخيه دعاءه له، إذا دعا لنفسه، وإذا دعا لأخيه يؤمن الملك على دعائه ولك بمثل، مع أنه ربما جعل دعوته لأخيه، لكن لما تسبب في خير لأخيه كان الجزاء من جنس العمل فله مثل هذا الأجر، فأمن الملك، ويرجى أن يجاب الملك في تأمينه على دعائه للداعي ولمن دعا له.

ولهذا ربما كان بركة دعوتك لأخيك حينما تدعو لنفسك، أعظم وأبرك من تخصيصك لنفسك لأنك تعان بتأمين الملك، إذا دعوت لنفسك ولأخيك وأشركت إخوانك، وأشركت خصوص إخوانك أيضا بسبب دعا إلى ذلك فإنك يكون دعاؤك أحرى بالإجابة فتؤيد وتسدد بالملك الذي يؤمن على الدعاء.

وهذا فيه الحث على الدعاء، والحث على سلوك طرق الخير التي تؤلف القلوب وتجمع القلوب ويكون الدعاء من أعظم الأسباب التي تحصل هذه المعاني، بل ما هو أعظم من ذلك يقول النبي – عليه الصلاة والسلام– كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، أنه قال: ﴿ الخيل ثلاثة: لرجل أجرٌ، ولرجل وزر، ولرجل ستر – ذكر أن الذي أنها – لها أجر رجل ربطها في سبيل الله في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك – أي في حبلها الذي تربط فيه، فإن له حسنات ولو أنها قطعت طيلها، فاستنت شرفا أو شرفين فروثها وآثارها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه، ولم يرد – شوف ولم يرد –، أن تشرب منه كان له حسنات به ﴾ الله أكبر، يعني ولو كره؛ لأنه ربطها في سبيل الله وربما قطعت رباطها والخيط والحبل الذي هي فيه، فهربت من هنا أو شردت من هنا، فجعلت تشرب من الماء وتمشي في الأرض فتروث روثها حسنات، وآثارها وهو آثار وطئها في

الأرض حسنات له، مع أنه لم يرد ذلك، بل إنه قصد أن لا تتجاوز هذا المكان، ومع ذلك فإنه يكتب

. . . . . .

—

له حسنات بآثارها وأرواثها وأبوالها التي تروثها، لماذا؟ لأن القصد الأول هو نية الله ﷻ النية الصالحة فما احتوته النية، وشملته بعد ذلك من عمل ببركة النية الصالحة يدخل فيها كل عمل وإن كان لم يرده، وإن كان لم يرد ذلك العمل، بل لو كان كارها له، ما دام قصده الأول ووجهه الأول لله ولم يتغير وهو ثابت عليه، فهذا يدلك على عظيم أمر النية وما يتفرع عنها من الدلالة على الخير والهدى، نعم.

من استعاذكم بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال عن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: ﴿ من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له ﴾ أخرجه البيهقي.

وهذا الحديث حديثٌ صحيح، وفي عزوه للبيهقي قصور، والحافظ –رحمه الله– له شيء من هذا يقع كثيرا في البلوغ إما أن يكون وهما في العزو أو قصورا فيه، وهذا قصور في العزو، فالحديث قد أخرجه من هو أرفع من البيهقي –رحمه الله– وكذلك أقرب سندا، وهو الإمام أحمد وأبو داود رحمه الله.

وأخرج معناه أيضا أبو داود من حديث ابن عباس، هذا المعنى، وفيه: ﴿ من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه ﴾ فيه الأمر بإعاذة من استعاذ بالله، وكذلك من سأل بالله ﴿ ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له – في لفظ آخر – حتى تروا أن قد كافأتموه ﴾ وهذا المعنى ثبت أيضا عند الترمذي بسند جيد من حديث أسامة بن زيد أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ من صنع إليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء ﴾ وفي حديث جابر –وفيه ضعف– أنه قال: ﴿ من صنع إليه معروف فوجده فليجز به، فإن من أثنى فقد شكره، ومن كتم فقد كفره، ومن تلبس بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور ﴾ .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وفيه الاستعاذة من استعاذكم بالله فأعيذوه، وهذا يجب من استعاذ بالله قال أعوذ بالله منك أن تؤذيني، أعوذ بالله منك أن تظلمني، وما أشبه ذلك استعاذ من واحد أو من جماعة فيعاذ بالله ﴿ والنبي –عليه الصلاة والسلام– لما قالت الجونية أعوذ بالله منك، قال: لقد عذت بمعاذ، الحقي بأهلك ﴾ وهذا رواه البخاري. وفي قصة أبي مسعود رضي الله عنه لما استعاذ مملوك منه قال أعوذ بالله فجعل يضربه، قال أعوذ برسول الله، فجعل فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فقال: فأنكر عليه –عليه الصلاة والسلام– ذلك وبين له أنه يعاذ من استعاذ بالله.

. . . . . .

لكن من استعاذ بالله من حق واجب عليه فإنه لا يجاب إلى ذلك لأن استعاذته ظلم، فيقال: أعوذ بالله أن تلزموني بأداء الدين الذي علي، أعوذ بالله أن تلزموني بأداء هذا الواجب. هذا لا يجوز، هذا حرام، فمن استعذت به وهو الله ﷻ وهو الذي أمرك بهذا ويجبر على هذا إلا إذا كان الحق الذي لزمه في الأصل لا يستطيعه كدين لزمه، ولا يستطيع، فالمقصود أن هذا أصل معروف في هذه المسألة من جهة وجوب إعاذة من استعاذ بالله إذا كان استعاذ بأمر هو له، أو استعاذ بأمر مباح في الأصل لا عتب في إعادته ولا ضرر فيه فإنه يعاذ.

كذلك من سألكم بالله فأعطوه، قال: أسألك بالله أن تفعل هذا، أسألك بالله أن تدلني على هذا أسألك بالله هذا المال، أسألك بالله أن تعطيني هذا، وما أشبه ذلك، فالسؤال بالله أمره عظيم، ومن سأل بالله فإنه يعطي ويجيب؛ لأنه سأل بشيء عظيم وهو الله ﷻ ولا يجوز إهدار هذا، بل إن عدم من عدم تعظيم الله ﷻ ومن سألكم بالله فأعطوه، وحكمه مثل ما تقدم فيمن استعاذ بالله، أنه أيضا يجاب، لكن إذا كان سؤاله ليس فيه ظلم أو سؤاله على سبيل الخصوص، ما يسأل الناس على العموم، وأيضا لا يكون سؤاله فيه إيذاء، أو يسأل في أمر هو لا يجوز تمكينه منه، فهذا معلوم من قواعد الشريعة، لكن إذا احتاج إلى شيء أو مثلا سألك بالله لأمر يريد أن تحصله له، أو أن تعينه عليه وهو محتاج له ولا ضرر عليك فيه، فقواعد الشريعة أن من طلب أمرا معروفا فالأصل أن يجاب، لأن كل معروف صدقة، فإذا طلبه وسأله بالله فإن الصحيح أنه واجب خلافا للجمهور لظاهر هذه الأخبار، من سأل بالله فأعطوه، والحكم كما تقدم.

كذلك أيضا مثل ما تقدم لا يكون فيه ضرر، فلو سأل على العموم، أو سأل أمرا يضر إخوانه، أو يضر أخاه، فإن دفع الضرر عن المسئول، أو دفع الضرر عن السائل، ليس بأولى من دفع الضرر عن المسئول، بل إننا ندفع الضرر عن المسئول لأنه لا حق لك قبله، وأنت تسأل أمرا ليس بواجب، ويترتب عليه ضرر فلا يجاب إلى ذلك بل هو ظالم، ولهذا ننزل عليه الأخبار التي جاءت في هذا الباب من حديث أبي موسى، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث أبي هريرة، حديث أبي موسى قال: ☜ ملعون من سئل بالله، فلم يعط سائله ما لم يسأل هجرا ☞ وفي حديث ابن عباس عند

الترمذي: أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ إن شر الناس من سئل بالله فلم يعط ﴾ ومعناه من حديث أبي هريرة

.....

عند الإمام أحمد، وهو وإن كان فيه ضعف لكن يظهر أنه محفوظ؛ لأن لفظه كلفظ حديث ابن عباس وهو حديث محفوظ، وهذه الأخبار معناها توضح السؤال بالله، وأنه ما لم يسأل هجرا يسأل شيئا ليس له حق أو يهجره، هجرا بمعنى أنه يقول قولا لا يقبل منه، ويترتب عليه أذية، ولهذا قال: "ما لم يسأل هجرا".

واللعن هنا، أو كونه شر الناس إذا كان المسئول قادرا ولا ضرر عليه، والسائل محتاج إلى ما سأل به، فشدد الأمر وسأل بالله، والسؤال بالله كالحلف بالله، كما لو حلف بالله، المعنى واحد، فلو قال أسألك بالله، أو قال: أقسم عليك بالله فالمعنى واحد.

ولهذا في حديث البراء بن عازب في الصحيحين: ﴿ أمرنا بإبرار القسم أو قال: إبرار المقسم ﴾ والسؤال بالله هذه بمعنى الإلزام، فإن كانت الباء قصد بها الإلزام كانت قسما، وإن قصد بها الإكرام لم تكن قسما، ولا يلزم الإجابة، لكن إذا قصد بذلك الإلزام فإنه في حكم القسم ويكون فيه الكفارة، أسألك بالله أن تحمل لي هذا المتاع، أسألك بالله أن تسامحني، لأنه غير مستطيع على الأداء، وألا تطالبني في هذا الوقت، في هذه الحالة إذا قصد الإلزام فإنه يكون حكمه حكم اليمين والقسم فتلزم الكفارة مع عدم الوفاء، وإن قصد الإكرام لم يقصد الإلزام: أسألك بالله أن تزورني قصد إكرامه، أسألك بالله أن تذهب معي إلى فلان لزيارته وقصد بذلك إكرام ذاك الشخص، وما أشبه ذلك فهذا فيه خلاف في مسألة اليمين، والجمهور أنهم يجرونها مجرى الإلزام.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن يمين الكرامة لا كفارة فيها، وهذا هو ظاهر الأخبار المنقولة، كما جاء عن أبي بكر رضي الله عنه في وقائع عدة لما سأله عن تلك الرؤية قال أقسمت عليك يا رسول الله لتعبرها أو تدعني أنا أعبرها، قال: ﴿ لا تقسم يا أبا بكر ﴾ فهو قصد لم يقصد الإلزام، إنما قصد الإكرام بالقسم عليه –عليه الصلاة والسلام– لأنه لا يلزم رسول الله ﷺ إنما قصد الإكرام والإدلال عليه صلوات الله وسلامه عليه، ولم يأت أنه أمره بكفارة.

وكذلك أيضا لما أمره أن يتقدم حينما رجع وصلى، كان أبو بكر يصلي بالناس وجاء النبي –عليه الصلاة والسلام– وشق الصفوف ثم أشار إليه أن يقف وأن يصلي، فعند ذلك رفع يديه وحمد الله ورجع، وتقدم النبي –عليه الصلاة والسلام – هو علم أن النبي –عليه الصلاة والسلام– أراد

إكرامه، وإلا فأمره نافذ ويجب طاعته – صلوات الله وسلامه عليه – مع أنه أمره بالبقاء إلا أن أبا بكر رجع رضي الله عنه وتقدم النبي –عليه الصلاة والسلام– ولهذا قال: ﴿ يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك، أو أن تصلي، قال: ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي النبي ﷺ ﴾ لأنه علم أنه أراد إكرامه فلهذا تأخر، فدل على أنه فرق بين ما يكون السؤال ويقصد به الإكرام، أو يقصد به الإلزام.

ولهذا كان الصحيح أن الأيمان التي تجري بين الناس يقصد بها الحالف إكرام ضيفه، يحلف عليه إكراما، فإنه لا كفارة فيه، لكن إذا كفر أخذا بقول الجمهور، فهو الأحوط، أما اليمين على الغير مثل اليمين على الولد، اليمين على الزوجة، اليمين على الصديق الذي يعلم أنه يطيعه فيحلف ويقسم عليه يريد إلزامه فهذا فيه الكفارة؛ ولهذا روى الإمام أحمد –رحمه الله– بإسناد جيد من حديث عائشة ﴿ أنها جاءت بقصعة وكانت عندها امرأة فأكلت بعضا وتركت بعضا فقالت أقسمت عليها عائشة أن تأكلها، قال –عليه الصلاة والسلام–: "لا تقسمي فإن اليمين على المحنث" ﴾ أو كما قال عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال: ﴿ ومن سألكم بالله فأعطوه ﴾ هذا هو الأصل كما تقدم أنه يجب أن يعطى من سأل بالله سبحانه وتعالى.

وكذلك: ﴿ من أتى إليكم معروفا فكافئوه ﴾ وفي معنى أنه يرد المعروف ويرد المكافأة فصح أن النبي –عليه الصلاة والسلام– كما رواه البخاري وغيره يقبل الهدية ويثيب عليها، وفي أحاديث كثيرة، ورد المعروف من شيم أهل المعروف، والمعروف وصنائع المعروف تقي الهلكات وتقي الشر وتقي ميتة السوء، فهو يفعلها ابتداء، ويردها بعد ذلك لأجل أن يكون قلب المكلف لله عز وجل وكما سيأتي أن النبي –عليه الصلاة والسلام– بايع أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا حتى لا يبقى في قلبه تأله لأحد سواه – سبحانه وتعالى– نعم.

الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات

باب الزهد والورع

وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– يقول – وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه: ﴿ إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ﴾ متفق عليه.

—

وهذا حديث عظيم فيه جمل وجوامع من الكلم كسائر كلمه –صلوات الله وسلامه عليه– وأورده المصنف وافتتح به باب الزهد والورع، وهما مرتبتان شريفتان، الزهد والورع، والزهد أعلى من الورع؛ لأن الورع هو ترك ما يضر في الآخرة، والزهد ترك ما لا ينفع، والورع يكون عن الحرام، وعن المشتبه، عن الحرام والمشتبه، أما الزهد فإنه يكون في المباح الذي يقود إلى غيره حينما يكثر منه فقد يقع في المشتبه ثم قد يقع في الحرام.

حديث النعمان رضي الله عنه حديث عظيم، وفيه: ﴿ إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت – وهي القلب أي إذا صلحت – صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ﴾ .

وقوله: إن الحرام بين وإن الحلال بين، هذا يبين أن الأمور ثلاثة: حلال بين، وحرام بين، ومشتبه.

فالحلال البين: هو ما أحله الله – سبحانه وتعالى– من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، والمراكب وما أشبه ذلك.

.....

—

والحرام البين: ما حرمه الله – سبحانه وتعالى– من الأقوال والأفعال المحرمة، وأعظمها الشرك وعقوق الوالدين والكذب، والغيبة، والنميمة، والسحر، والبهتان، وما أشبه ذلك من سائر المحرمات التي حرمها – سبحانه وتعالى– ورسوله صلوات الله وسلامه عليه.

وبينهما أمور مشتبهات، هذا هو موضع النزاع، والجدال والخلاف بين أهل العلم، وفيه أربعة أقوال مشهورة: قيل: إنه ما اختلفت فيه الأدلة، وقيل: ما اختلف فيه العلماء، وقيل: هو المكروه، وقيل: هو المباح.

والأظهر القولان الأولان، وهو ما اختلفت فيه الأدلة، أو اختلف فيه العلماء، والصحيح أن القولين متلازمان؛ لأن ما اختلفت فيه الأدلة، يلزم منه غالبا اختلاف العلماء، وهذا اختلاف الأدلة في الظاهر، فإذا حصل خلاف في مسألة من المسائل في الغالب يكون في المسألة قولان، فعند ذلك يكون الأمر الاشتباه، وهذا في كل زمان بحسبه.

هذا في الأمور المشتبهة، ما اختلف فيه العلماء بحسب اختلاف الأدلة، ثم الاشتباه أمر واسع يختلف بحسب الزمان والمكان وبحسب ظهور العلم وقلته، قد يكون أمر من الأمور مشتبه، وعند في مكان آخر من الأمور الظاهرة، لكن هذا من حيث الجملة.

وعلى هذا نقول: ما اختلف فيه العلماء مثلا في بعض أنواع عقود البيع، ما اختلف العلماء فيه في بعض مسائل العبادات والزكاة والصوم والصلاة، كذلك في بعض مسائل الأطعمة، فالاحتياط فيه أن يأخذ بالقول الذي يكون فيه الوثيقة، وذلك أن يعمل بكلا القولين، مثلا حينما اختلف العلماء في بعض الأطعمة وفي بعض الصيود مثلا حينما اختلفوا مثلا في بعض أنواع الصيود مثل الضبع، ومثل القنفذ، ومثل الثعلب، وما أشبه ذلك في جواز أكلها، فإن من احتاط وتركها فإنه يكون عاملا بكلا القولين؛ لأن الذي يحلها لا يقول إن تركها حرام، والذي يحرمها يقول: إن الإقدام عليها حرام. فإذا اجتنبها فإنه يكون آخذا بكلا القولين.

وهكذا كثيرٌ من المسائل مثل مثلا بعض المسائل بانتقاض الوضوء الذين يقولون مثلا: إن لحم الإبل لا ينقض فإنه إذا توضأ منها عند من لا يرى نقضه هو الأحوط؛ لأنه إذا توضأ منها فإن وضوءه

.....

صحيح على جميع الأقوال، وإن لم يتوضأ منها فالوضوء باطل على أحد القولين، وإن كان هو يتبع الذي يعتقده، كذلك مثلا في بعض المسائل في مسائل الطهارة، وهي بحر لا ساحل له.

وكذلك في مسائل كثيرة، لكن ينبغي أن يعلم أنه في بعض المسائل التي يقع فيها الخلاف ينبغي أنه ينظر إن كان الخلاف فيها ظاهر والدليل ظاهر، فالعمل بالقول الأحوط لا عتب على من عمِل به، مثل انتقاض الوضوء بلحم الإبل، فهذا هو القول الصحيح لظاهر الأدلة، لكن هناك مسائل الدليل فيها ظاهر وواضح، ولا يكون القول الثاني شبهة لضعفه، فالشبهة إذا كانت قوية هو الذي يكون فيها الاحتياط، وإذا ضعفت ففي هذه الحالة الاحتياط وهو العمل بالسنة، وهذا فيه بحث محل تفصيل لأهل العلم في هذه المسألة.

ثم قول النبي –عليه الصلاة والسلام– كما في اللفظ هنا: ﴿ لا يعلمهن كثير من الناس ﴾ يبين أن الاشتباه في الحقيقة نسبي، وأن أمر المشتبهات تظهر لأهل العلم المحققين الراسخين تظهر وتتبين المشتبه، وهذا يختلف اختلافا قد يظهر في وقت وفي زمان يناسب من أهل العلم هذا القول وقد لا يظهر لآخرين من أهل العلم، وهكذا، ويكون شبهة في حقه، لأنه ما ظهر، ولا يكون شبهة في حق غيره لظهوره.

وعلى هذا تكون الشبهة إذا وقعت فالناس فيها لهم ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: من يجتنبها لعدم ظهور الحق بدليله، فيقف ويتقيها، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، وهذا قد أخذ بالثقة.

وقوم آخرون أقدموا عليها ولم يبالوا بلا نظر وبلا بصيرة، فهذا يوشك أن يجسر على الحرام، كما في رواية في الصحيحين: ﴿ من أقدم على ما شك فيه فهو على ما استبان أجسر ﴾ يعني يكون إقدام، وهذا في الحقيقة يوشك أن يقع في الحرام الصريح الواضح حينما لم يبال بالشبهة.

والقسم الثالث: وهو إن لم يذكر لكنه أرفع الأقسام وأعلاها، وأجل الأقسام وهم الذين تتبين لهم الشبهة وتظهر وتتضح، وهم أهل العلم، فينظرون في الأدلة، ثم لا يكون الأمر مشتبها، بل يكون واضحا بينا عندهم فيعلم هل هذه من الشبهة أو ليست من الشبهة، فيجتنب أو يعمل.

.....

—

لكن بالجملة لا بد أن يكون هناك بعض الأمور التي يكون الخلاف فيها قويا، فيحصل شيءٌ من التوقف وإذا نظر واجتهد ثم ترجح له أحد القولين بشيء من الترجيح فإنه تزول الشبهة في حقه نعم.

تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض ﴾ أخرجه البخاري.

—

نعم، وهذا فيه التحذير من الانغماس في الدنيا والاغترار بها والانسياق وراء ملذاتها، ولذا قال: ﴿ تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميلة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ﴾ يدعو النبي -عليه الصلاة والسلام- على من كان هذا وصفه، وهو الذي يتبع الدنيا ولا يبالي كما في الحديث: أمن حلال أم من حرام، حديث خولة: ﴿ إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة، لا يبالي أخذ من حلال أو من حرام ﴾ فهذا عبد، ولهذا سماه عبد، وهذا وصف فيه قبح وذلة ومهانة حيث كان عبدا للدينار، وكان الواجب أن يكون الدينار في يده ليس في قلبه، فيأخذ الدينار والدرهم ويجعله مستخدما له كما يستخدم حذائه، وكما يستخدم خلاءه وكما يستخدم الأشياء التي يلبسها ويفترشها، هكذا تكون الدراهم والدنانير، حتى لا يخدع، وحتى لا تسوقه إلى أمر محرم.

ولهذا ما قال: تعس صاحب الدينار، أو تعس مالك الدينار، تعس عبد الدينار، جعله عبدا، والدينار معبود، وإذا كان الدينار معبودا له، فإنه لا يبالي بأي سبيل وبأي طريق أخذ هذا الدرهم أو الدينار.

ومن حسن صنيع المصنف -رحمه الله- إيراده هذا الخبر بعد حديث النعمان بن بشير -رحمه الله- لأن هذا فيمن يكون مواقعا للشبهات مجترئا عليها، ليس مباليا، بل إن الدرهم والدينار نصب عينيه، فلها يجتهد، وهي همته، يصبح وهي همه، ويمسي وهي همه ﴿ ومن أصبح والدنيا همه، فرق عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح والآخرة همه جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة ﴾ في اللفظ الآخر: ﴿ من كانت الآخرة سدنه وقصده

ونيته جمع الله له شمله، ومن كانت الدنيا سدنه وهمته جعل الله فقره بين عينيه، وفرق الله عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له .

ولهذا هو يسخط لها، ويرضى لها، لا يرضى برضاه – سبحانه وتعالى– ولا يسخط لسخط الله، بل يرضى إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط، ولا يسأل عن هذا الذي المال أعطيه، ولا يبالي هل هو له أو ليس له، ولهذا في حديث المغيرة بن شعبة تقدم: "منعا وهات" فهو يمنع الدرهم الواجب عليه، ويطلب الدرهم الذي لا يجوز له أخذه، فجمع بين الشح والحرص، الحرص في طلب الدرهم والدينار من كل سبيل، ثم إذا حصله شح به، فلم يصرفه في حقوقه وطرقه الواجبة عليه، فعياذا بالله من هذه الطريقة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نعم.

كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: أخذ رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– بمنكبي فقال: ﴿ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ﴾ وكان ابن عمر يقول ﷺ "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك" أخرجه البخاري.

—

حديث ابن عمر فيه وصية من النبي –عليه الصلاة والسلام– لابن عمر، وكان إذ ذاك شابا قال: أخذ بمنكبي أو قال: بمنكبيّ ﴿ كن في الدنيا كأنك غريب، أو ﴾ أو هنا ليست للشك بل للتأخير أو للإضراب وهو الترقي من درجة إلى درجة أعلى.

﴿ كن في الدنيا كأنك غريب ﴾ الغريب في البلد لا يتعلق بها ولا يتشبث بل هو مستوحش من أهلها يجلس ويمكث بقدر حاجته لا يعمر الديار ولا يبني القصور، ولا يحرث ولا يزرع، ولا يتعلق بشيء من أمر هذا البلد، لا؛ لأنه غريب مستوحش من الناس.

ثم درجة أعلى ﴿ أو عابر سبيل ﴾ عابر السبيل أشد في باب الوحشة من الغريب، وذلك أنه يمر وهو عابر سبيل ويسير في طريقه كمن سار ونزل تحت شجرة ثم سار، كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما رواه الترمذي وغيره: ﴿ ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ﴾ وهذا هو معنى أو عابر سبيل.

ولهذا كان ابن عمر – رضي الله عنهما – يتدل هذه الوصية ويقول: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح". هذا هو العامل الحقيقي، الذي استعد حينما يمسي وينام وتقبض روحه في النوم يظن أنها لا ترجع مرة أخرى، حينما تتوفى نفسه وتقبض قبضا قد يكون قبضا تاما، وقد يكون قبضا مقيدا ترجع إليه، فهذا هو الذي استعد واجتهد، "وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح".

.....

في اللفظ الآخر من حديث ابن عباس عند الحاكم قال: ﴿ اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وحياتك قبل موتك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك ﴾ يستغل هذه الخمس؛ لأنه إذا عرضت له هذه الأمور ندم ولات ساعة مندم، انتهى، ليس له لو أراد أن يقول: أريد كذا وكذا، نقول: هيهات انتهى الأمر ليس لك إلا ما عملت، لكن السعيد الموفق من كان عاملا في حال الرخاء، عاملا في حال الصحة مجتهدا، فإنه إذا حصل له بعد فراغه شغل من الأمور التي هي مطلوبة منه أو حصل له مرض بعد صحته، أو هرم بعد شبابه، أو شغل ببعض الأمور التي هو يسعى فيها، وقصده الله والدار الآخرة فيكتب له ما عمل في حال صحته، كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ إذا مرض العبد كتب الله له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ﴾ ثبت معناه من حديث أنس من حديث عبد الله بن عمرو: ﴿ اكتبوا لعبدي صالح عمله إذ كان صحيحا حتى أطلقه أو أكفته إلي ﴾ وربما وفقه ربه – سبحانه وتعالى– لعمل صالح ﴿ إذا أراد الله بعبد خيرا عسله، قيل: وما عسله؟ قال يهيئه لأمر صالح ثم يقبضه عليه ﴾ لكن هذا الخبر فيمن كان مفرطا وأراد أن يعمل بعد ذلك، ففي هذه الحال ليس له إلا ما عمل؛ لأن الأعمال بالنيات، والذي كان يعمل ثم بعد ذلك شغل عنه بأمر لا يمكن أن يعمل أو ضعف عن العمل يكتب له صالح عمله كما تقدم في الحديث عن النبي –عليه الصلاة والسلام– نعم.

من تشبه بقوم فهو منهم

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾ أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان.

—

حديث ابن عمر له شواهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الترمذي، وإن كان إسناده فيه ضعف من جهة ابن لهيعة لكنه بالشواهد: ﴿ ليس منا من تشبه بغيرنا ﴾ كذلك عند أهل السنن أبي داود والترمذي والنسائي، +عن ابن عباس ﴿ اللحد لنا والشق لغيرنا ﴾ كذا من حديث جرير بن عبد الله عند أحمد وابن ماجه ﴿ اللحد لنا والشق لغيرنا ﴾ عند أحمد "أهل الكتاب".

وكذلك أحاديث جاءت، جاءت أحاديث عامة وجاءت أحاديث خاصة، قال –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر ﴾ رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال النبي –عليه الصلاة والسلام– في حديث أبي هريرة في الصحيحين: ﴿ إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ﴾ وهذا المعنى فيه أخبار كثيرة في أنه –عليه الصلاة والسلام– أمر بالمخالفة.

﴿ من تشبه ﴾ هنا ظاهر قول من تشبه في قوله: فهو منهم ظاهره أنه منهم، وأنه إذا تشبه بالكفار فهو في حكمهم في الكفر، هذا هو ظاهره، وهذا محمول على التشبه بهم في جميع هديهم، أو في أمر هو من خصائص دينهم المخرجة من الملة حينما يتشبه بهم بها، وإن تشبه بهم في بعض الأمور التي هي من خصائصهم فهو بحسب إن كان معصية فهو معصية، وإن كان كفرا فهو كفرٌ بحسبه، وهذه الأمور لها ما لها منازلها في الشريعة بحسب التشبه، والشيء الذي شابههم فيه، وهذا من صيانة الشريعة وحمايتها.

وذلك أن الأصل هو القلب وأنه يقطع المودة بينه وبينهم ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [1] **الأصل هو الأمر الأمر..، الأصل والأمر في القلب هو**

- ١سورة المجادلة آية : ٢٢.

.....

قطع المودة والمحبة لأهل الكفر بجميع أصنافهم، لكن لما كانت الشريعة تأتي بسد الطرق التي تفضي إلى الأمور المحرمة، فأعظم الأمور المحرمة هو مودتهم في دينهم، وهذا قد يفضي إلى الخروج من الدين، جاءت الشريعة بسد الطرق المفضية إلى هذا الأمر.

ومن الممتنع أن يحرم الشارع شيئا ثم بعد ذلك يجيز الطرق الموصلة إليه، ولهذا لما حرم المسكر وهو خمر الأعناب حرم كل خمر يغطي العقل، وهكذا لما حرم الربا، حرم كل معاملة تؤدي للربا، ولو كانت في الظاهر ليست ربا كما يظهرها أصحابها وما أكثرها في هذه الأيام من العقود الباطلة التي تكون وتجري في المعاملات في البنوك والله لا يخدع، الله لا يخدع –سبحانه وتعالى– ولا يخفى عليه خافية.

والقصود في العقود معتبرة، بل ربما كانت بعض العقود التي تجري أقبح من عقود الربا الظاهرة الواضحة، لأن هؤلاء في الحقيقة يخادعون الله، يريدون أن يخادعوا الله وهو خادعهم، يريدون أن يخادعوا، ويظنون أنهم خرجوا من تبعة الحرام، ولهذا قال أيوب السختياني –رحمه الله–: يخادعون الله كما يخادعون الصبيان لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون عليهم، وصدق –رحمه الله– لو أنهم جاءوا بربا صحيح ولم يكونوا مختفين كانوا كالمنافقين مع الكافرين، فالمنافق أقبح من الكافر، كذلك العاصي من أهل الإسلام الذي يستر معصيته ويظن أنه بذلك قد سلك سبيلا شرعيا ويظن ذلك ويخادع، أقبح ممن أتى معصية جهر، أظهرها، بمعنى أنه لم يخادع. وليس المقصود أنه جاهر بها يعني معنى أنه لم يخادع بها ويظهر ويقول: إنها حلال، وإنها جائزة.

وعلى هذا المعنى فالشريعة تسد الأضداد التي تفضي إلى الأمور المحرمة، ولما كان التشبه في الهدي الظاهر، من أعظم الطرق الموصلة إلى المودة في الأمر الباطن، فإن الشريعة حرمت التشبه بهم في الظاهر؛ في زيهم ولباسهم، بل ما هو أعظم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ إن اليهود والنصارى لا يصبغون ﴾ ما قال –عليه الصلاة والسلام–: فاصبغوا، ما قال: فاصبغوا، قال: ﴿ فخالفوهم ﴾ أوتي جوامع الكلم، هو لو قال: فاصبغوا لحصلت المخالفة؛ لأنه أمر بالصبغ لأن اليهود والنصارى لا يصبغون، ومع ذلك قال: ﴿ فخالفوهم ﴾ .

. . . . . .

ولهذا من قواعد أهل الأصول في باب التعليق أن الأمر إذا علق بمسمى اسم مشتق، الأمر المأمور به إذا علق بفعل أو بمسمى اسم مشتق علم أن ما منه الاشتقاق أمر مقصود للشارع، مثاله في هذا الخبر، قال: ﴿ إن اليهود والنصارى لا يصبغون ﴾ ما قال: فاصبغوا قال: ﴿ فخالفوهم ﴾ علقه بالفعل، بفعل المخالفة، والمخالفة مصدر خالف يخالف خلافا ومخالفة، هذا مصدرها، فعلم أن مسمى هذا الفعل المشتق، وهو المخالفة أمر مقصود للشارع، فليس القصد في مجرد الصبغ، لا، الأمر في المخالفة في كل شيء، الأمر بالمخالفة في كل شيء، ولهذا قال: ﴿ فخالفوهم ﴾ فدل على أن الشارع قصد الأمر بمخالفتهم في كل ما كان من شأنهم، وهديهم.

ولهذا أول ما يدخل في المخالفة هو ما سيق في النص فيدخل الأمر بالصبغ من وجهين: من جهة الأمر به، ومن جهة المخالفة التي علق عليها وجعل علة له، ولهذا قال اليهود كما في حديث سلمان، لما قال: إنه لما أمرنا أن لا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وأن لا نستقبل القبلة ببول ولا غائط، لما قال: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة.

في لفظ آخر قالوا في حديث أنس لما قال –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ اصنعوا كل شيء إلا النكاح ﴾ قالوا: ما يريد أن يرى من أمرنا شيئا إلا خالفه، صلوات الله وسلامه عليه.

وكان في أول الأمر ربما وافقهم –عليه الصلاة والسلام– ربما وافقهم؛ لأنه لم ينه، ثم بعد ذلك نهي، وكان –عليه الصلاة والسلام– يسدل شعره، وكانوا يسدلون شعورهم، ثم فرق بعد عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود أن أمر التشبه والمبالغة في المخالفة أمر مقصود للشارع، وهذا التشبه، يكون في الأمور التي يكون الإنسان يقصدها وتكون في الأمور التي لا اختيار للإنسان فيها، ولهذا الشيء لا اختيار للإنسان فيه، ومع ذلك أمر بالصبغ فغيره من الأمور من باب أولى في وجوب مخالفتهم، نعم.

احفظ الله يحفظك

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كنت خلف النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– يوما فقال: ﴿ يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ﴾ رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

—

نعم، وهذا الحديث حديث جيد وله طرق وفيه ما كان عليه النبي –عليه السلام– من الرفق في قوله: يا غلام، والعناية بالغلمان والصغار، وكان كما قال أنس وغيره: من أرحم الناس بالعيال. صلوات الله وسلامه عليه.

وكان إذا ذهب إلى الأنصار كان يأتيه الصبيان، وكان يمسح رءوسهم –عليه الصلاة والسلام– وكانوا إذا صلوا الفجر يأتون بآنيتهم فيها الماء حتى يضع يده فيه –عليه الصلاة والسلام– ويضعوا وربما جاءوا في الغداة الباردة بالإناء البارد فيضع يده فيه –عليه الصلاة والسلام– حينما يأتي به الصبيان، وكان ربما أخذت الجارية بيده وقال: ﴿ يا فلانة انظري أي السكك شئت فأقض حاجتك ﴾ وهذا أمر متواتر من هديه صلوات الله وسلامه عليه.

"يا غلام" مثل قول عمر بن سلمة ﴿ يا غلام سم الله ﴾ وهكذا وقع لأنس في قصص عدة في أمره وإرشاده له، "احفظ الله يحفظك" هذا أمر ﴿ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ﴾ وهذا الحفظ لله ﷻ أعظمه حفظ حقوقه وحدوده، وأعظمه حفظ التوحيد والإيمان، ثم يليه بعد ذلك أعمال البر من صلاة وهي رأس الأعمال البدنية، وكذلك الأعمال المالية، والمركب منها كالحج وما أشبه ذلك.

"احفظ الله يحفظك" فحفظ الله ﷻ هو بحفظ حدوده –سبحانه وتعالى– وهو رأسها، ومن حفظ الله ﷻ فإن الله يحفظه، وأعظم الحفظ هو الحفظ في الدين فمن حفظ حدوده –سبحانه وتعالى– واجتهد فإنه –سبحانه وتعالى– يحفظه، وأعظم الحفظ أن يحفظه في دينه.

ولهذا شرع للمسلم أن يكثر السؤال، سؤال الله العافية في الدين والدنيا، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، يكثر من سؤاله –سبحانه وتعالى– العافية والعفو في دينه ودنياه؛ لأن حفظ الدين هو المهم، فإذا حفظ الدين ما بعده أيسر، وفي حديث عمر رضي الله عنه اللهم احفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام قاعدا، واحفظني بالإسلام راقدا، ولا تشمت بي عدوا ولا حاسدا .

والحفظ الآخر هو حفظه في بدنه، وحفظه في ماله، وحفظه في أهله، فمن حفظ الله عز وجل حفظه في دينه وكذلك يحفظه سبحانه وتعالى في أهله، ويحفظه في دينه وفي بدنه وماله يحفظه سبحانه وتعالى، وربما أراد الله –سبحانه وتعالى– به الخير ورفع درجته وابتلاه وكانت عاقبته إلى خير في الدنيا، والآخرة، أو فيهما جميعا، أو في الآخرة.

المقصود أنه سبحانه وتعالى من حفظ حدوده وحقوقه، فإن عاقبته إلى خير، والعاقبة للمتقين، ومن ضيع حدود الله وحقوقه، فإنه يضره أقرب الناس إليه، وأحب الناس إليه يضرونه ويخالفونه، ومن حفظ حدود الله يسر الله له أمور خير.

بل في قصص كثيرة عن السلف، لما اجتهدوا في حفظ حدود الله حفظهم –سبحانه وتعالى– بل إنه –سبحانه وتعالى– جعل الوحوش في البرية حافظة لهم، وترعاهم، كما يروى عن سفينة مولى النبي –عليه الصلاة والسلام– كما روى الحاكم وغيره "أنه كان في سفينة فانكسرت بهم ثم خرج إلى جزيرة برية، فمر بهم الأسد، وكان قد تاه الطريق، فجاء الأسد يمشي معه وسفينة يمشي معه، حتى إذا سار مسافة وسفينة يمشي معه همهم همهمة كأنه يقول: هذا الطريق ثم سار" فجعل هذا الحيوان المفترس حافظا له، ومن ضيع حدود الله عز وجل سلط الله عليه أقرب الناس إليه.

لكن من كان على طريقة من الخير وحصل له فتنة في أهله أو ماله، فهو ذكرى وعبرة، ولهذا كان كثير من السلف يقول: "إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وفي خلق أهلي" نعم.

. . . . . .

—

"وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله" العبد لا يسأل إلا الله ﷻ ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [1] ولا يستعين إلا بالله ﷻ وإذا استعنت فاستعن بالله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [2] .

"إذا سألت فاسأل الله" يعني لا تسأل غيره –سبحانه وتعالى– بل سله وحده، واجعل سؤالك في جميع أمورك في دينك ودنياك، وإن استطعت أن لا تسأل أحدا فهذا هو المرتبة العليا.

وقد بايع النبي –عليه الصلاة والسلام– جمعا من أصحابه، كما روى مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه –عليه الصلاة والسلام– بايع جمعا من أصحابه، وأسر لهم كلمة خفية، أن لا تسألوا الناس شيئا رواه مسلم.

وبايع خصوص أصحابه، بايع أبا بكر وأبا ذر وثوبان أن لا يسألوا الناس شيئا، قال عوفٌ رضي الله عنه "فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه، بل ينزل فيأخذ سوطه".

هكذا كانوا؛ لأنهم أرادوا أن يجعلوا قلوبهم لله ﷻ ولا يبقى فيها منة لأحد، مع أنه من الأمور المباحة، لكنهم أخذوا بما وصاهم به –عليه الصلاة والسلام– وبقوا على ما عاهدوا عليه النبي عليه الصلاة والسلام.

ولهذا أصل السؤال للناس منهي عنه، أصل سؤال الناس منهي عنه، ويحرم ولا يجوز؛ لأن فيه ذلة للنفس، وفيه إيذاء للمسئول، وفيه أيضا هضم لأمر من حقوقه سبحانه وتعالى، ذلة للنفس، وتذلل لغير الله، وإيذاء للمسئول، ثلاث مفاسد، ثلاثُ مفاسد، فلهذا كان الأصل فيه التحريم والمنع وهذا جاءت فيه أخبار كثيرة عن النبي –عليه الصلاة والسلام– في منع السؤال وأن لا يسأل الناس شيئا.

- ١سورة النساء آية : ٣٢.

- ٢سورة الفاتحة آية : ٥.

. . . . . .

—

لكن من سأل حاجة من الحاجات التي يحتاجها فلا بأس، في الحديث عند أهل السنن ﴿ إلا أن يسأل الرجل سلطانا أو في أمر –حديث سمرة، أو في أمر– لا بد له منه ﴾ .

في حديث في الترمذي: ﴿ إن كنت سائلا فاسأل الصالحين ﴾ لكن أصل المسألة منهي عنه إلا حينما تكون المسألة حال ضرورة، فهذا لا بأس به، ولهذا في حديث أبي سعيد الخدري وحديث سهل بن حنظلية، ومن في معناه، جاء النهي عن المسألة إذا كان له ما يغديه وما يعشيه.

وفي حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: ﴿ من كان له خمسون درهما فسأل فقد سأل إلحافا، فقال: ثم عاد إلى بيته وكان أراد أن يسأل النبي –عليه الصلاة والسلام– فقال: للياقوتة –وهي فرس عنده– خير من خمسين درهما ﴾ أو قال نحو ذلك.

وإذا استعنت فاستعن بالله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [1] فيستعين العبد ربه –سبحانه وتعالى– في كل شيء، في أمور دينه ودنياه، يستعين العبد ربه، ولا تكون الاستعانة الخالصة لله إلا بألا يسأل الناس شيئا.

وأعظم الاستعانة هو الاستعانة في أمر الدين، وقد أوصى النبي –عليه الصلاة والسلام– معاذ بن جبل أنه أمره أن يقول دبر كل صلاة: ﴿ اللهم أعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك ﴾ لأن من أعانه –سبحانه وتعالى– على شكره وذكره، فإنه يوفق ويسدد؛ ولهذا يسأل ربه –سبحانه وتعالى– ويعلم أنه لا حول ولا قوة إلا به –سبحانه وتعالى– نعم.

- ١سورة الفاتحة آية : ٥.

الزهد في الدنيا

وعن سهل بن سعد ﵁ قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، قال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه وسنده حسن .

—

نعم، حديث سهل ﵁ جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام: "ازهد في الدنيا يحبك الله"، هو مجزوم على جواب الأمر وأدغم؛ لأنه مضعف، الأصل: يحببك الله، ازهد في الدنيا يحببك الله، وازهد فيما عند الناس يحببك الناس.

وهذا الحديث من طريق رجل يقال له خالد بن عمرو الواسطي أو الكوفي، وهو متروك أو متهم، وفيه رجل آخر يشتبه اسمه عمرو بن خالد الواسطي وكلاهما متروك، كلاهما روى له ابن ماجه، وهذا روى له أبو داود وابن ماجه، والحديث ضعيف بهذا السند. وقد جاء من طريقٍ من غير طريق خالد لكنه يظهر أنه مُدلس، دَلس من رواه وإلا مرجعه إلى خالد بن عمرو هذا.

لكن ما دل عليه من المعنى أمر واضح في الزهد في الدنيا، فمن زهد في الدنيا ورغب في الآخرة، أحبه الله -سبحانه وتعالى- لأن زهده لا يكون إلا بإيثار ما عند الله ﷻ وهو ترك ما لا ينفع عند الله، وهذا حينما ترك ما لا ينفع عند الله، فإنه يشتغل بما ينفعه عند الله ﷻ ويكون بالعمل بطاعة الله الواجبة والمستحبة، ومن عمل بهذا أحبه الله.

وكذلك الزهد فيما عند الناس، وهو الزهد في أموالهم، وطعامهم، والزهد في أموالهم، والزهد فيما عندهم، بمعنى أن لا يسأل الناس أموالهم، وأن يعلق قلبه لله، وأن يكون همته وقصده وجه الله ﷻ يحبه الناس؛ لأن الناس قد جبلت قلوبهم على كراهية من سألها، وعلى من ألح عليها.

ولهذا كان من أسباب منع السؤال أنه إيذاء للمسئول وذلة في حق السائل، وكذلك تذلل لغير الله، ولهذا شرع أن يزهد، وإذا زهد رخص عنده ما عند الناس.

. . . . . .

ثم من ترك هذه وزهد فيها لله ﷻ فإن الله يعوضه خيرا منها، وقد روى أحمد بسند جيد عن رجل من الصحابة أنه ذكر لرجلين أبي الدهماء العدوي وصاحبه، لما قالوا وكان هو وأصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– أنه قال: واعلم أنك لن تدع شيئا لله إلا أعطاك الله ما هو خير منه نعم.

إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: ﴿ إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي ﴾ أخرجه مسلم .

وهذا حديث سعد بن أبي وقاص رواه مسلم، وهو في قصة ابن عامر بن سعد بن وقاص أنه جاءه ابنه عمر بن سعد بن وقاص قال: الناس يقتسمون الملك، وأنت هاهنا وكان قد اعتزل في البرية ﷺ فدفعه في صدره فقال: إليك عني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي ﴾ .

هذا يبين فضل الخمول بمعنى الإعراض عن طلب الذكر والسمعة والاشتهار الذي يفضي إلى فتنة وشر، ويفضي إلى رياء ويفضي إلى تصنع، ففي هذه الحال يكون الظهور ويكون عدم الخفاء في حقه فتنة؛ لأنه لما اختلف العلماء في أمر العزلة، وفي أحكامها فصلوها على هذا وجعلوها مبنية على أمر المصالح والمفاسد في المخالطة في مصلحة المخالطة من عدمها.

قال: "إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي"، معنى أنه يكون في نفسه وفي قلبه هذه الأشياء، في قلبه وفي نفسه وفي نيته هذه الأشياء، وليس معنى ذلك أنه لا ينفع، وأنه لا يدل على الخير، لا، وإلا فالأصل هو المخالطة، لكن حينما يكون المخالطة فيها فتنة أو فيها شر فإنه يختار ما هو أصلح بدفع ما فيه مفسدة.

وقد جاء في حديث معاذ ﷺ عند ابن ماجه حديث لا بأس به أنه أخبر ﴿ إن خير عباد الله الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يفطن لهم -أو قال لم يسأل عنهم- يخرجون من كل غبراء مظلمة ﴾ .

وكذلك في قصة أويس القرني الذي قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لعمر: ﴿ مره فليستغفر لك فإنه خير التابعين ﴾ فيه لما أن عمر ﷺ قال: ألا أوصي لك الوالي يعني ينتبه لحالك، قال لا: أكون في غبراء الناس، أكون يعني في عموم الناس -رحمه الله- ورضي عنه، نعم.

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ﴾ رواه الترمذي وقال: حسن .

وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكر المصنف –رحمه الله– وحسنه، لكنه من طريق قرة بن عبد الرحمن بن حيوائيل عن الزهري عن أبي هريرة، وهذا سند ضعيف ويدل على ضعفه أنه رواه مالك ومعمر وجماعة عن الزهري رووه عن الزهري مرسلا، من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ولم يذكروه متصلا بأبي هريرة، ولا شك أنه لا تقارن رواية قرة بهؤلاء الثقات الجبال، وقد رفعه بعضهم من روايته لأنه من رواية علي بن الحسين، نعم جاء من رواية علي بن الحسين مرسلا، لا من رواية أبي سلمة. وبعضهم رفع رواية علي بن الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رفعه عبد الله بن عمر العمري وهذا ضعيف.

لكن ما دل عليه المعنى ثابت، وأن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وأعظم ما لا يعنيه هو ما نهاه الله عنه –سبحانه وتعالى– ومفهومه أنه ينصرف إلى ما يعنيه مما هو واجب أو مستحب، وهذا حسن إسلام.

وإذا حسن إسلام المرء فإن الله ﷻ يكتب له كل حسنة أزلفها،، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، كما ثبت بذلك الأخبار من حديث أبي سعيد الخدري، وحديث أبي هريرة ﷺ أن العبد إذا أحسن إسلامه فإن الله يكتب له كل حسنة كان أزلفها ﴾ يعني ولو كان في الشرك، وهذا فضل إحسان الإسلام، ومقام الإحسان هو أعلى مقامات الدين. نعم.

ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن

وعن المقدام بن معديكرب ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ﴾ أخرجه الترمذي وحسنه .

—

نعم. المقدام يقال: "معديكرب"، وبعضهم يقول: تقول: "معديكرب" أو "معد يكرب"، حديث: ﴿ ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ﴾ الحديث لا بأس به، جاء في رواية يحيى بن جابر الطائي عن المقدام، وإن كان لم يسمع منه، لكن رواه النسائي من رواية صالح المقدام عن أبيه عن جده برواية صالح، وهو وإن كان فيه لين لكنه في باب الشواهد، وقد رواه ابن ماجه أيضا من طريق آخر، فهو بهذه الطرق والمتابعات يقوى ويكون من باب الحسن لغيره.

والحديث حديث عظيم ﴿ ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ﴾ وهذا يبين أن البطن هو شر وعاء حينما يملأ، ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن، ثم قال: ﴿ فإن كان فلا بد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه ﴾ .

وقد جاءت الأخبار في فضل التقلل والزهد، وعدم الإكثار، وجاءت أخبار عن النبي –عليه الصلاة والسلام– من حديث أبي هريرة، ومن حديث ابن عمر، ومن حديث سلمان، أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ إن أطولهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة ﴾ هذه الأخبار اختلف العلماء في صحتها، لكن محمولة على أنها إذا كان يصرف عن طاعة الله الواجبة، أو يصرف عن أداء الحقوق الواجبة، أو الشبع وهو الشبع الذي يثقل عن الطاعة وهذا واقع؛ لأنه حينما يشبع كثيرا فإنه يغلبه ويضعفه عن الطاعات الواجبة، وما أدى إلى أمر محرم يعلمه ويغلب على ظنه، فإنه يكون أمرا محرما.

وهذا الحديث أصلٌ في الطب وقد أجمع عليه العلماء –على معناه– وأجمع عليه الأطباء، حتى قال بعضهم: لو أخذ الناس بهذا الحديث لأغلقت المارستانات ودكاكين الصيادلة، ولم يحتج إلى شيء، وهل أهلك البرية، كما قال الحارث بن كلدة – وهو طبيب العرب –: "هل أهلك البرية، والوحوش في البرية إلا إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام". وقال –ويروى في الأثر–: " أصل كل داء البردة" والبردة هي التخمة، ولا يصح مرفوعا عن النبي –عليه الصلاة والسلام–.

.....

—

وكان الحارث بن كلدة يقول: "المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء"، فهذا أمر مجرب وأمر واضح، ولهذا أمر أن يجعله أثلاثا كما في الخبر عنه –عليه الصلاة والسلام– نعم.

كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون ﴾ أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ الصمت حكمة وقليل فاعله ﴾ أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف، وصحح أنه موقوفٌ من قول لقمان الحكيم .

—

قف على هذا، نعم.

حديث أنس من رواية علي بن مسعدة الباهلي، عن قتادة، عن أنس وضعفه بعضهم؛ علي مسعدة تُكلم فيه، وقتادة فيه تدليس، لكن قواه بعضهم؛ لأن علي بن مسعدة وثقه جمع من أهل العلم، ثم روايته عن البصريين جيدة، وله شواهد في المعنى من حديث أبي أيوب، ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون، ويستغفرون فيغفر الله لهم ﴾ .

وهذا يبين أن عموم بني آدم خطاء وهذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة: ﴿ كتب على ابن آدم حظه من الزنى مدرك ذلك لا محالة ﴾ وعمومه أيضا يدل على وقوع الخطأ، ولهذا ذهب جمهور أهل العلم إلى وقوع الصغائر من الأنبياء، ولهذا كان النبي يستغفر -عليه الصلاة والسلام- لرفع الدرجات وإن لم يكن منه ذنب، والأحاديث في استغفاره كثيرة متواترة. جاء في حديث أبي هريرة، ومن حديث ابن عمر، وأحاديث كثيرة في هذا الباب، "ولكنه من تاب تاب الله عليه" والتوبة تجب ما قبلها، وفي حديث ابن مسعود ﴿ الندم توبة ﴾ يعني وهي التوبة الصادقة.

أما حديث أنس "الصمت حكمة وقليل فاعله"، فهو لا يصح الخبر، الخبر لا يصح، وصح أنه موقوف من قول لقمان الحكيم، وهو في الحقيقة منكر؛ لأن راويه عن ثابت وقفه وهو ثقة وهو الراوي عن ثقة، الراوي عن أنس، وأحفظ ممن رواه من الضعفاء عن أنس، وإذا كان الراوي ضعيفا

.....

وخالف فإن خبره يكون منكرا، والثابت أنه موقوف على أنس، كما رواه البيهقي والحاكم وغيرهما موقوف على أنس من قول لقمان، أنه قال: الصمت حكمة وقليل فاعله.

وقيل يروى أنه دخل على داود –عليه الصلاة والسلام– ورآه يصلح الدرع، فأراد أن يسأله فتردد هل يسأل لماذا يصلح الدرع، فقيل: إنه دخل عليه وهو يصلح الدروع كل ما دخل يريد أن يسأله لماذا، ثم بعد ذلك لبسها، فلما لبسها علم أنه لبسها لأجل القتال في سبيل الله، فعند ذلك خاطب وقال: الصمت حكمة وقليل فاعله، معنى أنه لم يستعجل ولم يتكلم، فتبين له الأمر والحكمة في صنع داود –عليه الصلاة والسلام– لها.

وقوله: الصمت حكمة، نقول الصمت حكمة في موضعه، وليس حكمة في موضع يلزم فيه الكلام، فالصمت في أصله لا يشرع يعني من جهة على العموم، الصمت والتعبد بالصمت ليس مشروعا، إنما الصمت حينما يكون له سبب فلا بأس، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ من صمت نجا ﴾ كما في حديث عبد الله بن عمرو في الحديث عن الترمذي ﴿ كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله ﷻ ﴾ .

وجاء حديث في هذا المعنى حديث في الصحيحين: ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ﴾ وفي حديثٍ آخر اختلف فيه روي مرسلا ومتصلا أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ رحم الله امرأ قال خيرا فغنم، أو سكت عن شر فسلم ﴾ .

فيتبين بهذا أن الصمت إن كان عن شر فإنه خير وهو واجب، وإن كان عن أمرٍ واجب لله فيه قول يقوله فإنه لا يجوز، فالصمت تارة يكون واجبا، وتارة يكون حراما، وتارة يكون هو الاختيار حينما لا يكون الكلام فيه مصلحة.

فالمسلم تارة يتكلم ويكون مشروعا على جهة الوجوب والندب، وتارة يكون محرما الكلام على جهة الوجوب والندب إذا كان في غيبة أو نميمة، أو في كلام يفضي إلى أمر مكروه، وتارة يختار السكوت إذا كان الكلام لا مصلحة فيه.

أما مجرد السكوت فالتعبد بالصمت بدعة، ولهذا في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة أبي إسرائيل لما رآه النبي –عليه الصلاة والسلام– واقف في الشمس، قال سأل عنه قالوا: نذر

.....

أن يقوم ولا يقعد ولا يتكلم، قال: ﷺ مروه فليجلس وليتكلم وليتم صومه ﷺ نهاه عن الصمت، وأمره بالكلام، ونهاه عن القيام وأمره بالقعود، فأمره بالمشروع ونهاه عن الممنوع عليه الصلاة والسلام.

حديث أبي بكر رضي الله عنه دخل على تلك المرأة وهي قد حجت مصمتة، قال: ما بالها؟ قالوا: حجت مصمتة، قال: إن هذا لا يحل إن هذا من عمل الجاهلية، فنهاها رضي الله عنه فالصمت في موضعه كما تقدم.

أسأله –سبحانه وتعالى– لي ولكم التوفيق والسداد، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

حرمة الحسد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

باب الرهب من مساوئ الأخلاق.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ أخرجه أبو داود، ولابن ماجه من حديث أنس نحوه .

—

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا الباب في الترهيب من مساوئ الأخلاق، والمعنى كما سيأتي الترغيب في محاسن الأخلاق، ولا شك أن مساوئ الأخلاق تفسد الأعمال، تفسد المعروف، ربما كانت سببا في إبطال العمل.

وشر الأخلاق ما يتعلق بعبادة الشخص المكلف من الرجال والنساء التي يتخلق بها مما نهي عنه، مما يبطل العمل أو ينقص ثوابه، وقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يسأل الله في صلاته في استفتاحها أن يهديه إلى محاسن الأخلاق، كما في حديث علي ﷺ الطويل في الاستفتاح: ﴿ اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ﴾ .

حديث أبي هريرة ﷺ من طريق إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة وجده مجهول، والطريق الثاني عن أنس عند ابن ماجه أيضا أضعف منه من طريق رجل يقال له: عيسى بن أبي عيسى الحناط أو الخباط، وهو متروك، لكن ما دل عليه الخبر من ضرر الحسد، معلوم من الأدلة بالكتاب

والسنة. وما دل عليه من كونه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، هذا فيه تفصيل يأتي الإشارة إليه.

.....

وذلك أن الحسد كراهة النعمة أو الكراهة والبغض مطلقا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [2].

فالحسد هو كراهة النعمة على الغير مطلقا، فإن كان كرهها وأراد زوالها عن الغير، سواء حصلت له أم لم تحصل له، فهذا هو المحرم الذي لا يجوز، وإن كان كرهها من جهة أن غيره كان أفضل منه في هذه النعمة وهو لا يريد زوالها إنما يريد أن يحصل له مثل هذه النعمة، ويكره أن تزول، لكن يكره فضل غيره عليه، فهذا هو الغبطة هو الغبطة.

والغبطة معناها حسن الحال، أن ترى إنسانا حسن الحال فتريد أن يكون لك مثل حاله، ولا تريد أن تزول هذه النعمة، هذه هي الغبطة، والغبطة لا بأس بها، فإن كانت في أمرٍ محمود شرعا فهو حسن، مثل أن تغبط غيرك على قراءة القرآن وعلى العلم، وعلى الدعوة والجهاد في سبيل الله، وأعمال الخير والبر، هذا حسن، وإن كانت الغبطة في أمر مباح، أن يغبط غيره في أمر من أمور الدنيا، أو جاهٍ أو منصب، فهذا مباح، ما دام المغبوط حاله في حالٍ مباحة.

وإن كانت الغبطة في أمرٍ محرم فإنها لا تجوز، حرام، مثل أن يتمنى حال إنسان عنده مال أو جاه، وهو يستعمله فيما حرم الله، فكما قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ فهو بنيته، فهما في الوزر سواء ﴾ في حديث ابن كبشة الأنماري.

ولهذا كان الصحيح أن الحسد اسمٌ عام يدخل فيه الغبطة، وكما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود: ﴿ لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ﴾ حديث ابن عمر أيضا في الصحيحين: ﴿ لا حسد إلا في

- ١سورة النساء آية : ٥٤.

- ٢سورة الفلق آية : ٥.

.....

اثنتين، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل، أو قال: فسلطه الله على هلكته في الحق ﴾ .

وفي حديث أبي هريرة أيضا في البخاري هذا المعنى، فسماه حسدا وهذا هو الغبطة بمعنى أن يتمنى حال الغير الحسنة المشروعة، وأعلى من الغبطة أن لا تلتفت نفسه إلى شيء من هذا، بل يجتهد في الأعمال الصالحة، وتكون همته رضاه –سبحانه وتعالى– وهمته العمل دون الالتفات إلى أحوال الناس؛ لأنه مصروف النية والقلب إلى أعمال الخير فهو مشغول بها عن أن يتمنى مثل هذه الأحوال؛ لأنه يسعى لا يتمنى، لأنه يسعى لا يتمنى، فهو يسعى في أعمال الخير، ولأن التمني حال ضعيفة، أو حال هي أقل من حال من كان يجد ويجتهد.

ولهذا كانت هذه حال أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث إنه لم يلتفت بقلبه إلى أحد ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ ﴾ [1] قيل إنها في أبي بكر رضي الله عنه ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ ما من أحد إلا قد كافأناه ما خلا أبا بكر، فإن له يدا عند الله، الله يكافئه بها ﴾ .

ولهذا روى الترمذي وغيره من حديث ابن عمر في قصة عمر رضي الله عنه قال: لما حث النبي –عليه الصلاة والسلام– على النفقة، قال: اليوم أسبق إن سبقت أبا بكر، اليوم أسبق؛ لأن أبا بكر كان يسبقه إذا سابق، ولا يسبقه أحد رضي الله عنه فقال: اليوم أسبق أبا بكر، يقول: فكان رضي الله عنه يجتهد في المسابقة وأبو بكر هو السابق رضي الله عنه فقال عمر: اليوم أسبق إن سبقت، فجاء بمالٍ، فقال النبي –عليه الصلاة والسلام– أو أتى بنصف ماله، ماذا أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم مثله، ثم جاء أبو بكرٍ بماله كله يحمله بين يديه، قال: ماذا أبقيت لهم يا أبا بكر؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر رضي الله عنه لا أسابقك إلى شيء أبدا رضي الله عنه.

- ١سورة الليل آية : ١٩-٢٠.

. . . . . .

فأبو بكر لم يقع في قلبه منافسة لأحد؛ لأنه مشغول بالعمل والجد فلم ينظر ولم ينفس أحد على هذه الأعمال رضي الله عنه فالمقصود أن هذه هي الحال الأعلى والكاملة، والأتم.

ولا شك أن الحسد فيه مفاسد كثيرة وهو محرم إذا عمل الحاسد، لكن نعلم كما قال جمع من أهل العلم: ما خلا جسد من حسد. والمؤمن يجتهد في إزالة الحسد، وفي قطع أسبابه، وفي عدم العمل به، ولهذا يقول الله عز وجل ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [1] .

أما إذا لم يحسد، وصرف نفسه وفطمها فإنه لا عتب عليه في ذلك، أما إذا سعى فإنه يضر نفسه، ويأكل نفسه، والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، وهو يأكل نفسه، والحسد يأكل حسناته، فهو مأكول في نفسه، مأكول في حسناته، مغبون في الدنيا، مغبون في الآخرة.

فهو ضر نفسه حيث لا تطمئن نفسه، ولا يطمئن قلبه، ولا يهدأ له بال ولا يرتاح؛ لأنه لَهِث، حاسد، والعياذ بالله، لا يرى أحدا إلا حسده، كذلك هو متسخط لقدر الله، لأقدار الله عز وجل هذا تسخط، حينما يكره تلك النعمة تسخط لأقدار الله.

كذلك هو في الحقيقة لا يحصل له مقصوده، من الجهات الثلاث، من جهة تسخطه لأقدار الله، ومن جهة أنه يضر نفسه ويتعبها ويتلفها بالحسد، الأمر الثالث أنه في الحقيقة يعود أنه لا ضرر على المحسود، بل هو ربما كان منتفعا بهذا؛ ولهذا جاء هذا الخبر، بهذا المعنى.

وهذا الخبر إذا صح محمول على من كان حسده على جهة تمني زوال النعمة، فهو عملُ قلب جازم به، وربما سعى، ولهذا هذا يسعى ويجتهد في السعي في زوالها، إما بالقول أو بالفعل لا يدعه الحسد حتى يعمل بمقتضاه. نعم.

- ١سورة الفلق آية : ٥.

الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾ متفق عليه .

وهذا النهي للشديد لبيان الشدة الحقيقية، وليس فيه نفي الشدة عن من يصرع الرجال، فلا شك من يصرع الرجال شديد، ولا ينفى عنه مسمى الشديد، لكن أراد النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يبين أن الأولى بالشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب، هو الذي يصرع غضبه، الذي يصرع غضبه هو الشديد الحقيقي لا الذي يصرع الرجال؛ لأن مبدأ الشر والهوى والشيطان من هذه الأعداء الكامنة في النفس، ومبدؤها من الغضب، فمن غلب هذه الأعداء وصرعها فهو الشديد الحقيقي.

كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الصحيحين عن أبي هريرة: ﴿ ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، إنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس ﴾ الذي يقوم ويسأل وهو فقير مسكين، لكن المسكين الحقيقي المستحق الذي يُسعى في إعطائه، من هو بهذا الوصف أولى، وهو الذي يتعفف، هذا هو المسكين الذي يستحق هذا الوصف الكامل، مثل قوله -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ ﴿ ما تعدون الرقوب فيكم؟ قالوا: الرقوب فينا من لا ولد له، قال -عليه الصلاة والسلام-: لكن الرقوب من أمتي من لم يقدم من ولده شيئا، ثم قال: ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا: من يصرع الرجال، قال: لكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾ وهذا شاهد من حديث ابن مسعود.

ثبت أيضا هذا النهي في أحاديث أخر، مثل ما جاء في مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام- وأنه أولى من مسجد قباء، بهذه التسمية، وفي حديث أبي سعيد الخدري لما اختلفوا فيه فأشار النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى مسجده، وأنه أولى بهذا الفضل، وإن كان الفضل المذكور في الحديث أيضا

.....

—

يثبت لمسجد قباء ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [1] لما اختلفوا فيه، وإن كان مسجد قباء داخل في هذا فدخول مسجد النبي من باب أولى، ولهذا أشار إلى مسجده، وليس فيه نفي ذلك عن مسجد قباء، وهذا المعنى كما تقدم في أخبار عن النبي –عليه الصلاة والسلام–.

وقوله: "الصُرَعة" بالضم والفتح الذي يصرع الرجال، "والصُرْعة" بالضم والتسكين هو الذي تصرعه الرجال، مثل هُمَزة ولُمَزة وضُحَكة وهُزَأة، الذي يضحك الناس أو يستهزئ بهم، وهو الهُزأة، واللمزة هو الذي يلمزهم، وهكذا.

أما اللُمْزة والهُزْأة والضُحْكة والصُرْعة، الضُحكة: الذي يُضحك منه، اللُمْزة: الذي يلمز، الهُزْأة: الذي يستهزأ به، الضحكة الذي يضحك منه.

فالمقصود أن هذا الحديث "الصُرَعة" يعني الذي يصرع الرجال، ولا شك أن هذا الحديث فيه من الفوائد ما أشار إليه النبي –عليه الصلاة والسلام– من جهة بيان مفاسد الغضب، والذي يملك نفسه عند الغضب، وأنه حينما يغضب يكون أثر ذلك ظاهرا على وجهه في تغير ملامحه، واستحالة خلقته، وتغير هيئته، واضطراب نفسه، وشدة غضبه، وكل ذلك ناتج عن تغير باطنه، وما حصل في نفسه.

ولهذا هذا يدعوه إلى كل شر، سيأتي في حديث أن النبي –عليه الصلاة والسلام– لما قال له رجل: أوصني قال: لا تغضب، فكرر مرارا قال: لا تغضب. وفي لفظ: كرره ثلاثا. كما سيأتي. نعم.

- ١سورة التوبة آية : ١٠٨.

الظلم ظلمات يوم القيامة

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ الظلم ظلمات يوم القيامة ﴾ متفق عليه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإنه أهلك من كان قبلكم ﴾ أخرجه مسلم .

وهذان الحديثان فيهما بيان تحريم الظلم، والظلم أعظمه هو ظلم الشرك، وهو ثلاثة أنواع: ظلم الشرك، وهو الإشراك بالله عز وجل وهذا الذي لا حيلة في صاحبه إذا مات عليه، والعياذ بالله.

يليه ظلم النفس بالمعاصي فيما دون الشرك، وهذا أيضا من الظلم، حيث ظلم نفسه، وربما كان يظن أنه على حال حسنة وهو مغرر به حينما يسعى في إهلاكها وإتلافها في سوقها إلى المعاصي، وغدوه في معصية الله ورواحه في معصية الله وهو يغدو يتلفها لا يغدو في عتقها، لا يغدو في فكها من النار، لا يغدو في ذلك، لا يغدو في تحصيل العمل الصالح، الذي يكون سببا في حصول الجنة، فهو يغدو في هلاكها، ويروح في هلاكها.

ولهذا بين النبي –عليه الصلاة والسلام– أنه ظلمات يوم القيامة، فلا يكون له نور فهو ظلمة في الدنيا ظلمة في القلب، وظلمة في العمل، وظلمة في كل شيء، والجزاء من جنس العمل، يكون في ظلمة يوم القيامة.

ولهذا في حديث جابر بعده أيضا بين " اتقوا الشح، فإن الشح قد أهلك من كان قبلكم"، والشح من أعظم الظلم، ولهذا ذكره بعده ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [1] .

- ١سورة الحشر آية : ٩.

والشح من أقبح الذنوب، ومن ابتلي بالشح فإنه يسوقه إلى الشح بالخيرات، والشح بالمعروف، ولهذا كان أعظم من البخل؛ لأن الشح إمساك مع حرص، والبخل إمساك، فالبخيل يمسك لا ينفق،

. . . . . .

فإن كان في عدم أداء الواجب فهو محرم، من نفقة، أو زكاة واجبة، أو قرى ضيف، أو ما أشبه ذلك فهو محرم، والشح أبلغ؛ لأنه حرصٌ ثم بعد ذلك إمساك، ثم بعد ذلك أيضا يقوده إلى الشح بالمعروف، فلا تقوده وتهديه نفسه إلى بذل المعروف الذي لا يضره، بل لا يبذل الكلمة الطيبة والسلام والقول الحسن.

وهذا يشاهد حينما تكون نفسه في تلك اليبوسة، ولا تحصل على تلك الأخلاق الحسنة يبخل بالكلمة الطيبة، بالنصيحة، بالسلام، بإزالة الأذى عن الطريق، لا يريد الخير للناس، لا يريد الخير وهذا من المصائب والبلايا، حينما يبتلى العبد بالشح، ولهذا قال: "اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم"، في اللفظ الآخر بل في تمام هذا الحديث: ﴿ فإنه حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ﴾ بمعنى أن الشح حملهم على ذلك، حملهم على سفك الدماء، وحملهم على استحلال المحارم، وهذا يبين أن الشح يقود إلى الشح بالمعروف، والشح بالأعمال الصالحة.

وإذا وقع العبد في هذا فعليه أن يلجأ إلى الله، ما هناك حيلة إلا في اللجء إلى الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، فمن هدي إلى هذا فإن الله ﷻ يعطيه ويمن عليه، ومن أقبل إلى الله فالله ﷻ بالخير أسرع –سبحانه وتعالى– ومن مشى إليه أسرع الله إليه –سبحانه وتعالى– ومن تقرب إليه ذراعا، تقرب الله منه باعا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، ومن هرول إليه أسرع إليه، وهو بالخير أسرع وأكثر سبحانه وتعالى.

فليس للعبد إلا أن يطرق باب الندم والتوبة وعتبة التزلف إليه –سبحانه وتعالى– وليبشر بالخير ولا يقول: إنه جبل على هذه الأخلاق، ولهذا الأخلاق تكون جبلية وتكون مكتسبة، فيسعى في اكتساب الأخلاق الحسنة التي لم يكن متخلقا بها، ويسعى أيضا في الازدياد من الأخلاق الطيبة التي جبل عليها، كما في حديث أشج عبد القيس لما ذكر له النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ إن فيك خصلتين الحلم والأناة ﴾ رواه مسلم.

في لفظ آخر عند أحمد وغيره: ﴿ قديما أم حديثا تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال: بل جبلك الله عليهما، قال: الحمد الله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله سبحانه وتعالى ﴾ نعم.

حرمة الرياء

وعن محمود بن لبيد ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، الرياء ﴾ أخرجه أحمد بسند حسن .

—

وهذا الحديث لا بأس به حديث محمود بن لبيد -رحمه الله- ورضي الله عنه، هو صحابي صغير توفي سنة ست وتسعين، ومحمود بن الربيع صحابي صغير عد من الصحابة، لهم روايات، والصحابي الصغير إن روى الحديث وكان قد سمع من النبي -عليه الصلاة والسلام- فإن حديثه يكون متصلا، محمود بن الربيع، ومحمود بن لبيد، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، جماعة.

وإن كان أدرك النبي -عليه الصلاة والسلام- ولم يسمع منه مثل محمد بن أبي بكر فحديثه حكمه حكم مرسل كبار التابعين، ولهذا يقال: مرسل صحابي لا يَحتج به من يَحتج بمرسل للصحابي، يعني يلغز، يقال: لغز، مرسل صحابي لا يحتج به من يحتج بمرسل الصحابي، من هو، نعم فيقال: الصحابي الصغير الذي لم يدرك من النبي -عليه الصلاة والسلام- سماعا، بمعنى أنه مات النبي، يعني وهو لم يميز، لم يميز، فهذا حكمه حكم مرسل التابعي الكبير.

أما إذا كان قد ميز فسماعه ممكن، ولهذا مرسله مرسل صحابي وهو صحيح، حديث محمود بن لبيد ﷺ "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه قال: الرياء" وفي اللفظ الآخر. هذا الحديث له شواهد من حديث أبي سعيد الخدري، أيضا عند أحمد وابن ماجه أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي، قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل آخر ﴾

في حديث محمود بن لبيد هذا في لفظ آخر: ﴿ إياكم وشرك السرائر، قالوا: وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل ﴾ وذلك أنه شرك خفي لأنه يقوم

بالقلب، فهو رياء من جهة أنه مراءاة للمخلوقين، وتصنع لهم، شرك خفي من جهة أنه قائم بالقلب لا يرى.

والرياء من أشد الأبواب وأصعبها على العباد والعلماء وطلاب العلم، والدعاة إلى الله، والمجاهدون في سبيل الله، ولهذا هذا الباب باب الرياء باب فيه خطورة، ولهذا النفس تستروح إلى القبول عند الناس، وتأنس من شدة المجاهدة إلى القبول عند الناس، والأخذ منهم، فلهذا ربما ركنت إلى شيء من الرياء، في القول أو العمل، وكذلك التصنع للمخلوقين، أو السماع؛ لأن الرياء يتعلق بالفعل، والتسميع يتعلق بما يسمع من قراءة قرآن أو ما أشبه ذلك.

فهذه من أشد الأبواب، ولهذا قيل: آخر ما يخرج من رءوس الصديق حب الرئاسة حب الشرف حب الرئاسة، ولهذا ربما كان الإنسان مغررا به، يظن أنه في الله وبالله، وهو لا يريد إلا التصنع للمخلوقين، ولهذا جاءت الأحاديث الكثيرة بالحذر منه، ولا يأمن أي إنسان نفسه، ولا يزكي نفسه، وليحذر من هذا الباب فإنه من أشد الأبواب على كل سائر إلى الله ﷻ .

وهذا الباب كما تقدم فيه لأهل العلم بحوث وتفصيل في بعض أحكام مما هو من الرياء المحض، وذلك أن الرياء يكون في العبادات المالية، ويكون في العبادات البدنية، ويكون في المركبة منهما، وهكذا في أبواب الدعوة والجهاد إلى الله عز وجل.

لكن الإنسان عليه أن يجاهد نفسه وهواه والشيطان، وإن عرض له الشيطان في شيء من ذلك فلا يجعله سببا لنكوصه؛ لأن هذا هو الذي يريد الشيطان حتى لا يعمل، حتى لا يدعو إلى الله، ولا يجاهد في سبيل الله، ولا يعمل أعمال الخير، ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، ولا يُعلِّم، فيأتيه الشيطان لكن يجاهد نفسه، يجاهد نفسه بقدر ما يستطيع.

ويجتهد أن يكون عمله في حال خلوته كعمله في حال جلوته، لكن لو أنه حصل له نشاط مع الناس في المسجد، مع الناس في الدعوة إلى الله؛ لأنه يخالطهم وتنشط نفسه، هذا لا حرج عليه في ذلك، فالنفس بطبيعتها يحصل لها نشاط حينما يرى إخوانه، أو ترى المرأة أخواتها يعملن، ويرى إخوانه يعملون، فينشط في أعمال الخير والبر، ولهذا قال النبي –عليه الصلاة والسلام– لما يقول: ﴿ أعينوا أخاكم علموا أخاكم ﴾ ولهذا شرعت الاجتماعات واللقاءات، ومجالس العلم، وحلق الذكر؛ لأنها تعين على الخير وتشد من أزر المسلم.

.....

ثم الشرك الأصغر وهو جنس يدخل تحته الرياء، لكن المراد به يسير الرياء؛ لأن الرياء الأكبر رياء المنافقين هذا شرك أكبر، رياء المنافقين هذا شرك أكبر، والرياء الخالص، لا يكاد يقع في فرض الصوم والصلاة، كما يقول ابن رجب –رحمه الله– وجماعة، الرياء الخالص يعني المعنى أن يصلي رياء خالصا لغيره، يعني لا يكاد يقع، في الصوم والصلاة.

لكن قد يقع في العبادات المتعدية، مثل الزكاة والصدقة، وما أشبه ذلك يقع فيها؛ لأن نفعها متعدي، فالنفس تستروح إلى طلب الثناء عند الناس، فيقع فيها الرياء الخالص، فإذا رأى إنسانا يعرفه، أو رأى جماعة أو.. فيتصدق ويريهم أنه يتصدق، ويكون دافعه في ذلك الرياء، قد يقع، لكن كونه يصلي رياء ابتداء فهذا لا يكاد يقع.

وقد يقع الرياء طارئ يصلي لله ثم بعد ذلك يطرأ عليه الرياء، فهذا فيه التفصيل وفيه خلاف، إن كان عارضا وخاطرا ودفعه فهذا لا يضر، وهذا أيضا قول عامة أهل العلم.

وإن استرسل معه واستمر، فذهب كثير من أهل العلم إلى بطلان الصلاة وإن دفعه، وذهب بعض أهل العلم وجماعة إلى أنه ما كان لله فهو خالص، وما كان لغيره فهو باطل.

وجاءت الأحاديث تؤيد القول الأول حديث شداد بن أوس من حديث أبي أمامة، الأحاديث كثيرة، حديث أبي هريرة: ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه ﴾ في لفظ عند ابن ماجه ﴿ أنا منه بريء وهو الذي أشرك ﴾

وفي حديث شداد: ﴿ من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك –ثم قال: فإن جدة عمله– وإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه وأريد به وجهه– وقال: فإن جدة عمله، وقليله وكثيره للذي أشرك ليس لله منه شيء ﴾ وفي اللفظ الآخر: ﴿ الله خير شريك لمن أشرك تدل ﴾ على أنه حابط وباطل.

لكن قد يقول قائل: ما الفرق بين الشرك الأكبر وهو السجود للغير والصلاة للغير وبين مراءاة الغير بالصلاة، يعني إنسان لو سجد لغير الله كفر، لكن إذا صلى يرائي، إذا صلى يرائي ابتداء، لما رأى غيره صلى رياء، ما الفرق؟.

. . . . . .

نعم يظهر شيء لكم في هذا، واضح السؤال، نعم، فيه جواب، نعم. يعني نقول: من صلى سجد لغير الله، عبده، هذا شرك أكبر، كما لو سجد لصنم وسجد لغير الله عبادة، كما لو ذبح لغير الله، الذبح والنذر شرك، لكن لو صلى لغير الله رياء، نعم، الأول نعم هو عمله باطل، صحيح، لكن لماذا قلنا: إن بطلان عمله ما يثبت له الشرك الأكبر، ما يثبت له الشرك الأكبر يعني وإلا لا شك صحيح إن عمله حابط، نعم نعم، لا جيد، لكن يحتاج إلى تكميل، حسن نعم، نعم.

نحن قلنا إنه من أصله، هو من أصله صلي لغيره، ما كان نيته يصلي، لكن لما رأى غيره قام يصلي رياء عمله ابتداء رياء، من أوله، نعم، فلم يكفر، طيب نكمل بعضها بعض نعم، وهذا أقرب نعم نعم، نعم أحسنت. إذن هذا صحيح.

إذن يتحصل من هذه الأجوبة نقول: إن الذي صلى رياءً ما قصد التعظيم للغير والعبادة، إنما قصد طلب ماذا؟ طلب المدح، شوف انظر القصد، ذاك صلى لغيره يعظمه ويعبده كما يعبد الله، يعظمه ويعبده كما يعبد الله، وهذا في الحقيقة، وإن صلى لغير الله وعمله حابط لكنه صلى رياء، صلى رياء فهو قصده ماذا؟ ما قصد تعظيمه وعبادته، قصد طلب الثناء والمدح، فلهذا كان عمله حابطا، لكن لا يكون كافرا بذلك. نعم.

آية المنافق

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان﴾ متفق عليه، ولهما من حديث عبد الله بن عمرو: ﴿وإذا خاصم فجر﴾ .

حديث أبي هريرة: "آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" حديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين أيضا فيه زيادة: "وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف" فتحصل خمسة، تحصل منها هذه الخصال الخمسة "إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر" عند مسلم من علامات المنافق بين أنها من علامات المنافق.

وفي حديث عبد الله بن عمرو ﴿أربع من كن فيه –في الصحيحين– كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة منها حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر﴾ .

اختلف العلماء في هذا الخبر، اختلافا كثيرا، لكن معنى كلامهم يتحصل منه أقوال متقاربة من حيث الجملة، ولكل وجهة في تأويله وتفسيره.

ولا شك أن هذه الخصال التي ساقها المصنف –رحمه الله– من أسوأ الأخلاق، وأما معانيها فهي واضحة، إذا حدث كذب، والكذب من الذنوب المحرمة، والكذب لا يجوز، والكذب كذلك من الكبائر، وقال بعض أهل العلم: حتى الكذبة الواحدة. وقال آخرون: إنه إذا كان صفته الكذب.

كذلك إذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، بين أنها من خصال النفاق، وهذه الخصال في معناها وفي تفصيلها أقوال لأهل العلم، وهي واضحة ولله الحمد، لكن الشأن في ذكر علامات النفاق، وأنها من علامات المنافق، حديث أبي هريرة ذكر أنها من علامات المنافق، وفي اللفظ وفي الصحيحين آية المنافق، وهي العلامة كما تقدم في رواية مسلم.

. . . . . .

—

قال جمع من أهل العلم: إن هذه العلامات تجتمع في المسلم ولا يكون كافرا، ولا منافقا نفاق الاعتقاد، فما المعنى؟ والأظهر والله أعلم أن المراد بالنفاق هنا هو النفاق العملي، لا النفاق الاعتقادي؛ لأن هذه خصال ربما وقع فيها بعض المسلمين، فكانت من نفاق العمل، ونفاق العمل يوصف به المسلم إذا وقع فيه.

ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول لحذيفة: أسألك بالله، هل عدني رسول الله ﷺ من المنافقين، وذكر أن أناسا اتهموا بالنفاق في عهد النبي –عليه الصلاة والسلام– وربما كانوا من أصحابه؛ لأنه لا يكاد يسلم منه أحد، وكانوا يقولون: إن فلانا منافق، وهم يعلمون أنه ليس المراد النفاق الاعتقادي يعلمون أنه من الصحابة الذين صح إسلامهم، بما اشتهر عندهم أن النفاق يوجد.

وكذلك جاء في أحاديث أخر في التأخر عن الصلاة وما أشبه ذلك، ولهذا كان الأظهر، والله أعلم، أن المراد هو النفاق العملي، النفاق العملي، وعمر رضي الله عنه حينما قال: "أسألك هل عدني رسول الله ﷺ من المنافقين" أراد به النفاق العملي.

لكن هذه الخصال الأربع إذا استحكمت في الإنسان فإنها قد تقوده إلى النفاق الاعتقادي؛ لأن إذا كانت المعاصي كما يقول العلماء بريد الكفر وهي رسول الكفر وهي المعاصي، فأقبح المعاصي هي المعاصي الباطنة، وهو النفاق، فإذا كانت موجودة ويعمل بها، واستمر على ذلك فإنها قد تقوده إلى النفاق الاعتقادي.

ومن ذلك كما ثبت، إذا حدث كذب، ومن كان كاذبا فلا يوثق في قوله، وأعظم الكذب الكذب على الله، والكذب مراتب، مثل ما نقول النفاق مراتب.

وإذا وعد أخلف، ومن وعد وجب عليه الوفاء، هذا هو الصحيح، وإن كان خلاف قول الجمهور، يجب الوفاء بالوعد؛ لأنه جعله النبي من صفات المنافقين، أيضا في قوله تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [1] .

- ١سورة الصف آية : ٣.

.....

لكن من إذا وعد وكان من نيته أن يفي فلم يف لعذر، فلا شيء عليه، إذا كان من نيته ولكن لم يف لعذر، ومن وعد غيره، وعلقه بشيء، وقال: اعمل كذا وأعطيك، لزم على الصحيح فلو قال لإنسان: اشتر هذا الشيء وأنا أعطيك هذا المال. فدخل في هذه المعاملة لزمه، والصحيح أيضا أنه يلزمه ولو لم يعلقه على شيء، هذا هو الصحيح؛ لأن إخلافه من صفات المنافقين، فإذا وعد وجب عليه أن يفي بالوعد؛ لأنه يتضمن إخلاف الوعد، ويتضمن الكذب في القول.

وكذلك الخيانة في الأمانة من أقبح الخصال، وكذلك الفجور في الخصومة، وإذا خاصم فجر، وكذلك العهد ولزوم الوفاء به، والغدر فيه من أعظم الخصال، سواء كانت عهودا أو عقودا خاصة أو عقودا عامة، فإنه يجب الوفاء بها في العهود يكون بين الناس بين الرجل وبين زملائه بين الرجل وإخوانه، بين الرجل وزوجته، وهكذا جميع أنواع العهود والعقود، نعم.

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ﴾ متفق عليه .

وهذا أيضا من الأمور المحرمة والأخلاق السيئة وهو المسابة، السباب، وهو المشاتمة والمخاصمة، سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

فرّق بين السباب والقتال، فالسباب فسوق والفسوق: هو الخروج عن الطاعة، فسقت التمرة قشرا إذا خرجت، ومنه سميت الفويسقة الفأرة لخروجها عن سائر الدواب بإفسادها، وقتاله كفر، كذلك قتال المسلم كفر، ولهذا قال النبي –عليه الصلاة والسلام– في الصحيح: ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ فلا يجوز قتال المسلم لأخيه المسلم، لكنه لا يخرجه من الإيمان.

وهذا يبين أن من المعاصي ما هو كفر، لكن نعلم أن الكفر كفران، وأن الفسق فسقان، وأن النفاق نفاقان، وأن الظلم ظلمان، وهكذا، وهذا هو الشفاء والنور، الذي هدى الله له أهل السنة والجماعة، حيث فرقوا بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، والنفاق الأكبر والنفاق الأصغر، والشرك الأكبر والشرك الأصغر.

جاءت النصوص بالشرك، ولا فرق بين الشرك والكفر، يسمى الشرك الشرك الأصغر، كذلك الكفر كفر أصغر، فإذا جاءت النصوص في شيء من المعاصي التي قد علم أنها ليست من الكفر فإنه يكون كفرا أصغر، مثل ما نفى الإيمان، ومثل ما أثبت الإيمان للمقتتلين، ووصف الإيمان، وكذلك أيضا قال: قتاله كفر، مع أنه أثبت لهم وصف الإيمان ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [1] **سماهم من أهل الإيمان مع اقتتالهم، وهنا قال: قتاله كفر، وقال: ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ فكانوا مع الاقتتال معهم أصل الإيمان.**

- ١سورة الحجرات آية : ٩.

.....

ولهذا ينبغي لطالب الحق أن ينظر فما جاء من النصوص في شيء قد علم أن صاحبه من أهل الإسلام وسمي فعله كفرا فهو كفر نسميه كفر، لكن ما نسمي عمله كفر، ولا يكون كافرا إلا بالخروج عن الإسلام.

كذلك النفاق الاعتقادي، مثل ما تقدم معنا في هذه الخصال، نفاق عملي وهنالك النفاق الأكبر، نفاق المنافقين الذين هم تحت الكفرة في الدرك الأسفل من النار تحت الكفار كذلك الشرك كما تقدم والفسوق، وهكذا النبي -عليه الصلاة والسلام- نفى الإيمان قال: ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ﴾ ومع ذلك طهر النبي -عليه الصلاة والسلام- أهل الإيمان بإقامة الحدود، ولو كان الزاني كافرا لوجب قتله كما يقتل المرتد.

كذلك شارب الخمر لا تطهره الحدود إذا لو كان كافرا، كذلك السارق، لكن الحدود كانت مطهرة لهم، فدل على أنها ليس المراد ليس كفرا أكبر؛ ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- ﴿ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴾ قال: لو حبة، خردلة، بين أنهم من أهل الإيمان، وأنهم يخرجون من النار لأجل إيمانهم، وذلك لما عندهم من المعاصي التي وقعوا فيها.

وهذا يبين ما سبق التنبيه إليه أن النفي إذا جاء في الشارع فإنه لنفي لمسمى الاسم الواجب، ما يمكن يسمى كمال إيمان، ولهذا لو كان النفي لكمال الإيمان ما استحق ذاك العاصي الذي نفي عنه الإيمان العقوبة، أو لم يعاقب، لا أقول: إنه لا يستحق أقول لم يعاقبه الله -عز وجل سبحانه وتعالى- لأنه قد أدى الواجب عليه، ولكنه -سبحانه وتعالى- يعذب من يشاء لتركه الإيمان الواجب، الذي يحصل له النجاة من النار، لكن لا يحصل له به النجاة من النار إلا بأصل الإيمان الواجب، ويستحق الدخول في النار إن لم يعف الله عنه لانتفاء مسمى الإيمان الواجب، فهذا من هذا، ولهذا قال: وقتاله كفر، والمراد به الكفر الأصغر، كما تقدم. نعم.

الظن أكذب الحديث

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ﴾ متفق عليه .

نعم، إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، إياكم: تحذير يعني اجتنبوا الظن، فإن الظن، حذر ثم أتى بالجملة التي تبين أن الظن أكذب الحديث، لو قال: إن الظن أكذب الحديث في هذه الجملة حصل المقصود، بل قال: إياكم والظن، وهذا يكفي بالتحذير، ثم قال: فإن الظن أكذب الحديث.

وهذا الظن الذي لا يستند إلى دليل، وإلا فالظن يعمل به في الشريعة، في الصلاة، في الزكاة، في الحج، في الصوم، في الشهادات، في أروش التقديرات، في الجروح، في تقويم المتلفات، أروش الجراحات، يعمل بالظن في الشريعة في أمور كثيرة، فالظن له أحكام واسعة جدا، لكن المراد الظن الذي هو الكذب، ولذلك قال: ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [1] **ليس كل الظن كرهه** ﴿ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [2] **كثيرا من الظن، ولهذا أمر باجتناب كثيرٍ من الظن، لو قال: أنا لا أظن لكني تحققت، قلنا: لا تتجسس، قال: ما تجسست أنا تحققت، يعني فتأتي الآية فتقول:** ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [3] **يعني يقول: أريد أن أتثبت، نقول: لا تظن، فإن الظن أكذب الحديث والله** عز وجل **قال** ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾ [4] **قال:**

- ١سورة الحجرات آية : ١٢.
- ٢سورة الحجرات آية : ١٢.
- ٣سورة الحجرات آية : ١٢.
- ٤سورة الحجرات آية : ١٢.

. . . . . .

—

﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [1] يقول الله ﷻ ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [2] فنهى عن التجسس، قال أتجسس حتى يحصل لي الظن نقول الله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [3] أيضا لا تتجسس حتى يحصل عندك ظن، قال: أنا ما تجسست تحققت بلا تجسس، يعني رأيت بلا تجسس، سمعت بلا تجسس، نقول قال الله ﷻ ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [4] لا تتكلم بما تحققته، وإن كنت لم تتجسس.

فالمراتب الثلاثة نهي عنها، الظن ابتداء، التجسس باتباع أخيك والتجسس عليه تتبع عوراته، فجاءت الأحاديث في هذا الباب.

كذلك ينهى حتى لو حصل عندك ظن نقول: كما قال الله ﷻ ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [5] لا تتكلم بما تحققته، ولهذا نهي عنه قال: إن الظن أكذب الحديث، لماذا كان الظن أكذب الحديث؟.

لأن الكذب نوعان: كذب واضح، مثل إنسان يكذب ونعلم إنه كاذب ما يستند إلى دليل، فهذا كذب واضح، لكن إنسان كذب؛ ظن واستند إلى ظن لا يستند إليه، ظن نوع تجسس أو توهم أو شيء لا يصح الاستناد إليه، فيتكلم بمقتضى ظنه، فهذا في الحقيقة إذا تكلم يوهم غيره ممن لا يعرف أنه صادق يعني يقول: أنا أستند إلى كذا وكذا، وقد لا يعرف غيره هذا المستند صحته من كذبه فيوهم الصدق لاستناده فيما يزعم إلى دليل.

- ١سورة الحجرات آية : ١٢.
- ٢سورة الحجرات آية : ١٢.
- ٣سورة الحجرات آية : ١٢.
- ٤سورة الحجرات آية : ١٢.
- ٥سورة الحجرات آية : ١٢.

.....

وهذا أقبح الكذب؛ لأنه يظن أنه صادق وهو كاذب، وهو في طبقة الكذب الصريح، مثل الكفر مع النفاق، المنافق يظهر الخير ويضمر الشر فيعامل بالظاهر لما أظهره، لكن يبطن. كذلك الذي يظن يظهر ظنه، ويتكلم به بما استند إليه من شيء باطل.

والظن كما تقدم له أحكامه، لكن من وقع في شيء من هذا عليه أن يحذر، ولهذا يروى في الحديث المرسل، رواه عبد الرزاق من رواية إسماعيل بن أمية قال : ﴿ ثلاث لا يسلم منها أحد، الطيرة والظن والحسد، فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغي ﴾ وهذا مرسل لكن المعنى واضح من عموم الأدلة.

أما حديث: ﴿ احترسوا من الناس بسوء الظن ﴾ حديث لا يصح رواه الطبراني وغيره من طريق بقية وفيه رجل آخر أيضا أظن الطرابلسي أو غيره أظن يحيى الطرابلسي وهو ضعيف، ولو ثبت فالمراد الاحتراس باتخاذ الأسباب التي تمنع وقوع الشر، مثل أن يحترس من السراق، من قطاع الطرق عند وجود الأسباب، فيحترس بسوء الظن ممن، فيكون الناس هنا اللام للجنس لجنس خاص من الناس أو عند عموم الشر والفساد، مع أنه ثبت عن مطرف بن عبد الله بن الشخير هذا مقطوعا عليه. نعم.

حسن القيام على الرعية

وعن معقل بن يسار ﷺ قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: ﴿ ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ﴾ متفق عليه .

—

وهنا أيضا ظن ننبه عليه حتى لا يفوت وهو الظن الواجب، وهو حسن الظن بالله ﷻ ؛ لأن الظن بالله واجب، حسن الظن بالله، ولهذا يقول الله ﷻ ﴿ أنا عند ظن عبدي بي ﴾ متفق عليه، عند أحمد: ﴿ فإن ظن بي خيرا فله، وإن ظن بي شرا فله ﴾ .

وعند أبي داود وغيره أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ حسن الظن من حسن العبادة ﴾ ولهذا من حسنت ظنونه، حسنت أعماله، ومن ساءت ظنونه ساءت أعماله، فالعبد يجب أن يحسن ظنه بالله، فإذا عمل يكون عمله عند حسن الظن، يعمل لله، يظن القبول، يستغفر الله، يرجو المغفرة، يدعو الله يرجو الإجابة، وهكذا يحسن الظن بالله عز وجل.

ومنه حسن الظن بإخوانه المسلمين، ولا يجوز سوء الظن بالمسلمين، إلا من قام مقام التهم، فمن قام مقام التهم، فقد عرض نفسه، ومن عرض نفسه لواقع التهم، فلا يلومن إلا نفسه؛ ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث عائشة في البخاري: ﴿ ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا ﴾ .

فالظن ظن الشر أو السوء بمن قامت به أسبابه فهذا ربما كان مشروعا، وهكذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- لكن على الإنسان أن يحذر، وأن يقي ويتوقى مواقع التهم.

ولهذا في الصحيحين ﴿ أنه -عليه الصلاة والسلام- لما كان مع صفية ومر به رجلان من الأنصار فأسرع لما أراد أن يقلبها إلى بيتها، فمرا به فأجازا أسرعا، قال: على رسلكما إنها صفية. قالا: سبحان الله يا رسول الله قال -عليه الصلاة والسلام-: إن الشيطان يجري -وفي لفظ في الصحيح-: إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم أو مجرى الدم فخشيت أن يقذف في قلوبكما شرا ﴾ وفي رواية:

.....

—

﴿ أو قال شيئا ﴾ شوف يقذف، ولهذا مبدأ سوء الظن من الشيطان، فيسد الأبواب بسوء الظن بالله عز وجل.

ومما ينبغي أن العبد حينما يعمل يرجو عند الله ﷻ القبول وهذا الرجاء عمل صالح، يضيفه إلى عمله الذي عمله؛ لأنه عبادة يتعبدها لله –سبحانه وتعالى– بقلبه، نعم.

وعن حديث معقل بن يسار، وهو في الصحيحين فيه حسن القيام على الرعية، وأنه يجب من له ولاية عامة أو خاصة أن ينصح لهم وأن يحوطهم بنصحه، يموت يوم يموت إلا حرم الله عليه الجنة، وفي اللفظ الآخر عند مسلم: ﴿ إلا لم يدخل معهم الجنة ﴾ ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة، هذا ما ثبت في عدة أخبار عنه –عليه الصلاة والسلام–.

وهذا الحديث فيه تشديد وبيان لخطر الولايات العامة والخاصة وأن شأنها عظيم وشديد وأن من قام بها حق القيام فإن حسناته عظيمة، ومن لم يسترعها حق الرعاية، فإن السيئات عظيمة لما يترتب عليها من المصالح العظام عند القيام بها، ومن المفاسد العظام عند التفريط فيها، وهو الرعاية لمن يوليه الله ﷻ هذه الولاية، سواء كان له رعاية خاصة أو عامة، وفي حديث ابن عمر في الصحيحين: ﴿ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ﴾ .

وهذا المعنى ثبت في عدة أخبار أيضا قاله معقل بن يسار –رحمه الله– ورضي عنه، عن عبيد الله بن زياد لما جاءه في مرض موته، وحديث عائذ بن عمرو عند مسلم: ﴿ إن شر الرعاء الحطمة ﴾ هذا مناسب لحديث عائشة الذي بعده وهو الرفق بالرعية.

ومن أعظم النصح للرعية، هو تولية أهل الخير والصلاح، بمن يرعى ولايات المسلمين، ولهذا يقول النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما رواه أحمد وغيره: ﴿ ما من عبد يولي على عصابة من المسلمين رجلا فيهم أرضى لله ورسوله منه إلا وقد خان الله ورسوله والمؤمنين ﴾ .

فهذا هو الواجب الرعاية والقيام على من ولاه الله عليه، في جميع أمورهم، وأعظم الرعاية هو القيام بحقوق الله ﷻ بإقامة الدين، وأعظمها إقامة الصلاة، وإقامة الحدود، والحقوق الواجبة للعباد

.....

بعضهم على بعض، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ هذا هو صلاح العباد والبلاد وأعظم الحقوق وأعظم الولايات، بل قال العلماء: إن الولاية الولاية هي الولاية، الولاية وقيامها هو القيام بأمر الله ﷻ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقيام على ذلك؛ إذ به يحصل الخير والصلاح للراعي والرعية، ولا يكون ذلك إلا بالرعاة الصالحين الناصحين.

وهذا من أوجب الواجبات والقيام بالحقوق والحدود، حفظهم في حدودهم وحقوقهم، وحفظ الأموال وما أشبه ذلك من الحقوق الواجبة، وكذلك الرعاية الخاصة رعاية الرجل على أهل بيته، بتربيتهم والعناية بهم، قد يموت ويوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة، هذا وعيد شديد، ولهذا قال بعض العلماء: إنه وعيد نافذ، لكن يفسر له مسلم: إلا لم يدخل معهم الجنة، وإن كان مآله إلى الجنة، لكنه في وعيد حيث قال: لم يدخل معهم الجنة. نعم.

الرفق بالرعية والعناية بهم

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشقَّ عليهم فاشقق عليه ﴾ أخرجه مسلم .

نعم، وهذا في معنى ما تقدم، وهو الرفق بالرعية والعناية بهم، مثل ما تقدم من حديث عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه ﴿ شر الرعاء الحطمة ﴾ وأن الراعي والوالي يجب أن يكون رفيقا برعيته، ولا يشق عليهم بأمرهم ونهيهم، هذا هو الواجب في القيام على الرعية والإحسان إليهم والرفق بهم، فالرفق ما دخل في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث عائشة.

والله -سبحانه وتعالى- رفيق يحب الرفق في الأمر كله، وأعظم الرفق هو الرفق على الرعية، ولهذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا كان في سرية أو في غزوة يرفق بهم، كان يعتني برعايتهم -عليه الصلاة والسلام- بل كان -صلوات الله وسلامه عليه- من رفقه أنه كان إذا ذهب أحد أصحابه في غزوة أو سرية، وكان ليس لعياله من يقوم عليهم يقوم -عليه الصلاة والسلام- بعنايتهم ورعايتهم، تقول ابنة خباب كما روى أحمد في مسنده ﴿ أن خبابا خرج في سرية فقالت ابنة خباب: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا فيحلب عنزا لنا يحلبها -صلوات الله وسلامه عليه- فنشرب وكان يقوم عليهم، وكان يمتلي الإناء حتى تظهر رغوته، تظهر، قال: فلما جاء خباب وأخبرته بذلك -وكانت قبل ذلك لا تحلب إلا شيئا يسيرا- فلما حلب خباب رجعت إلى ما كانت ﴾ .

وهكذا كان عمر رضي الله عنه يسعى على الأرامل والمساكين ويخدمهم حتى إن بعض الصحابة طلحة بن عبيد الله أو الزبير أو غيرهما، كان مرة يمشي خلفه رآه يمشي في الليل فجعل يمشي خلفه ينظر أين يذهب، فوجده دخل على امرأة عمياء وكان يقوم عليها، يطبخ لها ويعتني بها رضي الله عنه فقال، عاد إلى نفسه قال: يا فلان تتبع عثرات عمر، أعمر يتتبع عثراته، وجده يستسر بعمله - رضي الله عنه وهذا المعنى ثابت في قصص كثيرة رضي الله عنه.

. . . . . .

—

وهذا من أعظم الرفق بالرعية وهو من أعظم الصيانة والحياطة والحفظ للشريعة، والحفظ للعباد والبلاد والحفظ من المخاطر؛ لأن كما تقدم من حديث ابن عباس ﷺ احفظ الله يحفظك ﷺ هذا ضمان من الله ﷻ وأعظم الحفظ هو أن يحفظ الله ﷻ في الحقوق العامة التي أمر بإقامتها وما حفظت أمة حقوق الله إلا حفظها –سبحانه وتعالى– وتتناهب البلاد والفتن تقع من حولها. لكن إن دخلهم ما دخلهم، دخلهم من الفتن بحسب تضييعهم لحدوده وحقوقه –سبحانه وتعالى– نعم.

إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه ﴾ متفق عليه .

—

حديث أبي هريرة ﷺ فيه أيضا إرشاد عظيم "إذا قاتل أحدكم" وفي لفظ آخر عند مسلم: ﴿ إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ﴾ وهذا المراد في المقاتلة التي بحق والتي بغير حق لعمومه، أو الضرب بحق لو إنسان حصل بينه وبين أخيه شيء من الخصام، فالواجب الصلح ولا يجوز، لكن إذا حصل فلا يجوز الضرب في الوجه؛ لأن ضرب الوجه مجمع المحاسن، وشينه شين عظيم ويؤذي، وقد يؤدي إلى القتل.

وكذلك يشمل الضرب في الحدود والتأديب والتعزيرات، فعند الضرب في الحدود فلا يجوز الضرب في الوجه، وكذلك الضرب في التعزيرات من باب أولى، إذا كان في الحدود لا يضرب في الوجه، فالتعزير من باب أولى، كذلك في التأديب من باب أولى؛ لأن أعظمها الحدود ثم يليها التعزيرات، ثم يليها التأديب، التأديب: مثل تأديب الرجل ولده، وتأديب السيد خادمه، وتأديب الأستاذ تلميذه وهكذا، فهذا يجتنب فيه الوجه.

ولهذا أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث أبي بكرة في التي زنت، قال: ﴿ ارموا واجتنبوا الوجه ﴾ وهي زانية محصنة أتت تائبة ومع ذلك مآلها إلى التلف والهلاك، ومع أن مآلها إلى الهلاك والتلف أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- باجتناب الوجه، فكيف إذا كان هذا في حد ليس مآله إلى التلف، بل هو من باب الحد أو التعزير أو الأدب من باب أولى.

والعلة، والله أعلم، إما لأن الوجه مجمع المحاسن فيؤدي إلى الإتلاف، وإما أمر آخر أو علة أخرى أن الله ﷻ خلق آدم على صورته، كما في اللفظ الآخر عند مسلم: ﴿ إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته ﴾ .

وهذا هو العلة، لكن ثمرتها أن الوجه يصان ويكرم، الذي خلق آدم على صورته، والصحيح على صورة الرحمن، كما في اللفظ الآخر عند ابن أبي عاصم والطبراني بإسناد صحيح ﴿ فإن الله خلق

ابن آدم– أو في لفظ آخر الإنسان– على صورة الرحمن ﷻ وهذا هو القول الصحيح وصححه الإمام

.....

—

أحمد –رحمه الله– ولما قيل له: القول الآخر خلق آدم على صورته، يعني على صورة آدم، قال: هذا قول الجهمية، ونفض يديه الإمام أحمد –رحمه الله– نعم.

النهي عن الغضب

وعنه رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أوصني: فقال: لا تغضب، فردد مرارا، قال: لا تغضب أخرجه البخاري .

—

نعم وهذا الخبر أيضا فيه وصية عظيمة، وهي من مجامع الوصايا، قال: لا تغضب، في اللفظ الآخر عند أحمد من حديث حميد بن عبد الرحمن أن رجلا سأل النبي –عليه الصلاة والسلام– قال أوصني، قال: لا تغضب قال ذلك الرجل: ففكرت فإذا الغضب يجمع الشر كله.

وجاء في رواية عند أحمد أنه جارية بن قدامة السعدي، رواية الأحنف بن قيس عن عمه جارية بن قدامة السعدي، وأنه هو الذي وصاه بذلك –عليه الصلاة والسلام–.

وجاء هذا المعنى في عدة أخبار الوصية بعدم الغضب، عند أحمد قال: إذا غضبت فاسكت أمر بالسكوت والغضب جمرة يغلي في قلب ابن آدم حديث أبي ذر عند أحمد وأبي داود، أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن لم يذهب عنه الغضب فليضطجع أمره أن يجلس ثم أن يضطجع، وذلك أن الغضبان ربما يتأذى، ربما يستعمل يده، وجوارحه، لكن حينما يجلس تهدأ نفسه، وإذا لم يذهب الغضب عنه فليضطجع، وهذا أبلغ؛ لأنه قهر للهوى والشيطان.

وفي حديث سليمان بن سرد في الصحيحين وإذا لم يذهب الغضب عنه فليضطجع، وهذا أبلغ لأنه قهر للهوى الشيطاني، وفي حديث سليمان بن صرد في الصحيحين رضي الله عنه أن النبي –عليه الصلاة والسلام– استب عنده رجلان فتغير أحدهما حتى انتفخت أوداجه فأشار النبي –عليه السلام– إلى ذلك إلى الغضب وأنه ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه، وبين أنه من الشيطان، وقال لرجل أمره أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال: هل ترى بي جنونا كأنه مع شدة الغضب – والله أعلم – لم يعقل هذه الكلمة من النبي –عليه السلام– وربما كان منافقا فالله أعلم.

المقصود أن الغضب مجمع يجمع الشر كله؛ ولهذا يؤمر الإنسان في حال الفتنة، أن يهدأ، والساعي في الفتنة شرٌ من الماشي، والماشي شرٌ من القائم، والقائم شرٌ من الجالس، معنى أنه لا يسعه، والغضب من أعظم طرق الفتن التي تحصِّل الشر له ولإخوانه؛ ولهذا مصائب الغضب تقع للرجل مع أهله، ومع أولاده ومع زملائه، مصائب عظيمة، بل سمعنا وسمع غيركم، من وقائع وقعت تصل إلى حد القتل، ثم يؤول الأمر إلى أن يخبأك ويقتص منه، ثم يؤول الأمر إلى العداء والبغضاء، بين القرابات والأحياء والقبائل، وما أشبه ذلك.

وكل هذا من ثمرة الغضب الذي هو أثر من آثار الشيطان. وفي حديث عروة بن عطية السعدي عند أبي داود بسند فيه لين، ﴿ أنه أغضبه رجل فذهب وتوضأ وقال: إن الغضب من الشيطان، قال النبي: "إن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من نار، والنار تطفأ بالماء" ﴾ فأراد أن يطفئ غضبه بالماء. ولا شك أن الوضوء حسن، لأن الغضب من الشيطان والشيطان يدفع أثره بالطاعات، وأعظم الطاعات هو الوضوء الذي يبرد الجسم، ويكون على هذه الأعضاء التي هي محل الانطلاق للشر والفساد فلهذا أمر به عند الغضب.

يقول السائل يا شيخ: هل يدخل في حديث معقل الذي مضى من مات وترك الدش الذي يبث القنوات الفضائية في بيته؟

لا شك أن هذه الدشوش فيها من المصائب الشيء الكثير، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ﴾ والغش عام، الغش عام في عدم النصيحة، ولهذا نعلم أن النصح ضد الغش، والنصيحة واجبة، الدين النصيحة، وإذا كانت النصيحة واجبة لأخيك المسلم ولو كان بعيدا عنك فأعظم النصيحة لإخوانك.

وأعظم من ذلك النصيحة لأهل بيتك، ومن ترك أولاده ولم يأمرهم ولا نهى هذا من أعظم الغش، وإذا كان هذا غشا فإنه يدخل في عموم الخبر، لكن دخوله تحقيقا الله أعلم، لكن يُخشى، يُخشى وإن كان هذا الحديث عند أهل العلم واردا في الولاية الكبرى، لكن قد يؤخذ من عمومه، قد يؤخذ من عمومه دخول الولايات الصغرى، الله أعلم، من جهة ذكر الغش. نعم.

.....

—

يقول السائل: إذا قللت من الأعمال الصالحة أمام الناس، وأنا متعود على عملها خوفا من الرياء هل يجوز ذلك؟

لا، ما ينبغي ترك العمل لأجل الناس، مثل ما قال الفضيل بن عياض وغيره، فأنت عملك اللي تعمله لا تتركه، ما دمت تعمل أنت في حال الخفاء فالحمد لله صل في حال الجلوة، ولا تبال، هذا من الشيطان، يقول الشيطان لا تصل أمام الناس، أنت تصلي سنة الضحى لا تصلها في العمل، لأنك يشاهدك زملاؤك ويقولون هذا مراء، الشيطان خبيث يأتي يتشمم القلب، فلا يشغله مثلا بمعصية، ما يقول لا افعل كذا لا، يقول إنك حين تصلي تقع في الرياء، فهو يوهم أنه ناصح، والشيطان من أعظم الأعداء ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [1] فالواجب الحذر، ولهذا مداخل الشيطان بحر لا ساحل له، ويجب العناية بهذا والحذر، سد أبواب وطرق الشيطان، ولهذا إذا جاءك الشيطان قل كذبت يا عدو الله كذبت، غاش من أعظم الغششة وليس ناصحا. نعم.

يقول السائل: ما حكم الكذب مع علم الكاذب أن المكذوب عليه يعلم كذبه؟

هذا أقبح وأقبح؛ لأنكما اتفقتما على المعصية؛ لأنه حينما تكذب أنت ويعلم أنك كاذب كنتما آثمين مجتمعين على المعصية، والمعصية إذا اجتمع عليها رجلان أو شخصان كانت مجاهرة، ولا شك أن المجاهرة أقبح وأقبح، فهذا مجاهر بمعنى أنه جاهر بالكذب أمام الناس، فهو يكذب ويعلم أن الناس يعلمون أنه كاذب، وهذا مجاهرة، وكل أمتي يقول النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ كل أمتي معافى إلا المجاهرين ﴾ فإذا جاهر بالكذب يقول لأني أعلم أن الناس يعلمون أني كاذب، هذا قبح فلا يجوز.

- ١سورة فاطر آية : ٦.

كذلك من يعصي ويقول: أعلم أن الناس يعلمون هذا معصية، لكن لو عمل أمرا عند الناس يجهل أنه معصية ربما كان أخف، لكن يعلم أن الناس يعلمون أن هذا معصية ومع ذلك لم يستحي لا من الله ولا من خلقه، هذا أقبح وأقبح. نعم.

.....

—

يقول السائل، أحسن الله إليكم: ما صحة حديث ﴿ أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ﴾ ؟

هذا الحديث رواه أبو داود وفيه ضعف، فيه رجل مقبول كما قال الحافظ –رحمه الله– وهو: ﴿ أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ﴾ وهذا المقبول حكمه حكم المجهول، لكن المعنى دل عليه حديث حكيم بن حزام في فضل الاجتماع والاشتراك، لكن بهذا اللفظ لا يجوز، نعم، ابن حيان، سعيد بن حيان والد يحيى بن سعيد هو مقبول، نعم، ولا هو بيحيى بن سعيد الأنصاري. نعم.

يقول السائل، ونختم بهذا السؤال: ما حكم المشاهد التمثيلية التي تقدم في بعض المناشط وهل يدخل فيها الكذب؟

التمثيليات ما يتبين لي، أقول ما أعرف الحكم فيها، لكن ألف فيها بعض الإخوان وكتب فيها بعض الإخوان، بإمكان طالب العلم أن يراجع ما كتب فيها من كتابات المشائخ والإخوان الذين كتبوا فيها واعتنوا بها وفيها كلام حسن، وبينوا شيئا من أحكامها وفيها تفصيل، قد لا يتيسر ذكرها الآن من جهتي، لأن ما يقع ويقع بالتمثيل مختلف اختلافا عظيما، فلا يمكن يجاب الجواب الجملي، لكن يمكن الاستعانة بهذه والرجوع إليها فيحصل الفائدة. أسال الله لي ولكم التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صرف المال في مصارفه الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

وعن خولة الأنصارية -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة ﴾ أخرجه البخاري.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

حديث خولة الأنصارية -رضي الله عنها- معناه واضح ومتفق على ما دل عليه من المعنى، وهو أن المال يجب العناية في صرفه في مصارفه الشرعية، وهذا سواء كان المال خاصا أو كان عاما، كل من له ولاية على مال فيجب عليه أن يعتني في صرفه في مصارفه الشرعية.

وأعظم الأموال هو بيت المال فيجب أن يجتهد في صرفه في مصاريفه الشرعية، وكذلك سائر الولايات الأخرى التي تكون فيها أموال فيجب أن تصرف في مصارفها الشرعية. والأموال العامة للمسلمين صيانتها وحفظها من ألزم الواجبات، وذلك أنها ملك عام لعموم المسلمين، وتضييعها تضييع أموال لعموم المسلمين؛ لأن عموم المسلمين لهم فيها حقوق، حقوق عموم المسلمين من المحتاجين هم أولى الناس بهذا.

ولهذا إذا ضيعت وصرفت في غير مصارفها الشرعية ضاعت الحقوق، ولهذا كان من أعظم الأمانة التي يجب أداؤها إذا وكلت إليه الأمانة، ولهذا أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه رجال يتخوضون في مال الله بغير حق، ثم ذكر "فلهم النار يوم القيامة"، والخوض في الغالب يكون في

.....

الباطن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ [2] فهو تخوض بغير حق، بلا مراعاة للحدود الشرعية.

ففيه صرف له في غير مصارفه الشرعية إما في محرمات أو في إسراف في مباحات، مع أن المال الذي هو لعموم المسلمين لا يجوز التصرف فيه ولا في أبواب المباحات التي لا يحتاج إليها، بل يُبدأ بالمصالح الأهم فالأهم، ولهذا قال عمر رضي الله عنه إني نزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم، إن احتجت أخذت، وإن استغنيت استعففت، رضي الله عنه مع إنه يعمل فيه ومع ذلك كان يأخذ رضي الله عنه بقدر حاجته لعمله فيه؛ لأنه كان متفرغا لأمور المسلمين، فنزل نفسه منزلة والي اليتيم، ووالي اليتيم يعتني به، بأن يسعى فيما فيه غبطة وهو حسن الحال لليتيم.

وكذلك أيضا من التخوض في مال الله منعه للمستحق، فالتخوض إما بصرفه في غير الوجوه الصحيحة، أو منعه من المستحق، لذا جاء الوعيد قال: فلهم النار يوم القيامة جزاء على هذا الفعل، وهذا من دلائل أنه من الكبائر كما تقدم معنا أن ما جاء فيه وعيد بالنار أو نفي لإيمان أو حد بالدنيا أو وعيد في الآخرة، فهو من الكبائر، يعني هذه تقاسيم الذنوب.

وكن عالما أن الذنوب جميعها ... بصغرى وكبرى قسمت في المجود
فما في حد في الدنى أو توعد ... بأخرى فسم كبرى على نص أحمد
وزاد حفيد المجد أو جا وعيده ... بنفي لإيمان ولعن مبعد

بمعنى أن كل شيء جاء فيه وعيد في الآخرة كوعيد بالنار ونحوه فهو من الكبائر، وكذلك نفي الإيمان وترك لأمر من الأمور الواجبة، لكن الكبائر تختلف درجاتها كما قد علم. نعم.

- ١سورة المدثر آية : ٤٥.

- ٢سورة التوبة آية : ٦٩.

حرمة الظلم

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فيما يرويه عن ربه قال: ﴿ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ﴾ أخرجه مسلم.

حديث أبي ذر رضي الله عنه فيما يرويه عن ربه عز وجل وهذا من الأحاديث القدسية: ﴿ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ﴾ هذا حديث من الأحاديث القدسية وهو من أجل الأحاديث لأهل الشام: ﴿ يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرّي – أو ضَرّي قال ضُري وضَري – فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك مما عندي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك مما عندي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني كل واحد مسألته فأعطيته مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخِل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ﴾ .

هذا الحديث القدسي فيه الوصايا العظيمة وفيه الوعظ والتنبيه، وبيان عظمة الله عز وجل وبهذا في اللفظ الآخر: ﴿ عطائي كلام ومنعي كلام ﴾ خزائنه في لفظ كن – سبحانه وتعالى– لو اجتمع الخلق كلهم منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة بجميع أجناسهم وسألوا الله عز وجل على اختلاف ألسنتهم واختلاف حاجاتهم وما يطلبون يسمعها – سبحانه وتعالى– لا يشغله صوت عن صوت، وأعطى كل واحد أمنيته مهما سأل ما نقص ذلك مما عنده شيء – سبحانه وتعالى– إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

المعنى أنه لا ينقص بل البحر يزيد، وهذا يجعل العبد يجتهد في اللجأ إليه – سبحانه وتعالى– وطلب فضله وحده، مثل ما تقدم معنا في الأخبار بأن يكون سؤاله وطلبه لله وحده سبحانه وتعالى. وهذا الحديث بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف ذكر أوله من قوله: ﴿ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ﴾ فإذا كان الله حرمه على نفسه وجب على العباد أن يمتنعوا منه، ثم قال فلا تظالموا لا يظلم بعضكم بعضا، والله ﷻ حرم الظلم على نفسه.

ثم الظلم الذي حرمه هو قادر عليه – سبحانه وتعالى– خلافا لمن قال إن الظلم في حقه لا يكون ويستحيل، وهذا خلاف ما دل عليه الخبر؛ لأنه – سبحانه وتعالى– قال إني حرمت الظلم على نفسي، وإذا كان حرمه على نفسه هو قادر عليه – سبحانه وتعالى– ولو كان كل شيء ملكه – سبحانه وتعالى– ولهذا نفى الظلم عنه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [1] ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [2] ولا ينفى شيءٌ هو يستحيل؛ فلهذا نفاه – سبحانه وتعالى– وبين أنه لا يظلم عباده.

وجاء في حديث أبي بن كعب وبلغ زيد بن ثابت وابن مسعود فأخبروا أنهم أيضا سمعوه أو أقروه في سماعه من النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو قوله: ﴿ لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم ﴾ وهذا الحديث بعض العلماء قال فيه نظر، ومنهم من تأوله على أنه لو عذبهم بمعنى قدر لهم من الأعمال التي تكون سببا في عذابهم. وبالجملة فإن صح الحديث فلا إشكال، وإن لم يصح فكذلك لا يحتاج إلى الجواب عنه. نعم.

- ١سورة فصلت آية : ٤٦.

- ٢سورة ق آية : ٢٩.

حرمة الغيبة

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: ﴿ أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته ﴾ أخرجه مسلم.

وهذا الحديث في اجتناب الغيبة، والغيبة قد علمت قد علم تحريمها بالأدلة الكثيرة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، والأحاديث فيها متواترة، وهذا اللفظ من أشهرها: ﴿ أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ﴾ قلتَ البهتانَ وهو الكذبُ، فهو غيبة وبهتان، جمع كبيرتين قبيحتين، والغيبة هي أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره.

وجاءت الأحاديث الكثيرة في تحريمها في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [1] **وثبت في الأخبار الصحيحة تحريمها، من ذلك ما روى أبو داود من حديث أنس ﷺ ﴿ أنه -عليه الصلاة والسلام- مر ليلة أسري به بأقوام يخمشون وجوههم بأظفار من نحاس فسأل عن ذلك، فقال له جبريل: هؤلاء الذين يغتابون المؤمنين ويقعون في أعراضهم ﴾ تعذيب لهم قبل ورودهم، قبل يوم القيامة، رآهم النبي -عليه الصلاة والسلام- يخمشون وجوههم بأظفار من نحاس.**

مثل ما رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- أحوال أناس كثيرين، في الحديث الطويل حديث سَمُرَة، الذين عرضوا، رآهم عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك أيضا وهو من أشد الأحاديث، وهو في الحقيقة يجعل المؤمن يرتدع، وإن كان المؤمن يردعه النهي ولا يحتاج إلى ترهيب، لكن من ذلك

- ١سورة الحجرات آية : ١٢.

.....

حديث عائشة –رضي الله عنها– الذي رواه أحمد والترمذي وهو حديث صحيح برواية أبي حذيفة الأرحبي عن عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت: ﴿ حسبك من صفية، قال: تعني قصيرة، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: " لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته " ﴾ الحديث هذا أظن رواه أبو داود أو الترمذي، والغالب على الظن أنه أبو داود، وهو حديث صحيح، لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت قصيرة.

هذه الكلمة كم من يقولها لأخيه، وكم من تقولها لأختها، لكن هذا محمول إذا كانت قالتها على جهة العيب ولم يكن هنالك حاجة، أما إذا كان على جهة التعريف فقد نص العلماء على أنه إذا احتاج المعرف إلى أن يعرف فلا بأس من ذكر أن يقول فلان مثلا القصير، فلان الطويل، فلان الأعمش، فلان الأعرج، مثل ما جاء في كثير من كتب الأحاديث، وجاء عندهم ما هو أشد من هذا، الأفطس وغير ذلك، ذكروا أشياء وهي من باب التعريف للرواة وإن كانوا يكرهون، وكان سبيلا إلى التعيين، فإذا لم يحصل هذا السبيل إلى التعيين إلا بذلك فإنه لا بأس بذلك.

ولذا ثبت في الصحيحين أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ أحق ما يقوله ذو اليدين ﴾ وكانت يداه طويلتين على المشهور، وجاء أخبار في هذا المعنى، واستثنى العلماء هذه المعاني، ومن الأبيات المذكورة في هذا الباب، في قولهم:

والقدح ليس بغيبة في ستة ... متظلِّم ومعرِّف، ومحذِّر
ولمُظهِر فسقا ومستفتٍ ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكَر

وهذه كلها دلت عليها الأخبار إما أخبار نص، وإما من جهة المعنى، والمقصود أنها جاءت الأخبار الكثيرة عنه –عليه الصلاة والسلام– في تحريم الغيبة، ومن ذلك ما رواه أبو داود عن سعيد بن زيد رضي الله عنه وإسناده جيد، وهو أيضا من الأحاديث التي فيها الترهيب من الغيبة: ﴿ إن أربى الربى أو أربى الربا الاستطالة في عِرْض المسلم بغير حق ﴾ شوف أربى الربا، يعني حينما تقول تذكر الربا، الربا المحرم، ربا النقد، ربا الفضل أو ربا النسيئة، هذا أربى الربا أقبح من الربا.

وهذا من الأدلة التي استدل بها العلماء على أن الغيبة من الكبائر، وكذلك جاء عند أبي داود من طريق آخر بلفظ آخر: إن من أكبر الكبائر الاستطالة في عرض المسلم بغير حق، ومن الكبائر السبتان بالسبة وهذا وإن كان رواه عمرو بن أبي سلمة التِنِّيسي عن زهير بن محمد أبي المنذر الخراساني، وزهير بن محمد هذا أبو المنذر الخراساني من رجال الصحيح، لكن رواية أهل الشام عنه ضعيفة، ورواية خاصة رواية عامر بن أبي سلمة التنيسي من أضعف الروايات بل قال الإمام أحمد – رحمه الله– إنها بواطيل، لكن هو في الشواهد تقدم حديث سعيد بن زيد في هذا الباب وأنه من أربى الربا، وجاءت في هذا المعنى أحاديث كثيرة.

ولو أن الغيبة صارت لها رائحة وتكيفت برائحة، وظهرت لها رائحة لما استطاع أحد أن يجلس بجانب إنسان يغتاب، من نتن ما يصدر من كلامه من رائحة منتنة، ولعل هذا هو السر، والله أعلم، في تشبيه الغيبة بمن يأكل من جسد أخيه وهو ميت: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [1] .

كذلك ما رواه أبو داود في قصة ماعز رضي الله عنه حينما ذهب، أو لما رُجم رضي الله عنه ثم تكلم رجلان من الصحابة، قالا: ألم تر إلى هذا لم يدع نفسه حتى رجم كما يرجم الكلب، والنبي يسمع –عليه الصلاة والسلام– وسكت – وهما قالاه من باب التأسي والتحزن لحاله لم يقصدا شيئا غير ذلك – فمر النبي –عليه الصلاة والسلام– في طريقه وهما معه، بحمار ميت شائل بقدميه قد انتفخ وارتفعت قدماه ورجلاه وانتصبتا لشدة نتن الرائحة، فوقف النبي على هذا الحمار –صلوات الله وسلامه عليه– عنده، ثم دعا بهما، فقال: كلا من هذا الحمار، كلا من هذا الحمار، قالا: يا رسول الله ومن يأكل من هذا الحمار! – لكن أراد –عليه الصلاة والسلام– أن يظهر العبرة، وجعل هذا الذي ظهر لهما من جيفة هذا الحمار آية وعبرة لهما – قال: ما نلتما من أخيكما أعظمُ من تناولكما من هذا الحمار الشائل بقدميه .

- ١سورة الحجرات آية : ١٢.

. . . . . .

—

وهذا لأن هذا الحمار ميت يصدر منه رائحة منتنة، ولهذا روى أحمد عن جابر رضي الله عنه ﴿ أنه هبت ريح منتنة، قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: "هذه رائحة الذين يغتابون المؤمنين" ﴾ أو ريح الذين يغتابون المؤمنين، يعني ريح كأنهم أجسادهم وما يصدر منهم كانت من هذه الرائحة، وهذه من الآيات التي يظهرها الله عز وجل لنبيه، والعبر والدلالات تظهر، ومن رحمة الله –سبحانه وتعالى– أنه لا يظهر هذه الآيات، ولو ظهرت وتبينت، لما عاش الناس.

ولهذا النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ لولا تمريض قلوبكم لدعوت الله أن يسمعكم ما أسمع ﴾ في حديث زيد بن ثابت، في لفظ آخر: ﴿ لولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم ما أسمع، حينما حالت به بغلته وكاد أن يسقط –عليه الصلاة والسلام– حين مر بأقبر أربعة أو خمسة أو ستة، فحالت بغلته حتى كاد أن يسقط، ثم قال: من دفنتم هاهنا؟ فأخبروا قالوا: قوم دفنوا في الإشراك، ثم قال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، ثم قال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، استعيذوا بالله من عذاب القبر، استعيذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، نعوذ بالله من عذاب القبر، نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: استعيذوا من فتنة المسيح الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال، نعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال، نعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال ﴾ .

ثم بين أن هذه الأمة تفتن في قبورها صلوات الله وسلامه عليه، لكن من رحمته – سبحانه وتعالى– أنه لم يظهر هذه الآيات للناس، وإلا لامتنعوا عن دفن أمواتهم، وكذلك كثير من الآيات التي قد تظهر، وربما ظهر بعضها عبرة ودلالة للناس في حياتهم، حتى يكون ذكرى، من ذلك ما وقع في هذا الحديث من هذه الرائحة، من هذه الريح المنتنة التي هي ريح الذين يغتابون المؤمنين، وهي من الكبائر على الصحيح كالنميمة، لكن النميمة أقبح، النميمة أقبح وأشد لأن فيها إفساد. والغيبة فيها ذكر، وإن لم يكن فيها إفساد لكنها تؤول إلى الإفساد.

ثم يعلم أن من الغيبة كثيرٌ من الناس ربما يقع في الغيبة على سبيل الورع، ويظهر على سبيل الزهد والتورع، يظهر للناس الترحم والتعطف، يقول فلان المسكين، فلان حصل له كذا الله يعافينا،

فلان حصل له كذا، نسأل الله العافية، نسأل الله السلامة، حصل لفلان كذا، والله يعلم ما في قلبه، مع أن ظاهر كلامه كأنه يريد الدعاء له، كأنه يريد له الخير مع أنه ربما فرح بما وقع له فيه، ربما أراد

.....

أن يظهر وأن يشتفي بما في قلبه بلسانه بكلمات يظهر منها أنه يريد له الخير، مع أن حقيقة ما في قلبه هو الغيبة له.

ولهذا قال العلماء الغيبة تكون باللسان، وتكون بالإشارة، وتكون بالقول. فلو أن إنسانا ذُكر عنده رجل فأدلع لسانه، هذه غيبة، كذلك تقليده في مشيه، غيبة، وفي حديث عائشة أيضا الصحيح الذي سبق حكيت له إنسانا ومايز قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ وما يسرني أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا ﴾ ما يسرني أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا، يعني ما يحكيه بفعله، ما يجوز الحكي والمحاكاة، معناه أنه تقليد، تقليد مشيته، تقليده بشيء من الأمور التي هو يكرهها، فهذه كلها من الغيبة المحرمة. نعم.

هي الحقيقة مهمة، هي صحيحة مهمة مما ذكرت، هي مهمة لكن قد يستوفي الكلام الوقت فيها، لكن نذكرها على سبيل الإجمال، أنه مثل ما جاء متظلم، التظلم يأتي إنسان يقول فلان ظلمني فلان اعتدى عليَّ، لا بأس أن يأتي للحاكم أن يأتي للقاضي، لا بأس أن يقول فلان ظلمني، وهذا واقع في عدة قصص جاءت النبي –عليه الصلاة والسلام– فيمن يشتكي فلان اعتدى عليَّ، وهذه وقعت في عدة قصة الزبير مع صاحبه، وقصة ذلك الأنصاري مع سمرة بن جندب، وقصص بعضها قد تكون في حضرة الخصم، وبعضها قد تكون في غيبته.

وكذلك أيضا المعِّرف، المعِّرف يعني حينما يسألك إنسان عن فلان تقول فلان كذا وفلان كذا، فهذا المستشار مؤتمن، لو سألك إنسان عن الشخص الذي تقدم عليه في الزواج أو امرأة سألت عن رجل، يبين لها إن كان فيه عيب فلا بأس، هذا من النصح، النصح واجب، وأيضا المستشار مؤتمن.

أيضا ثبت في الصحيحين، أن النبي –عليه الصلاة والسلام– لما استشارته في معاوية، وأبي جهم وأسامة، قال: ﴿ أما أبو الجهم فرجل ضراب للنساء ﴾ وفي لفظ: ﴿ لا يضع عصاه عن عاتقه ﴾ اختلف هل المراد به السفر أو المراد به كما في الرواية الأخرى أنه ضراب للنساء، و ﴿ أما معاوية فصعلوق لا مال له ﴾ وهذا كان في أول الأمر، يعني في حياته –عليه الصلاة والسلام– ﴿ انكحي أسامة ﴾ فقال –عليه الصلاة والسلام– لا هذا، هذا.

.....

كذلك "ومحذر"، المحذر يحذر من الشر يحذر من الفتن، مثل ما قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا ﴾ يقول –عليه الصلاة والسلام– في صحيح البخاري.

وفي صحيح البخاري أيضا لما جاء ذلك الرجل، في رواية أنه الأقرع بن حابس، فاستأذن فقال: ﴿ ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو بئس ابن العشيرة، ثم لما قابله –عليه الصلاة والسلام– تطلق في وجهه وتبسم فقالت عائشة – رضي الله عنها–: جاء فلان فقلت بئس ابن العشيرة فلما جاء تبسمت في وجهه، قال: " إن من شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس ودَعَوه اتقاء فحشه " ﴾ .

كذلك أيضا "ولمظهر فسقا"، المظهر الفسق هذا قد ألقى جلباب الحياء، ومن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، وإن كان ما يصح، وجاء باللفظ الآخر عند الطبراني: ﴿ أترعوون عن ذكر الفاجر اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس ﴾ لكن يدخل فيه ما تقدم أيضا في الحديث حديث عائشة – رضي الله عنها– ولهذا قال البخاري: باب ذكر أهل الفساد والريب، يعني ذكرهم، يعني ذكرهم وذكر عيبهم. "ولمظهر فسقا، ومستفتٍ" مثل ما تقدم يستفتي إنسان في فتوى مثل ما وقع لهند بنت عتبة في قولها إن أبا سفيان رجل شحيح، وصفته بالشح. والشح لا شك أنه خصلة ذميمة لكن احتاجت إلى وصفه فأقرها النبي على ذلك، والظاهر أنه لم يكن حاضرا.

"ومن طلب الإعانة في إزالة منكر" كذلك أيضا لو قال إنسان إن فلانا واقع، فلانا يزني، فلانا فعل كذا، فهذا لا بأس به لأنه من باب تحصيل مصلحة، ومن باب إنكار منكر، وإنكار المنكر يجب ولا يحصل إلا، وإذا كان لا يزول إلا بأن تستعين بغيره. فإذا طلب الإعانة وبينت له ذلك فإنه لا بأس أن تبين لأنه من تمام الواجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، تقول فلان كذا، فلان كذا، فهذه أمور دلت عليها الأخبار كما تقدم. نعم.

بيع المسلم على بيع أخيه

وعنه قال ﷺ قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرار، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه ﴾ أخرجه مسلم.

وهذا الحديث تقدم الإشارة إليه في قوله في ذكر الحسن في حديث ثبت معنى حديث ابن عمر في الصحيحين، ومن حديث أيضا جاء معناه في حديث أنس، وجاء في أحاديث أخر، ومن الأحاديث اللي وردت في هذا الباب حديث الزبير بن العوام رواه أحمد والترمذي: ﴿ دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء، الحالقة لا أقول تحلق الشعر بل تحلق الدين ﴾ .

وضد ذلك الإصلاح، وضد ذلك الإصلاح، كما في حديث أبي الدرداء وهو عند أحمد والترمذي وهو حديث لا بأس به أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ ألا أدلكم، أو ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين الحالقة ﴾ وهذا أيضا فيه إشارة إلى فساد ذات البين بالحسد والبغضاء: ﴿ لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ﴾ وهذه المعاني كلها متفق على النهي عنها، ولهذا قال: ﴿ ولا يبع بعضكم على بيع بعض ﴾ ؛ لأنه مما يسبب فساد القلوب.

وبيع البعض على بيع بعض محرم، وصورته: أن تعرض على إنسان إذا أراد أن يشتري سلعة مثلا بمائة ريال من البائع فتقول أنا أبيعك أحسن منها بقيمتها، أو أبيعك مثلها بأقل منها، بخمسين ريال،

هذا لا يجوز، بيع على البيع، كذلك السوم على السوم، كذلك الشراء على الشراء. لفظ مسلم: ﴿ لا يسم أحدكم على سوم أخيه ﴾ والبيع له تفصيل، إن كان في حال المزايدة، هذا لا بأس، لو أن

. . . . . .

إنسانا يعرض شيئا يحرِّج عليه فلا بأس من أن يشتري على شراء أخيه إذا كان على، لأنه ليس بشراء عليه لأنه سوم، وكذلك إذا كان بينهما شيء من المراوضة بلا ركون، مثل يجادله بالسعر أريدها بكذا، أو بكذا، وأراد أن يبيع عليه قبل الركون فهذا لا بأس به، وإن كان بعد الركون مثل الذي يقول سوف أنظر، هذا لا يجوز.

وكذلك من باب أولى إذا كان بعد تمام البيع في حال الخيار، ففي صورتين لا يجوز، وفي صورتين لا بأس به، وفي صورة ثالثة أيضا لا يجوز وهو بعد انتهاء البيع حتى بعد خيار المجلس على الصحيح، لو إنسان اشترى سيارة وتم البيع وتم كل شيء، ثم علمت أن فلانا اشترى سيارة ثم ذهبت تقول أنا أريد أن أبيع سيارتي ورحت تعرض عليه سيارتك، تعلم إنه قد اشترى السيارة، هذا لا يجوز إلا إذا علمت أنه بحاجة إلى سيارة ثانية. أما كونك تذهب إليه وتريد أن تبيع السيارة أو هذا الطعام، أو هذا الكتاب أو هذه الآلة، وقد اشتراها تريد بذلك أن يشتري منك، فإنه قد يكون سببا لادعائه خسران البيع، فقد يرغب في سلعك إما لكون الثمن أقل، ويظن أن فلانا غبنه، أو بسبب من الأسباب كون هذه السلعة أفضل، فربما ادعى أن فيها عيبا وربما ذهب إلى البائع الأول وألح عليه وطلب منه فسخ البيع، إلا إذا علمت أن له رغبة أن يشتري هذه السيارة فلا بأس بذلك.

﴿ وكونوا عباد الله إخوانا ﴾ إلى قوله: ﴿ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ﴾ لا يجوز أن يحقر أخاه المسلم، المسلم أخو المسلم، ولهذا في اللفظ الآخر: ﴿ كلكم لآدم وآدم من تراب ﴾ وجاء في الحديث الآخر أن المفاخرة والذي يفاخر كالجُعَل الذي يدهْدِه الخِراء ويدار به، وأن هذا إشارة إلى نتن وفساد وقبح هذا الفعل. ﴿ كلكم لآدم وآدم من تراب ﴾ وأن الفضل بالتقوى، وأن هذه الأنساب والجاه، والمناصب ليست مسبة على أحد، وليست بسباب على أحد، إنما الفضل بالدين والإيمان كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، كلكم بنو آدم، طفَّ الصاع لم تملؤه، لا فضل لأحد على أحد إلا بدين وتقوى – بحسب امرئ من الشر أو بحسب الرجل أو امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم بحسبه أو – بحسب امرئ أن يكون فاحشا بخيلا بذيئا ﴾ .

. . . . . .

ولهذا بين أنهم متقاربون، وأن هذه الأنساب وما بينها، ليست بمسبة وليست بموضع لد+ والتنقص، إنما التنقص بنقص الدين، هذا هو النقص، كذلك وبين قال "طف الصاع لم تملؤه" يعني نقص، مثل ما تشتري الشيء بصاع والصاع لم يمتلئ نقص، كذلك بنو آدم كلهم ناقصون قاصرون كنقص ذاك الصاع عن الامتلاء، فهم سواء في أنهم لآدم، والله ﷻ إنما فضلهم بالتقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [1] .

وقال النبي –عليه الصلاة والسلام– في الصحيحين بين أن أكرمهم أتقاهم، فقال: إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فبين أن الكرم بالتقوى، وفي اللفظ الآخر: الكرم التقوى بحسب امرئ أن يحقر أخاه المسلم نعم.

- ١سورة الحجرات آية : ١٣.

التعوذ من منكرات الأخلاق

وعن قطبة بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: ﴿ اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء ﴾ أخرجه الترمذي، وصححه الحاكم واللفظ له.

وحديث هذا قطبة بن مالك رواه الترمذي برواية سفيان بن وكيع، وهو فيه ضعف لكن رواه الحاكم من طريق ورواه ابن حبان من طريق آخر صحيح، وفيه التعوذ من منكرات الأخلاق، وهذه الإضافة يعني إضافة تقييد ليست كاشفة، إضافة مقيدة لأن الأخلاق قد تكون منكرة، وقد تكون حسنة، ومنكرات الأخلاق والأعمال كذلك، ليست إضافة من باب التقييد، يعني الأخلاق المنكرة والأعمال المنكرة، والأهواء مختلفة، هل هو يعني إضافة يعني كاشفة وبيانية أو هي تقييدية على حسب، وهل الأهواء لا تكون إلا شرا أو أنها تكون مباحة لكن في الغالب أن الهوى إذا أطلق يكون في الأمور التي ليست بحسنة.

وبالجملة منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء مما ينبغي التعوذ منها، وكذلك في اللفظ والأدواء والأسواء في اللفظ الآخر، وهنا في الأدواء وهو سيئ الأدواء، والإنسان يتعوذ من المنكرات عموما، ومن منكرات الأخلاق والأعمال خصوصا، وكذلك من سيئ الأسقام ومن كراهة الأسقام؛ لأن هذه الأعمال تصرفه عن الأعمال الصالحة، وإذا اتصف بها كان بذيا في قوله، بذيا في عمله، مبغضا عند الله وعند خلقه. نعم.

المراء والمزاح وإخلاف الموعد

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ لا تماري أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعدا فتخلفه ﴾ أخرجه الترمذي بسند فيه ضعف.

—

والحديث ضعيف لأنه من رواية ليث بن أبي سُليم بن زنيم الليث، وليث مشهور بالضعف، لكن ما دل عليه من المعنى وهو المماراة لا تماري أخاك، النهي عن المماراة كذلك لأنها تفضي إلى النزاع، وهي المماراة التي لا يحصل منها مصلحة ولا فائدة، بل جادل بالتي هي أحسن، ويكون البحث بالتي هي أحسن، أما إذا انتهى الأمر إلى المماراة فالمماراة تورث النزاع، وربما تورث الحقد والبغضاء، والعداوة.

ولهذا قال –عليه الصلاة والسلام– في عدة أخبار وهو حديث صحيح:﴿ مراء في القرآن كفر ﴾ لأن كل إنسان يقصد الغلبة، لم يقصد الحق، وهذا منهي عنه ولا يجوز، وإذا كان المراء في أحكام الشريعة، كان الأمر أشد، وكذلك المراء عموما، لا يماري أخاه، لأن المقصود من الكلام المصلحة، ولهذا يقول النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ﴾ فإذا لم يظهر الخير فالصمت هو الأولى وربما كان واجبا.

كذلك المزح والممازحة، المراد المزح الذي يورث العداوة، وأول العداوة مبدؤها المزح، وهذا المزح الذي يكون فيه تعدٍ أو كثرة أو مبالغة، أما المزح اليسير فلا بأس، فقد مازح النبي أصحابه عليه الصلاة والسلام، والصحابة أيضا كانوا يمازحون، يمازح بعضهم بعضا، ويقال المُزاح والمِزاح، وهو الدعابة، ويكون اللين في القول واللطف فيه، وإيراد بعض الأقوال التي يحصل بها إيناس النفس.

وكان أهل العلم ربما مازحوا، والممازحة التي يحصل بها إيناس ويحصل بها نشاط، وكانوا في مجالس العلم إذا تيسر ذلك وصار الوقت مناسبا، ربما أوردوا بعض الحكايات يسمونها الإحماض أحمضوا لنا، وابن عباس – رضي الله عنهما – كان إذا تكلم وحدث ثم يقول أحمضوا لنا، يعني يأخذون في

.....

الأحاديث التي يكون فيها شيء من الترويح عن النفس بعد جدها واجتهادها، مثل ما ترعى الإبل الحمض حينما ترعى وتكثر من الرعي فترعى ما يكون سببا في تسهيل ما أكلته.

فكذلك أيضا هذا الإحماض يكون سببا في تيسير الفوائد، لكنه لا يكون كثيرا، ويجعل الإنسان وقته كله مزحا ولعبا مثل ما قيل، كالذي يرقص مع الزنوج ويقول إن عائشة –رضي الله عنها– جعلت ترى الحبشة يرقصون، وهذا لا شك أنه من القول الباطل، ومثل من ينقر صلاته فيقول إن النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يخفف، وهذا من القول الباطل ومن الشبهات بل من الضلالات.

والنبي كان يمازح في أخبار كثيرة عنه –عليه الصلاة والسلام– مازح أصحابه في عدة أخبار صحيحة، وجاء في قصة زاهر بن حرام، حينما مازحه، وأمسكه من خلفه –عليه الصلاة والسلام– وكان يحبه، والحديث رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح، بل إسناد على شرط الشيخين، رواه عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس، وهذا إسناد على شرط مسلم أو على شرطهما، ﷺ وفيه أنه أمسكه من خلفه وكان يحبه –عليه الصلاة والسلام– وقال: من يشتري مني العبد؟ وهو كان يبيع في السوق – قال إذا تجدني، بل جاء وأمسكه – ثم قال: أرسلني من هذا؟ أرسلني، لم يعلم أنه النبي –عليه الصلاة والسلام– فالتفت فإذا النبي –عليه الصلاة والسلام– فلم يألُ أن يلصق ظهره بصدر النبي –عليه الصلاة والسلام– ثم جعل يقول: من يشتري مني العبد؟ قال: إذا تجدني كاسدا يا رسول الله، قال: إنك لست عند الله بكاسد إنك عند الله غالٍ ﷺ قوله من يشتري مني العبد، هذا من باب التورية، وكلنا عبيد لله ﷻ ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [1].

وهكذا في عدة أخبار، قال: ﷺ إنا حاملوك على ولد الناقة، قال: وكيف أصنع بولد الناقة؟ قال: وهل تلد الإبل إلا النوق ﷺ وجاء في أخبار في بعضها ضعف: " زوجك الذي في عينيه بياض "، وهو من طرق بعضها ضعيف، لكن الأحاديث والشواهد في هذا كثيرة عنه –عليه الصلاة

- ١سورة مريم آية : ٩٣.

والسلام- لكنه يكون بقلة، ويكون أيضا باعتدال، ولا يكون فيه شدة وغلظة مما يفضي إلى العداوة والبغضاء.

.....

—

كذلك أيضا لا يجوز أن تعد أخاك موعدا لا تعده موعدا وتخلفه، وهذا من الأدلة التي يدل بها على وجوب الوفاء بالوعد، وهذا قول عمر بن عبد العزيز وجماعة من أهل العلم، تقدم الإشارة إلى هذا. نعم.

البخل وسوء الخلق

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : ﴿ خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ﴾ أخرجه الترمذي وفي سنده ضعف.

—

لأنه من طريق صدقة بن موسى الدقيقي وفيه ضعف، وهذا الخبر في ﴿ خصلتان لا تجتمعان في المؤمن البخل وسوء الخلق ﴾ تقدم البخل وأنه الإمساك، وكذلك سوء الخلق، وسوء الخلق يفسد الأعمال ويفسد الأحوال، ولهذا لا تجتمعان في مؤمن، ولهذا المنافق بضد هذا في اللفظ الآخر: ﴿ خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في دين ﴾ كذلك هاتان الخصلتان لا يجتمعان في مؤمن. فالبخل وسوء الخلق تنافي أخلاقه فأن المؤمن طيب المعشر طيب الخلق، ولهذا روى الترمذي حديثا من رواية بشر بن رافع رواية أبي هريرة ﷺ أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ المؤمن غِرٌّ كريم والفاجر خِب لئيم ﴾ وخب يعني يخدع أو يبخل أو الصفتان، لئيم هذه من خصال الكافر، والمؤمن غر كريم، والفاجر أو قال الكافر خب لئيم، بمعنى أنه ربما يُخدَع، يخدع لطيب نفسه.

وليس معنى ذلك هو الخديعة التي تفضي إلى شر وفساد، لكن يُخدع فيما يحصل مقصوده شرعا بلا فساد، ولهذا قال عمر كما يروى عنه: لست بالخب ولا الخب يخدعني.

والمؤمن طيب المعشر، طيب الخلق، قال النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه أحمد بإسناد صحيح: ﴿ المؤمن مألف ولا خير فيمن لا يؤلف ﴾ المؤمن مألف، وفي اللفظ الآخر مألفة، يعني موضع للألفة، موضع للاجتماع، المؤمن يجتمع عليه الإخوان، المؤمن يجمع بين الإخوان يؤلف بينهم، سماه مألف، موضع الائتلاف، موضع الاجتماع. هكذا صفة أهل الإيمان، لا يفرق، يجمع القلوب يقارب بينها يصلح يجتهد، فلا يهدأ له بال، ولا يطمئن حتى يجتمع إخوانه إذا كانوا متفرقين.

ولعظم هذا الأمر جاز الكذب بل شرع لأجل الإصلاح بين الناس، كما في الصحيحين: ليس الكذاب الذي يقول خيرا أو ينمي خيرا فأمر بالكذب، وفي حديث أسماء: ولم أسمعه يرخص

.....

—

الكذب إلا في ثلاث في الحرب، وفي حديث الرجل لزوجته، والمرأة لزوجها، وفي الإصلاح بين الناس ﷺ لعظم الأمر في التأليف والجمع. نعم.

حرمة السب

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ المستبَّان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم ﴾ أخرجه مسلم.

—

نعم، حديث "المستبان ما قالا فعلى البادئ" عند أبي داود زيادة منهما ما لم يعتد المظلوم، المستبان يعني يسب هذا هذا، والسب حرام لا يجوز، ولهذا قال: ما قالا، يعني إثم ما قالا، يوضحه اللفظ الآخر عند أحمد من حديث عياض بن حِمار: ﴿ إثم المستبين ما قالا، فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم ﴾ صرح بالإثم.

وفي اللفظ الآخر عند أحمد بإسناد صحيح من رواية عياض بن حمار مجاشع ﷺ ﴿ المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان ﴾ المستبان شيطانان، يتهاتران، يقولان الهتر وهو القول الباطل، ويتكاذبان، فذكر ثلاث صفات كلها محرم، وأعظمها أنهما شيطانان، ولا يجوز التشبه بالشياطين، سواء كانوا من شياطين الإنس أو من شياطين الجن، لأن الشيطان من شطن إذا بعد عن الخير أو من شاط إذا احترق بالذنوب والمعاصي، فكله بعدٌ عن الخير، ولهذا بين أن التهاتر والتكاذب هو من صفة الشياطين وأن هذا لا يجوز.

"المستبان ما قالا" بمعنى أن إذا استب رجلان أو امرأتان أو رجل وامرأة فعلى البادي، الأول الذي ابتدأ، فإذا قال يا ظالم قال يا ظالم، قال يا معتدي، قال يا معتدي، قال يا كذاب، قال يا ظالم يا كذاب، الآن قبل أن يزيد قصاص: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [1] **الانتصار لا بأس به، فإذا قال له يا ظالم، يا ظالم، يا كاذب، يا كاذب، يا أحمق، يا أحمق، يا مفتري، يا مفتري، لكن لو قال يا ظالم، قال يا ظالم يا كذاب في هذه الحال يأثمان جميعا، ولذا قال: "ما لم يعتد المظلوم"، لأنه زاد، ولذا قال: "السبتان بالسبة ربا"، أو من الكبائر، كما في الحديث المتقدم.**

- ١سورة الشورى آية : ٤١-٤٢.

فلا يجوز أن يسبه سبتين بسبة، إذا سبه سبة، يسبه سبة واحدة يرد عليه بمثلها، لا يزيد وإن تركه فهو أفضل، ولهذا قال النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما رواه أبو داود في حديث عائشة لما سرقت لها ملحفة، جعلت تدعو على من سرقها قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ لا تسبخي عليه ﴾ يعني لا تخففي عنه، إنك أنت إذا دعوت خففت عنه؛ ولهذا ربما بعض من يقتص بالدعاء أو بالرد يكون مظلوما في بعض الأمر ثم لم يزل يزدد حتى يكون ظالما، ولهذا من دعا على ظالمه فقد انتصر، ولا يكون يعني إنه قصاص، وقد اقتص منه فإذا زاد عليه يكون ظالما.

لهذا لا يجوز أن يزيد، وكذلك لا يجوز إذا كان السب كذبا، مثل إذا كان لعنا، كما هو قول الجمهور لا يجوز أن يلعن على الصحيح، وإن كان فيه خلاف جواز رد اللعنة، لكن الصحيح أنه لا يجوز، وفيه بحث لأهل العلم في مسألة اللعن لكن لا يجوز أن يلعن لأن اللعن طرد وإبعاد عن رحمة الله، ولهذا جاء في اللعن من التشريد فيه سيأتي بعض الأخبار بشرح شيء من هذا. نعم.

النهي عن الضرار

وعن أبي صرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ من ضارَّ مسلما ضاره الله ومن شاقَّ مسلما شقَّ الله عليه ﴾ أخرجه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

—

وهذا الحديث من طريق لؤلؤة الأنصارية مولاة عن أبي صرمة، والحديث في باب الشواهد لأن الشواهد في النهي عن الضرار لا ضرر ولا ضرار، وجاء في حديث أبي بكر وغيره أخبار في هذا الباب تدل على النهي عن الضرار والمضارة وأنه محرم، والضرر والضرار، كله محرم، اختلف في الفرق بينهما وهل هما واحد، لكن لا يجوز للمسلم أن يضر إخوانه.

وكذلك المضرة في الولاية العامة، والمضرة بين الزوجين كلها من الأمور المحرمة، كما تقدم أيضا في مسألة السباب وأنه أيضا من الأمور المحرمة. وجمع المصنف -رحمه الله- هذه الأخبار لأنها نوع شر وفساد. وأيضا مما ينبه إليه في مسألة العفو وهو حديث أبي بكر رضي الله عنه ﴿ حينما سبه رجل فسكت عنه أبو بكر، فسبه الثانية فسكت عنه أبو بكر، فسبه الثالثة فرد عليه، فقام النبي -عليه الصلاة والسلام- فلحقه أبو بكر وقال: يا رسول الله قمت، قال: نعم إنه كان ملك يدفع عنك، فلما رددت عليه حضر الشيطان، فلم أكن لأجلس وقد حضر الشيطان ﴾ .

فهذا يبين أن من اعتدى عليه إنسان، وكان قادرا على الانتصار فسكت وأعرض عنه فإنه ربما يؤيد ويكون مجلسه مجلس خير، فإذا رد حضر الشيطان، ولهذا الأحنف بن قيس -رحمه الله- كان من أحلم الناس، وكان إذا سبه إنسان أعرض عنه، ويقول:

كنت إذا فاه السفيه بسب عرضي كرهت أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الإحراق طيبا

لا يزيده السب إلا طيبا، ولهذا ربما عض أصابع ندمه وذهب وقال والله ما زادني إلا غيظا، يعني الساب نفسه. نعم.

إن الله يبغض الفاحش البذيء

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إن الله يبغض الفاحش البذيء ﴾ أخرجه الترمذي وصححه.

وهذا حديث أبي الدرداء إن الله يبغض الفاحش البذيء، صححه الترمذي، وهو من طريق يعلى بن مملك عن أبي الدرداء، ويعلى بن مملك، يروي عن أم سلمة، ويروي عن أبي الدرداء وهو مقبول، لكن له شاهد أيضا من حديث أسامة بن زيد عند الطبراني "إن الله يبغض الفاحش البذيء".

والأحاديث في الفحش والنهي عنه كثيرة: ﴿ والنبي -عليه الصلاة والسلام- لم يكن فاحشا ولا متفحشا - حديث أنس - كان يقول عند المعتبة ما له ترب جبينه ﴾ عليه الصلاة والسلام. والفحش يكون بالقول وهو أشده، معناه أن يقول قولا فاحشا، والفحش معناه هو إما بالتعدي أو بالتجاوز أو يكون أمرا محرما. نعم.

ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء

وله من حديث ابن مسعود رفعه: ﴿ ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء ﴾ وحسنه وصححه الحاكم ورجح الدارقطني وقفه.

—

هو لا بأس به، من رواية الأعمش عن إبراهيم عن علقمة، والأعمش وإن كان مدلسا لكن يرى جمع من أهل العلم كالذهبي وجماعة أن رواية الأعمش عن إبراهيم على الجادة، وهذا سندٌ عظيم يأتي به أحاديث كثيرة، فأجروه مجرى المتصل في هذه الرواية. وأيضا شواهده في المعنى كثيرة. وليس المؤمن بالطعان واللعان ولا الفاحش، ولا البذيء، وهذه كلها خصال سيئة، واللعن من الخصال السيئة، واللعن كما تقدم طرد وإبعاد، فلا يجوز للمؤمن أن يلعن أي شيء، لا يلعن دابة ولا شجرة.

ولهذا الذي جاء عن أبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيم عند أبي داود بسند صحيح: ﴿ ولا تسبن شيئا، قال: فما سببت بعده دابة ولا امرأة ولا خادما ﴾ أو كما قال رضي الله عنه. وكذا والنبي –عليه الصلاة والسلام– في حديث عمران بن حصين ﴿ أن امرأة كانت على ناقة لها فتحلحلت عليها وتلكأت عليها فلعنتها أو سبتها، فقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: " لا تصحبنا ملعونة " ﴾ قال عمران: فلقد رأيتها تمشي وما يعرف لها أحد، أي هذه الدابة، وكأنها والله أعلم أن اللعنة أدركتها.

وفي حديث أبي الدرداء عند أبي داود أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ إذا لعن الرجل شيئا فإنه تذهب إلى أبواب السماء فتغلق دونها أبواب السماء، ثم تذهب إلى الأرض فتغلق دونها أبواب الأرض، ثم تذهب هاهنا وهاهنا فإن لم تجد مساغا ذهبت إلى الذي لُعن، فإن كان أهلا وإلا رجعت إلى الذي لَعن ﴾ يعني مآلها أن ترجع إلى اللاعن والعياذ بالله، اللعنة ترجع إلى اللاعن، وقال النبي –عليه الصلاة والسلام– كما في الصحيح: ﴿ لعن المؤمن كقتله ﴾ يعني في الإثم.

وهذا يبين خطورة اللعن، وهذا صحيح، لأنه حينما تلعنه اللعن لا يكون إلا للمطرود المبعد من رحمة الله، وهذا لا يكون إلا المنبت المنبتر الذي قطع من الرحمة، ولا يقطع من الرحمة إلا الكافر،

والكافر إن كان مسلما فحقه القتل، كأن هذا والله أعلم هو السر إنه كقتله، كأنه حكم عليه بأنه مرتد؛ لأنه قطعه من رحمة الله، ولا يقطع من رحمة الله قطعا تاما إلا من كان كافرا مرتدا، إلا من كان

.....

كافرا، وإن كان من أهل الإسلام فكفر طارئ، فيكون مستحقا للقتل، وإن كان كافرا أصليا فهو في الأصل كافر يستحق القتل بالجهاد إلا أن يسلم أو يؤدي الجزية إن كان من أهل الجزية.

فلهذا قال: "لعن المؤمن كقتله"، وفي حديث ابن مسعود هذا المعنى، وفي حديث ابن عباس أيضا عند أبي داود ﷺ أن رجلا لعن الريح، نازعته في ردائه فلعنها، فقال: لا تلعنها فإنها مأمورة، وإن من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت على الذي لعن ﷺ ترجع على نفس اللاعن الذي لعن، وقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: كما رواه مسلم: ﷺ لا ينبغي لصدِّيق أن يكون لعانا ﷺ وروى أبو الدرداء كما عند مسلم أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﷺ لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ﷺ .

وقال –عليه الصلاة والسلام– فيما رواه الترمذي وغيره: ﷺ لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار ﷺ كلها أمور محرمة لا يجوز التلاعن بها ولا يجوز الدعاء بها، بل الدعاء، لا يجوز أن تدعو على أخيك المسلم، كلها من الأمور المحرمة، فالواجب أن يكون طيب القول طيب العمل.

سب الأموات

وعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ﴾ أخرجه البخاري.

—

وهذا الحديث في النهي عن سب الأموات: ﴿ لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ﴾ فلا يجوز سب الأموات. وظاهر النص العموم سواء كانوا كفارا أو فساقا أو من المحافظين من عموم المسلمين، فلا يجوز سب الأموات مطلقا، لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا.

وفي الحديث الآخر عند الترمذي: ﴿ لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا ﴾ فلا يجوز سب الأموات، وذلك أن السب يجري مجرى الغيبة على الصحيح. فكما لا تجوز الغيبة للأحياء، فلا يجوز السب للأموات، بل إنه أعظم لأن الحي ربما ينتصر لنفسه، ربما يعلم، والحي أيضا ربما يُنتصر له، بخلاف الميت قد يكون الأمر في حقه من جهة أنه الآن قد مات فلا يُنتصر له، فلهذا يجري مجرى الغيبة، لكن إثمه أشد، لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا، انتهى الأمر، فأمرهم إلى الله ﷻ لكن من ظهر فسقه وشره، وأُريدَ سبه لأجل التحذير، فلا بأس من ذلك، لا بأس من ذلك.

ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث أنس ﴿ أنه –عليه الصلاة والسلام– مُرَّ عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال: وجبت، ومُرَّ بجنازة فأثنوا عليها شرا، فقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: وجبت، فقال عمر: ما وجبت؟ قال: أنتم من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في أرضه ﴾ .

في اللفظ الآخر في البخاري عن عمر رضي الله عنه برواية أبي الأسود الدؤلي عنه ﴿ أنه في خلافته مُرَّ عليه بجنازة، فأثنوا عليها خيرا فقال عمر: وجبت وجبت وجبت، ثم مر عليه بجنازة فقال: وجبت وجبت وجبت، ثم مر عليه بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرا فقال: وجبت وجبت وجبت، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما وجبت؟ فأخبرهم أنه لا يقول إلا ما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– وأنه مر عليه بمثل

هذه الجنائز، ثم قال: ما من مسلم يشهد له أربعة من الناس أنه لا يعلم إلا خيرا إلا قبل الله شهادتهم، قلنا: وثلاثة، قال: وثلاثة، قلنا: واثنين، قال: واثنين، ثم لم نسأله عن الواحد .

. . . . . .

—

وعند أحمد بإسناد صحيح: ﴿ ما من مسلم يشهد له أربعة من جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون إلا خيرا إلا قال الله قبلت شهادتكم فيه وغفرت له ما لا تعلمون ﴾ وفي حديثٍ عند ابن ماجه وحسنه بعضهم أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بمَ يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن، وبالثناء السيئ ﴾ ؛ ولهذا من اشتهر بالثناء الحسن دلالة الخير، حتى قال جمع من أهل العلم كأبي ثور، إن أحمد من أهل الجنة، شهد له للثناء عليه على مر العصور وكر الدهور، كذلك غيره من أهل العلم ممن اشتهر الثناء عليه، وبقي ثناؤه.

وهذا أحد القولين لأهل العلم في الشهادة بالجنة لمن ظهر الثناء، وإن كان المعروف في كلام أهل العلم أنه لا يشهد بالجنة ولا بالنار إلا من شهد له الله ورسوله، فمن ملأ، وفي اللفظ الآخر أنه يعني خير الناس من ملأ أسماعهم خيرا، وشرهم من ملأهم من الشر، أو من الثناء بالشر شرا، يقال الثنا في الشر والثناء في الخير، وقيل النثا بالشر والثنا بالخير، وقيل ملأ ابن أبي الدنيا الدنيا علما، فالملؤ بحسبه، فمعنى امتلأت أسماع الناس معنى أن هذا ظهر واشتهر حتى امتلأت الأسماع.

فهذا المعنى كما تقدم ثابت في الأخبار، لكنه يجري مجرى الغيبة، فمن شُهد له بالخير كذلك، كذلك من كان مشهودا له بالشر وهو ميت، وأردنا أن نحذر منه فلا بأس من ذكره على سبيل التحذير، لا بأس أن يُذكر إنسان مثلا ويُحذر منه وإن كان ميتا خشية الاغترار به لبدعة أو ضلالة أو يظن أناس أنه من الخير، فيكون القصد هو التحذير من عمله ومن طريقته، فهذا لا بأس به. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أحسن الله إليكم، هذا سائل يسأل عن حكم غيبة الشخص غير المكلف سواء طفل أو مجنون؟

يظهر، والله أعلم، أنه لا يجوز، لكن ليس كغيبة المكلف، مثل ما نقول في قذفه، إنه لو قذف صغيرا لا يعاقب عقوبة القاذف، لأن من شرط المقذوف أن يكون محصنا، لكنه يعزر. فالذي يظهر، والله أعلم، أن من اغتابه يجري مجرى قذفه، كمجرى قذفه، بمعنى أنه لا يجوز ويحرم؛ لأن هذا مهما كان فيه إساءة، وإن لم يكن إساءة له ربما إساءة إلى أهله، لأنه إذا كان غير مكلف فتخلقه بالأخلاق أو اتصافه بالصفات التي ليست مناسبة، سواء كانت في خُلُقه أو في خَلْقه، يسيء إلى أهله، يسيء إلى

.....

من يلي أمره، وبالجملة يكون محرما، لكن قد يكون دون الغيبة في الحكم إذا كانت في حق مكلف. نعم.

وهذا سائل يسأل عن حكم النُكَت من باب المزاح على بعض الأشخاص والبلدان والفئات؟

أولا تسميتها نكتا هذا موضع نظر، النكتة هي الفائدة وهي الغريب من المسائل، فصارت تطلق على الكذب وهذا من تسمية الباطل بالأقوال بالشيء الحق، يسمى الكذب نكتة، لهذا سمى الحافظ بن حجر النُكت على ابن الصلاح، النكت يعني الفوائد التي تكتب والتي يجريها ويستنبطها صاحبها، وهذا جارٍ في المؤلفات والمصنفات لأهل العلم، والمقصود بالنكت المراد به ما يقال من الكذب في القول، وهذا لا يجوز إن كان كذبا، ولهذا ثبت في الخبر عند أبي داود – سيأتينا بإذن الله – من حديث بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده، وهذا سند حسن رواية بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ ويل للذي يُحدِّث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له ﴾ .

والويل على الصحيح معناه يعني عذابٌ شديدٌ له، هذا هو معنى الويل، كلمة تشديد وتقريع، وقال بعضهم إن ويل وادٍ في جهنم لكن لا يصح لحديث أبي سعيد رواه الترمذي وابن حبان، أنه – عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ ويل واد في جهنم ﴾ لا يثبت برواية دَرَّاج عن أبي الهيثم، لا يصح، لكنه قد يقال إن ويلا من جملته هذا الوادي الذي ذكر في جهنم، لا أنه المراد به هو هذا الوادي فحسب؛ ولهذا لا يجوز لأنه علقه بهذا الوعيد الشديد، ويل له ويل له، ذكر قال ويل، ثم قال ويل له ويل له، وهذا الكذب في القول.

ثم في الحقيقة في هذه الحكايات زيادة على أنها بأمور كاذبة، أنها إضحاك وجعل اتخاذ الأمور المحرمة وسيلة في أمور مباحة، وهذا لا يجوز، وإن كان الأصل مثلا في الضحك والتبسم أنه مباح، لكن لا يجوز اتخاذ الوسائل المحرمة للأمور المباحة، لا يجوز أن يتخذ الإنسان المقاصد المباحة بوسائل محرمة، كالكذب بالحكايات، لكن إن كان المحكي أو الذي يحكي القصة لا يعلم صدقها من كذبها تُحكى، فهذه لا بأس بها إن كان جنسها واقعة، مثل ما نحكي مثلا بعض القصص

والحكايات التي تقع في التاريخ، وقد يكون بعضها من باب النوادر، وبعضها من باب المداعبات، ويُحكى كثيرٌ منها لا قد تكون ليست بصحيحة، لكن لأنها حكيت وقد تكون وقعت ولا نعلم كذبها.

.....

فالأحوال ثلاثة:

حال نعلم صحته، هذا لا بأس به بشرط أن يكون المحكي ليس محرما أو استهزاء أو غيبة، لا بد أن يَسلم من هذه الأشياء، فإن كان حكاية مباحة لا محذور فيها، وهي واقعة أو يغلب على الظن وقوعها لا بأس.

الحال الثاني: يعلم أنها كذب وليست واقعة، هذه لا يجوز حكايتها.

الحال الثالث: يجهل لا يدري هذه لا بأس بها.

ولهذا قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ﴾ ومن الحديث عنهم العجائب والغرائب الواقعة، فأمر بالحديث، وأخبر أنه ما يحكى عنهم من الحكايات فيه ما هو أعجب. وقد روى أبو داود بإسناد جيد أنه –عليه الصلاة والسلام– كان يحدث عن بني إسرائيل بعد صلاة العشاء، لا يقوم إلى عُظْم إلا إلى صلاة، هذا يبين أنه ربما حدثهم بعد صلاة العشاء ليلا طويلا عليه الصلاة والسلام. وهذه الحكايات التي لا تعلم كما تقدم أنها لا بأس بها إذا لم يعلم كذبها، كما نبه على ذلك ابن كثير وجماعة من أهل العلم. والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

لا يدخل الجنة قتات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ لا يدخل الجنة قتات ﴾ متفق عليه.

—

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

حديث حذيفة ﷺ في التحذير من النميمة، وهاتان الكبيرتان الغيبة وتقدمت، والنميمة من أقبح الخصال، والنميمة أقبح منها لأنها مشتملة على الغيبة، وهو ذكر من هو غائب سواء ذكره في شيء يتعلق بخَلْقه أو خُلُقه أو تكلم بكلام نقله عنه، على جهة الإفساد بينه وبين غيره؛ لأنه قد تجتمع الغيبة والنميمة، كمن يقول مثلا في رجل، يذكر رجلا بصفاته لزوجته إنه كذا وكذا، فيغتابه ويفسد ما بينه وبين زوجته، وهو بهذا جمع بين الغيبة والنميمة، لكن الغيبة امتازت بالإفساد بين الأخوين والجماعتين والجارين، وهو من نم الحديث وهو نقله على جهة الإفساد.

وفي اللفظ الآخر: ﴿ لا يدخل الجنة نمام ﴾ وهذا مثل ما تقدم في الأخبار وسبق بيانه، وهذا الوعيد، وأنه يكون بهذا الوصف قد أتى أمرا محرما، وهي محرمة بالإجماع، وهذا يدل على عظمة هذه الشريعة كما أشار إليه -رحمه الله- الصنعاني شارح البلوغ، فالنميمة مع أنها صدق حرُمت والكذب مع أنه خلاف الواقع جاز بل شُرِع في بعض الأحوال؛ لأجل الإصلاح.

انظر إلى قصد الشارع كيف أجاز الكذب بل شرعه في بعض الأحوال لأجل الإصلاح، وحرم النميمة وهي صدق لأن فيها إفسادا، لأن فيها إفسادا وتفرقة بين المتحابين، وذلك يبين لك ما

تقصده الشريعة في التأليف والجمع وأنها من أعظم النعم، ولهذا تآلف القلوب واجتماعها دلالة الإسلام

.....

والسنة والخير، دلالة الهدى والصلاح، وهذا واقع، وإذا وجدت البغضاء، فلا تكون إلا في التفريق في حقوق الله ﷻ وإلا لم تقع البغضاء ولا تقع حينما يحافَظ على حكم الله عز وجل.

فالمقصود أن النميمة مفاسدها كثيرة، ولا يستهان بها، وإذا رأيت وعلمت أن إنسانا نماما، ونقل حديثا فلا يجوز لك أن تصدقه، ويجب عليك أن تنكر عليه، ولا يجوز لك أن تسيء الظن بمن نقل عنك، واعلم أنه وإن كان صادقا لكنه أعدى لك من الحية الرقطاء، وأعدى لك من أعدى الأعداء الذين ربما لا تعرفهم، أو من نقل عنك الحديث، والذي نقل إليك سوف ينقل عنك، والذي يريد في زعمه أن يعطيك هذا الكلام، ويبلغك هذا الكلام وكأنه يهديك هدية، فاعلم أنه عدو وأنه وإن تمسح بجلود الضأن، لكن قلبه قلب ذئب، وهذا واقع.

وقد ذكر ابن مفلح –رحمه الله– في كتابه في الفروع أو الآداب الشرعية، ويغلب على ظني أنه في الفروع –رحمه الله– قصة محصلها أن رجلا أراد أن يشتري مملوكا فجاء إلى السوق يريد أن يشتري، فوجد مملوكا معروضا للبيع فاستامه وسأل عنه وعن صفاته، فقال له صاحبه الذي يبيعه فأثنى عليه ومدحه في قوته وجده في العمل ونشاطه، قال: لكن فيه خصلة واحدة، خصلة، قال: ما هي؟ قال: إنه نمام يحب النميمة، قال: هذه النميمة أمرها سهل، أهم شيء أنه يعمل، ولا يتوانى، قال: أبدًا في العمل عن جماعة، فأخذه واستهان بأمر النميمة.

فيذكر –رحمه الله– أن زوجة ذلك الرجل الذي اشتراه بعدما جاء عنده البيت كان زوجها لا يميل إليها وربما رغب عنها، فقال لها ذاك النمام، أو هذا المملوك: تريدين أن يميل إليك وأن تكون محبته لك في قلبه، ولا يقدم عليك في حبه أي شيء من أهله وأولاده؟ قالت: نعم هذا الذي أسعى عليه، قال: ائتيني بشعرات من حلقه، فأنا أصنع لك شيئا أو تِوَلة تحببك من هذا، وهو غافل لا يشعر وهو نائم، قالت: نعم. وهذه المسكينة انخدعت بهذا.

بعد ذلك ذهب إلى زوجها، فقال: إن زوجتك قد تمالأت هذه الليلة مع نسوة أنهن سوف يغتالونك ويقتلونك. سمع الكلام لم يصدق ولم يكذب، وقد تمالأت إما هذه الليلة أو التي بعدها، فجاء زوجها هذا بجوارها وجعل يتناوم أمامها، ينظر، زوجته ظنت أنه قد استغرق وقد نام، فجاءت

بالموسى لأجل أن تأخذ شعرات بناء على وصية هذا المملوك، وهو يشاهدها وهي لا تشعر، فلما رآها

.....

—

قد جاءت بالموسى قال: جاء الموت صدق ذاك، فأخذها فخنقها فقتلها، ثم جاء أهْلها، فقالوا لأهله سلموه لنا، فامتنعوا فثار الحيان وتقاتلوا.

فمفاسد النميمة كثيرة، وهي تفسد بين الدول، تفسد بين القبائل، تفسد ما بين الجيران بل ما بين الوالد وأولاده، والوالدة وأولادها، ولهذا كثير من الناس يُصغي ويسمع، وربما خرَّبت النميمة بيوتا كانت عامرة، وكان فيها شيء من الأنس، لكن جاء إنسان مفسد ويعلم أن فيها شيئا من الخلاف فاستغله.

وليست كل البيوت تبنى على الحب؛ ولهذا العاقل يبنيها على الإسلام والإحسان، إن لم يحصل الحب سعى إلى بنائها على الإيمان والإسلام والإحسان، ومن أحسن النية وأخلصها، فإن المحبة طريق قريب لمن كانت نيته أن يبنيها على الإسلام والإحسان والمعروف والصلة، كما يقول عمر رضي الله عنه. ولهذا شرع – كما تقدم – الكذب فيها إذا كان لقصد الإصلاح في الأمور المعروفة. ومفاسد النميمة كما تقدم بينها أهل العلم، وجاءت الأخبار الكثيرة عن النبي –عليه الصلاة والسلام– في بيانها والتحذير منها وهي من الكبائر بإجماع أهل العلم. نعم.

من كف غضبه كف الله عنه عذابه

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ من كف غضبه كف الله عنه عذابه ﴾ أخرجه الطبراني في الأوسط، وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن أبي الدنيا.

حديث أنس ﷺ "من كف غضبه، كف الله عنه عذابه"، الحديث هذا فيه ضعف؛ لأنه من طريق رجل يقال عبد السلام بن هاشم البزاز، وفيه ضعف، وبعضهم صحفه أو نقله مصحفا من كلام في كتاب الهيثمي مجمع الزوائد، وجعله حيلان بدل هاشم، لكن هذا المعنى له شواهد مثل ما ذكر رحمه الله. يعني شاهد عند أبي الدنيا وهو ضعيف من طريق رجل مجهول يقال له هشام بن أبي إبراهيم. وهذه الأخبار بعضهم جودها باجتماع الطرق، وقالوا بالنظر إلى ما ثبت من الأخبار عن النبي -عليه الصلاة والسلام- بالتحذير من الغضب.

ولو أن المصنف -رحمه الله- ذكر هذه الأخبار مع ما تقدم في حديث أبي هريرة في قوله: قال له رجل أوصني قال: لا تغضب، لكان أحسن لأن فيها هذا القدر المذكور في هذه الأخبار ومعناها واحد. وجاءت النصوص الكثيرة في فضل كظم الغيظ وعدم إنفاذه، حديث معاذ بن أنس؛ عن عبد الرحيم ميمون، عن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره من أي الحور العين شاء ﴾ وسند هذا لا بأس به. وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾ [1] وأنه يشرع أن يغفر وقوله - سبحانه وتعالى-: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [2] فدل على أن كظم الغيظ والعفو من خصال أهل الإيمان والإحسان مما يحصل به الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

- ١سورة الشورى آية : ٣٧.

- ٢سورة آل عمران آية : ١٣٤.

ولهذا يجعل الله في قلبه برد الإيمان في الدنيا، لكنه صبر ساعة حينما ينازع نفسه وينازع هواها ثم بعد ذلك يجد لذة ذلك وعاقبته، لكن حينما يستشيط الشيطان ويثور فإن العبد عليه أن يتعوذ بالله من الشيطان، وأعظم ما يعالج به الغضب هو التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كما في حديث سليمان بن صرد، في الصحيحين رضي الله عنه إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأن هذه من أعظم العلاج ومن أنفع العلاج، هذه الكلمة. وهذا يبين لك السر العظيم والكبير في ذكر الله عز وجل حينما تنزع نوازع النفس إلى الشر، والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإنه يطفأ، كأنك صببت ماء كثيرا على نار حتى خمدت وهمدت.

وهذا من فضل الله عز وجل أنه لم يجعل العبد بلا سلاح، لا جعل له سلاحا، حينما يعرض له مثل هذه الأمور، ثم هو سلاح بحمد الله متيسر، وسهل ثم سلاحٌ ماضٍ نافذ لا عليه إلا أن يخالف هواه ونفسه، وأن يمتثل ما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام. نعم.

لا يدخل الجنة خَب ولا بخيل ولا سيئ الملكة

وعن أبي بكرٍ الصديق ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : ﴿ لا يدخل الجنة خَبٌ ولا بخيل، ولا سيئ الملكة ﴾ أخرجه الترمذي وفرقه حديثين، وفي إسناده ضعف.

—

نعم الخب هو الخداع ﴿ لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا سيء الملكة ﴾ هذا مثل ما ذكر الترمذي -رحمه الله- بإسناديه لكن مداره على فرقد بن يعقوب السبخي وهو ضعيف، وهذا الحديث بهذا السند ضعيف، لكن معناه الذي دل عليه ثبتت به الأخبار من جهة حسن المعاملة للمماليك. ولو أن المصنف -رحمه الله- استعاض بالأخبار الثابتة الصحيحة لكفى وأغنى عنه، لكن لعله أراد أن يبين أن هذه الأخبار أن يذكرها وأن يبين ضعفها وإن كان قد حصل هنا قصور في بعض المواضع من جهة بيان ضعفها أو شدة ضعفها.

سيئ الملكة هو الذي يسيء لمماليكه، وجاءت الأخبار الكثيرة في حديث أبي ذر أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان تحته شيء منهم، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، وإن كلفتموهم ما لا يطيقون فأعينوهم ﴾ ثبت أيضا في الحديث الصحيح في الصحيحين عن أبي هريرة أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ إذا أتى أحدكم خادمُه بطعامه فليجلسه معه ﴾ وفي اللفظ عند مسلم: ﴿ فإن كان الطعام مشفوها - يعني قليلا - فليطعمه، أو ليعطه أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين ﴾ .

أُكلة يعني لقمة، والأَكلة هي الوجبة، يعني إن لم يجلسه، وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة: ﴿ للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق ﴾ ثبت هذا أيضا في أحاديث صحيحة منها ما رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: ﴿ أن رجلا قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فأعرض عنه، ثم قال: كم أعفو عن الخادم؟ فأعرض عنه، فقال في الثالثة: اعف عنه سبعين مرة ﴾ هذا مبالغة في الإحسان إليهم، وأنهم وإن أساءوا فإذا أساءوا وعاقب فلا يزيد في العقاب.

ولهذا روى الترمذي ﷺ أن رجلا جاء إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: إن لي مماليك وإنهم يكذبونني ويخونونني، قال: " ينظر أخذهم وظلمهم إياك وضربك لهم ثم يوزن فإن فضل أخذ من حسناتك لهم " فجعل الرجل ناحية يبكي، فقال: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [1] ﷺ سبحانه وتعالى، مثقال حبة من خردل ما تفوت.

وإذا كان هذا في حق العبد الذي يعمله، فحق غيرك عليك لا يفوت ولا يذهب؛ لأنه من أشد الناس حاجة في ذلك المقام، لأنه مقام عظيم ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [2] كل إنسان يريد حسنة، يريد ذرة، دعاء الأنبياء اللهم سلم سلم، نفسي نفسي، فلا يفوت شيء ولا يذهب شيء، ولهذا يوضع في الميزان، فأمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بالعدل، وهو الواجب، والإحسان هو الفضل وهو أفضل، أما الظلم فهو محرم، وهذه ثلاثة مراتب، الظلم حرام، والعدل واجب، والفضل إحسان، في كل شيء، وهذا حيث كان الفضل لا يلزم منه فساد، والعفو.

أما إذا لزم من العفو فساد أو شر في هذه الحالة ليس كل إنسان أهلا للعفو، مثل الإنسان الظالم المعتدي الذي يفسد ثم بعد ذلك يُعفى عنه، يقول عفوت عنه، فالإحسان إحسان إذا لم يلزم منه فساد، أما إذا لزم منه فساد على المحسن أو على غيره فلا، فالفضل والإحسان في الاقتصاص منه، ولهذا قال أهل العلم هل يُستر على العاصي؟ فذكروا المتهتك الذي لا يبالي ما فعل، ولا يستحيي، فهذا العفو عنه إساءة وإن كان ربما يكون فيه نوع إحسان في تركه، لكن يترتب عليه مفاسد كثيرة في تجرؤ غيره من الظلمة على هذه المحارم.

- ١سورة الأنبياء آية : ٤٧.

- ٢سورة عبس آية : ٣٤-٣٧.

. . . . . .

ولهذا ربما يشتد في عقوبته، ولو في حق من حقوق الله ﷻ يعني إذا كان يترتب عليه شر وفساد. وفي قوله: "لا يدخل الجنة خبٌّ ولا بخيل" تقدم هذا، ولا سيئ الملكة، والخب تقدم، وكذلك البخيل تقدم في الأخبار التي سبقت. نعم.

عقوبة التجسس

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ من تسمَّع حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنُكُ يوم القيامة ﴾ يعني الرصاص، أخرجه البخاري.

—

نعم، وهذا الحديث فيه وعيد شديد في التجسس على كلام الآخرين ﴿ من تسمع حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة ﴾ وهو الرصاص المذاب، وهذا عذاب من جنس الذنب؛ لأنه اجتهد في أن يسمع حديثا لا يجوز أن يُتَسَمع، فكان الجزاء أن يصب في أذنيه الآنك يوم القيامة. وهذا الحديث رواه البخاري: ﴿ من تحلَّم حلما لم يره، كلف أن يعقد بين شَعِيرَتين، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة، أُمِر أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ﴾ ورواه البخاري أيضا من رواية شعبة عن عكرمة عن أبي هريرة مختصرا: ﴿ من تحلم، من استمع، من صور ﴾ مختصرا والمعنى يعني بتمامه.

وهذا واضح فيما إذا كان المتسارُّون ابتدءوا الحديث قبل حضوره، ودخل عليهم أو ورد عليهم فلا يجوز أن يستمع لهم، أما إذا كانوا سويا فلا يجوز أن ينفصلوا عنه بسر إلا أن يكون معهم غيره، ثالث، كما تقدم في حديث ابن مسعود، حيث قال: "حتى تختلطوا بالناس"، ومعناه في حديث ابن عمر قال: "حتى تختلطوا بالناس". وكذلك إذا كان الاستماع لأجل درء شر ومفسدة، مثل أن يجتمع قوم على مفسدة يخشى أن تفوت في فساد أو قتل أو اجتماع على شر، في هذه الحالة يكون استماع الحديث من باب درء المفسدة.

ومن الاستماع المنهي عنه كونه يخادع الصغار والصبيان، حتى يعلم أحوال أهليهم، هذا أيضا يدخل فيه هذا الحديث. ولو أن إنسانا خدع الصبيان الصغار حتى يخبروه بأحوال أهليهم هذا أيضا من الأمر المنكر الذي لا يجوز، وربما كان أقبح من استماع حديث القوم الذين يستمع إليهم وهم كارهون؛ لأن الذين يستمع إليهم قد يحتاطون ويكونون قوما مدركين بالغين يفهمون، فربما لم ينل

. . . . . .

شيئا أو ربما لو أنه استمع هم يعلمون أنه لا مضرة عليهم في ذلك، لكن حينما يخادع الصغار، قد يتكلم الصغير بأمور من خصوص الأسرار التي يستغلها هذا الظالم المعتدي فيشيع، فيكون فيها من المفاسد أعظم من المفاسد التي تترتب على استماع أو التسمُّع لحديث قومٍ وهم له كارهون. وهذا من عظيم صيانة الشرع لأمور الناس، وأحوالهم، وأسرارهم.

ولهذا إذا استأمن الإنسان إنسانا على حديث فلا يجوز أن يبوح به، كما وقع لجمع من الصحابة مع النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما يُسرُّ به إليهم، فلم يكونوا يتكلمون بذلك بل يحفظون الأمانة، وفي حديث جابر: ﴿ إذا حدث الرجل فالتفت فهي أمانة ﴾ يعني إذا كان يلتفت ويتحدث ففيه إشارة إلى أنه يسره ويحفظه، وفيه إشارة إلى أن من جاء وعلم أنه لا يريد أن يسمع فإن الواجب عليه أن يبتعد؛ لأن هذه إشارة بالفعل من جهة أنه يريد عدم الاستماع، إذ لو أراد أن يُستمع إليه لأشرك غيره إما بصريح الدعوة أو بالجهر به. نعم.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ﴾ أخرجه البزار بإسناد حسن.

—

وهذا مما وقع للحافظ -رحمه الله- ويقع له بعض الأوهام في بعض الحكم، ولهذا قوله بإسناد حسن، هذا فيه نظر. الصواب أن الحديث لا يصح بل هو ضعيف أو ضعيف جدا، وهو من طريق رجل يقال له الوليد بن المهلب وهو ضعيف أو ضعيف جدا، ولهذا هذا الخبر بهذا الطريق لا يصح، وقوله إخراجه بإسناد حسن، إما أنه إن كان قلد غيره، أو أنه -رحمه الله- وقت تصنيفه كان غفل عنه أو لم يستحضر حاله، فكان يملي من حفظه كما هو الظاهر من صنيعه في هذا الكتاب، رحمه الله.

كذلك من طريق رجل آخر أيضا وهو النضر بن محرز، فالحديث لا يصح بهذا، لكن معناه صحيح، وذلك أن الواجب على الإنسان أن ينشغل بعيوبه عن عيوب غيره، حتى يصلح على حاله، لكن ليس معنى ذلك أنه لا ينكر منكرا، لأنه قد يوهم من عمومه أن الإنسان لا ينكر على غيره عيبا إذا كان فيه عيب، فيصلح نفسه أولا ثم يصلح غيره، لا، ليس هذا مراده، قال "عن عيوب الناس" كأن هذا، والله أعلم، العيوب التي ربما قد تكون من الأمور التي لا تُستنكر من جهة الشرع لكن يستعيبها الناس بينهم فيتكلمون بها، أو أنه يتكلم، شغله الكلام، مجرد كلام، فلان يقول كذا وفلان يفعل كذا، وهو في الحقيقة لا ينكر، وهذا أوجه ما يحمل عليه هذا الحديث.

ولهذا قال: "من شغله عيبه عن عيوب الناس"؛ لأن الذي لا يشغله عيبه عن عيوب الناس يتكلم، فلان كذا وفلان فعل كذا، وفلان قال كذا، وهذا مع أنه أمرٌ محرم قد يؤدي إلى نميمة وقد يؤدي إلى غيبة، أو هو نميمة أو غيبة، ومثل هذا فيه وعيد، لكن من نظر إلى نفسه وعيوب نفسه وشغلته عيوب نفسه، والتفت إلى معائبها، وإلى تقصيره وإلى ما يقع فيه من الذنوب، إذ ذنوبه كثيرة، فإنه ينشغل، عن التكلم في الناس، بل تكون همته في دعوة الناس، وفي نصح الناس، لا تصيد المعايب، لا يتصيد، بل يكون قصده النصح، ولو كان فيه قصور، وعلى هذا يكون سعى في إصلاح نفسه، وإصلاح غيره.

.....

—

وفي حديث سهل بن سعد بين –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا ﴾ رواه أحمد وغيره، وفي حديث عائشة –رضي الله عنها–: ﴿ إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا ﴾ حديث سهل: ﴿ إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا منزلا فأرادوا أن يصنعوا طعامهم، فجاء ذا بعود وذا بعود حتى تم حطب كثير فأشعلوا نارا، ثم صنعوا نضيجهم بهذه الأعواد التي اجتمعت، هكذا مثل الذنوب تجتمع عليه حتى تهلكه ﴾ ولهذا إذا نظر إلى عيوبه، من الأمور التي يقع فيها من الصغائر لوجد فيها شغلا عن غيره، كأن يسعى في إصلاح نفسه ويكون نظره إلى غيره جهة النصح بالدعوة والإرشاد والتوجيه، نعم.

من تعاظم في نفسه واختال في مشيته

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ من تعاظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان ﴾ أخرجه الحاكم ورجاله ثقات.

—

نعم والحديث إسناده صحيح، وقد أخرجه أحمد أيضا والبخاري، وهو بهذا اللفظ: ﴿ من تعاظم في نفسه، واختال في مشيته، لقي الله وهو عليه غضبان ﴾ وهذا المعنى ثبتت فيه أخبار كثيرة في تحريم من تعاظم، تعاظم: صيغة تفاعل تأتي يراد بها الفعل، يعني عظم نفسه ورأى لنفسه فضلا، وهذا يكون بالقول بالتوسع والتشدق، وأن يملأ فمه بالكلام، ويكون أيضا بحركاته التي يتبين منها الكبر، ويكون أيضا في ملبسه حينما يرخيه ويجر ذيله، ويكون بأمور كثيرة فهو مبدؤه العجب، يعجب بنفسه حتى يتكبر، وإن كان العجب لا يلزم منه متكبرا عليه، بخلاف الكبر فإنه يلزم منه متكبرا عليه.

أما الإنسان قد يعجب وإن كان وحده يعجب بنفسه، لكنه قد يئول إلى الكبر، فإذا أعجب بنفسه، وصار ينظر لنفسه ويعجب بها يئول إلى الكبر، ولهذا ذكر النبي –عليه الصلاة والسلام– في الصحيح من حديث أبي هريرة، وفي الصحيح من حديث ابن عمر ذلك الرجل الذي مشى في بردة تعجبه نفسه، في حلة، فبينما هو يمشي إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة، وسحب وجر الذيل من علامات أو من دلالات التكبر، ولهذا بين النبي –عليه الصلاة والسلام– في هذا الوعيد، ولهذا قال: ﴿ لقي الله وهو عليه غضبان ﴾ وذكر أمرين:

أمرا باطنا، وأمرا ظاهرا. تعاظم في نفسه، وهو أمر داخلي واختال في مشيته، وهذا أمر ظاهر وفي الغالب أنهما متلازمان؛ التعاظم في النفس يورث الاختيال والكبر والبطر، وفي حديث ابن مسعود: ﴿ الكبر بطر الحق وغمط الناس ﴾ رواه مسلم، ومعناه عند أبي داود من حديث أبي هريرة أيضا.

لكن ليس من الكبر أن يكون نعله حسنة، وثوبه حسنة، ليس من الكبر كما في حديث ابن مسعود، في حديث أبي هريرة أن رجلا قال: أعطيت ما ترى يا رسول الله وما أحب أن يفوقني أحد

.....

بشسع نعل، أمن الكبر هو؟ قال –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ لا الكبر بطر الحق ﴾ أي جحده، بطر الحق وغمط الناس، غمط الناس احتقارهم وازدراؤهم، ولهذا يكون جزاؤهم يوم القيامة قبل دخول النار أن يطأهم الناس بأقدامهم، كما في الحديث الحسن عند الترمذي وغيره أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال تعلوهم نار أنيار، يساقون إلى سجن جهنم سجن بولس يسقون عصارة أهل النار طينة الخبال ﴾ وهذا وعيد شديد والله على كل شيء، يحشرون أمثال الذر، الله أكبر، كيف يكون أمثاله في صور الرجال، ويكون مآلهم إلى هذا السجن في النار والعياذ بالله، وهذا والله أعلم قد يكون ممن آل به الكبر وهو في الغالب يئول بصاحبه؛ لأن من يتكبر على خلق الله ﷻ فإنه يتكبر على حقوق الله وعلى ما أوجب الله فلا يؤديها؛ لأن حقوق الله الواجبة تلزم منها حقوق كثيرة، في اختلاطه مع إخوانه المسلمين، وفي أمور كثيرة تجب عليه، فيئول الأمر إلى أن لا يؤديها وربما يكون سببا في جحدها، فيئول به إلى أمور منكرة عظيمة نعم.

العجلة من الشيطان

وعن سهل بن سعد – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ العجلة من الشيطان ﴾ أخرجه الترمذي وقال حسن.

الحديث اختصره المصنف –رحمه الله– والمصنف في هذا الكتاب مولع بالاختصار، ولهذا هذا أحد ما امتاز به وإن كان قد يكون فيه نوع استدراك خاصة اختصار الشيء، ولهذا الحديث: ﴿ الأناة من الله والعجلة من الشيطان ﴾ لكن اختصره قال: "العجلة من الشيطان"؛ لأنه ساقه في مساوئ الأخلاق فاختصره، وعلى كل حال الحديث ضعيف من رجل يقال له: عبد المهيمن بن سهل وهو ضعيف، بن سهل بن سعد الساعدي أبو العباس، وهو ضعيف وله أخ ثاني يقال له: أبي ضعيف أيضا، قد روى له البخاري، متابع –رحمه الله–.

لكن العجلة، في الغالب مذمومة، وجاءت مذمومة في القرآن: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [1] **وقوله سبحانه وتعالى:** ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ ﴾ [2] **وقد تأتي على سبيل المدح في قوله تعالى:** ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [3] **في قول موسى –عليه الصلاة والسلام– لأنه عجل، وقد مدحه الله في هذا المقام، لكنها تأتي مذمومة في الغالب، وهي إذا مدحت تكون في الحال الذي يترتب عليه ترك أمر هو حسن، ولهذا تذم في الغالب، كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ﴾ يقول: قد دعوت، قد دعوت، فلم أر يستجب لي.**

- ١سورة طه آية : ٨٣.
- ٢سورة الأنبياء آية : ٣٧.
- ٣سورة طه آية : ٨٤.

.....

ومن الحديث الصحيح أيضا أن +النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ وددنا أن موسى صبر ﴾ وفي لفظ: "لو صبر لرأى العجب"، لكنه عجل، عجل، والعجلة: هو استعجال الشيء قبل وقته، والتواني والتأخر هو تفويته بعد وقته، والسنة المبادرة لا استعجال ولا تواني، والمبادرة هي الوسط، فلا يفوت، كما قيل:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فلا يفوت بمعنى يتأخر ولا يستعجل، والاستعجال: طلب الشيء قبل وقته، بمثابة من يستعجل الثمرة – كما يقول ابن القيم رحمه الله – قبل وقتها، أما المتواني بمثابة من يتركها، من يترك الفرصة، حتى تفوت، وأمور الشرع وسط في مثل هذا، بمعنى أنه إذا كان وقتها فإنه يجتهد في تحصيلها، ولهذا أمر النبي –عليه السلام– بعدم الاستعجال في وقت تحصيل الفرصة، بعدم الاستعجال بتركها، يعني عندنا فرق بين الاستعجال في تركها، وبين الاستعجال في استدراكها، فالاستعجال في طلبها منهي؛ خلاف المشروع؛ لأنه طلب لها قبل وقتها كمثل من يستعجل ويبادر بالتبكير حتى يصلي قبل الوقت، لكنه إذا حصل وقت الفرصة فلا يستعجل فيها بل عليه أن يتأنى، ولهذا أيضا يقول –عليه الصلاة والسلام– فيما ﴿ إذا حضر طعام أحدكم فلا يعجل عنه ﴾ إذا قدم طعام أحدكم فلا يعجل، بمعنى: أنه يأكل حاجته ولا يعجل؛ لأن العجلة هنا يعني: ولا يعجل إلى الصلاة فلا يعجل إلى الصلاة، فنهى عن العجلة، وأمر بالاطمئنان فلهذا كانت على هذه الصفة ربما كانت طيشا بخلاف التأني والمبادرة إلى الفرصة قبل فواتها، نعم.

الشؤم سوء الخلق

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ الشؤم سوء الخلق ﴾ أخرجه أحمد وفي إسناده ضعف.

الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية أبي بكر بن أبي مريم، وهو مشهور بالضعف، شامي ضعيف -رحمه الله-، وقد رواه أبو داود أيضا من حديث رافع بن مكيث، وهو أيضا ضعيف؛ لأن فيه مجهولا، وهذه الأخبار التي ذكرها المصنف -رحمه الله- دلت عليها الأحاديث الصحيحة والأدلة في الكتاب والسنة، في حسن الخلق، وأن حسن الخلق لا يورث إلا يمنا وهدى وصلاحا، وهذا أمر واضح، وفي الأخبار الصحيحة غنية، وهي متواترة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في هديه في حسن خلقه، والأخبار الكثيرة التي جاءت في هذا الباب. وفي حديث أبي الدرداء وغيره أن: ﴿ الإنسان بحسن خلقه ليدرك درجة الصائم القائم القانت بآيات الله ﴾ وأخبار في هذا الباب كثيرة، نعم.

إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ﴾ أخرجه مسلم.

وهذا تقدم أيضا وهو في اللعانين وأن اللعانين وهو ما يكثر اللعن، وأن اللعن محرم كما تقدم في الأخبار، ولا ينبغي لصديق أن يكون لعانا، والأخبار التي سبق الإشارة إليها: حديث ابن عباس، وحديث أبي الدرداء، والأحاديث في هذا الباب، ولهذا قال: "لا يكونون شفعاء"، يعني: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع الناس في قراباتهم وفي غيرهم، فلا يشفعون لأن الجزاء من جنس العمل، فاللعن ضد الشفاعة، فلهذا يكون هذا جزاءه.

ولا شهداء: اختلف في شهداء قيل: شهداء، يعني لا يجوز أن يستشهدوا ولا تقبل لهم شهادة في الدنيا، وهذا واضح إذا علم وتبين فسقه باللعن لا تقبل شهادتهم، لكن كأنه والله أعلم قوله: يوم القيامة يعود إلى الجميع، وكأن الشهداء مع الناس بتبليغ الرسل بأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة فلا يشهدون، وهذا فضل عظيم من تأخر عنه فاته خير عظيم، ولهذا كان اللعن من أشد المحرمات، وشدته لا يجوز أن يلعن الإنسان شيئا كما تقدم، حتى ولو كان الملعون كافرا، واختار جمع من أهل العلم، أنه يجوز لعن الكافر الذي علم موته على الكفر مثل فرعون وأمثاله من صناديد الكفر، أبي بن خلف، وأبو جهل، وأشباههم، وابن كثير يستخدم هذا كثيرا -رحمه الله- في كتابه التفسير وفي النهاية، وغيره من أهل العلم يقع منهم هذا، نعم.

من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله ﴾ أخرجه الترمذي وحسنه، وسنده منقطع.

—

بل سنده ضعيف جدا ولا يكفي قوله: منقطع -رحمه الله- هو منقطع من رواية خالد بن معدان وهو لم يدرك معاذا، لا شك أنه لم يدرك معاذا، معاذ تقدمت وفاته ﷺ وفيه أيضا علة من رواية محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، وهو متروك ومنهم من اتهمه، الحديث ضعيف جدا من هذا الطريق من طريق خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ﷺ .

وجاء في حديث واثلة أيضا عند الترمذي: ﴿ لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ﴾ وينظر في ثبوته، وهذا المعنى من جنس ما تقدم، يعني أن الإنسان حينما يعير أخاه بذنب هذا يدل على عدم النصح؛ لأن الواجب هو النصيحة لا التعيير، والتعيير والإشاعة بالقول أمر لا يجوز، وهذه سيئة والسيئة أخت السيئة، والإنسان يبتلى بجنس السيئة التي وقع فيها من جهة أنه عير أخاه بهذا الذنب، وربما يكون أخوه معذورا، وهو لا يدري، قد يكون تاب، وقد يكون وقع هفوة.

ثم أيضا الواجب النصح، حتى ولو فرض أنك تعلم أنه أصر فلا يجوز التعيير، ولهذا النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ إن زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ﴾ نهى عن التبكيت، فلا يجوز، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال لما قال رجل وهو عبد الله حمارا الذي يلقب بحمار، جاء من عدة أخبار من البخاري وغيره، فقال رجل: أخزاه الله، قال: ﴿ لا تعينوا الشيطان على أخيكم ﴾ وفي لفظ: "لعنه الله"، فنهى -عليه الصلاة والسلام- وقال: ﴿ ما علمت أنه يحب الله ورسوله ﴾ وهذا يبين أن الواجب هو النصح.

ثم الإنسان إذا أذنب في ذنب إن كان فيه حد وقد أقيم عليه الحد فقد ارتفعت التبعة، فإن تاب فاجتمع له مطهرة، وإن كان ليس فيه حد فإن كان استتر فيه فلا يجوز إشاعته ولا تستعير فالواجب أن تستره، وإن كان قد أظهره، فالواجب أن يسلك معه ما يسلك مع أمثاله من نصحه وتوجيهه، فإن

أصر على المجاهرة، فلا يترك يعيث شرا وفسادا، أما التعيير فليس طريق إلى الإصلاح بل هو طريق إلى فساد، وأن يزيد من الولوع بهذا المنكر وهذا الذنب حينما يعير به ويعلم أنه قد ظهر واشتهر، وذنوب أهل الإسلام عيب في أهل الإسلام فالواجب عليه أن يسترها، ولهذا يقول النبي –عليه الصلاة والسلام– كما روى عقبة بإسناد جيد عقبة بن عامر رضي الله عنه لما دعي إلى قوم وقيل: إنهم يشربون الخمر، فقال: إن يبدو لنا أمر نأخذ به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ثم قال: من رأى عورة فسترها فكأنما أحيا مؤودة الله أكبر، شوف من رأى عورة، نكرة في سياق النفي يشمل كل عورة، وهذا يبين أن هذه الذنوب عورات والعورات الواجب سترها، ولا أقبح من العورات بين أهل الإسلام فالواجب على الإنسان أن يستر عورته وأعظم العورات هو الذنوب؛ لأن الله مطلع وحرمها، ثم تأتي أنت وقد يكون هذا الذي أذنب استتر فتعيره، فيكون ذنب الذي عير أعظم من الواقع فيها، وهذا قد يكون هو عين الإصابة في الذنب أو فعل الذنب؛ لأنه يكون إثمه أعظم، وربما يئول به أن يقع في مثل هذا الذنب، فلهذا جاء النهي عنه، نعم.

يحدث الحديث ويكون كاذبا لأجل أن يضحك به القوم

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ثم ويل له ﴾ أخرجه الثلاثة وإسناده قوي.

—

حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، تقدم أنه إسناد حسن، بهز بن حكيم، ونسخة مثل عمرو بن شعيب ونص العلماء على أنه إذا صح السند إلى بهز فهو إسناد صحيح، وهو حديث صحيح، وهو حجة، وقد جاء في هذه النسخة أحاديث كثيرة نسخة بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاذ بن حيدة حكيم بن معاذ بن حيدة القشيري ﷺ وهذا الحديث: ﴿ ويل للذي يحدث ليضحك به القوم فيكذب والذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له ﴾ هذا وعيد شديد فيمن يحدث الحديث ويكون كاذبا لأجل أن يضحك به القوم، وأن هذا أمر محرم مثل ما تقدم لأنه كذب، ولأنه اتخذ الكذب وهو محرم وسيلة إلى أمر آخر قد يكون محرما، وقد يكون اتخذ المباحات جعل وسائل المباحات أمورا محرمة.

كذلك أيضا يستعيض عن الأحاديث الحسنة والأحاديث الطيبة التي تؤنس إخوانه، يستعيض بها بالأحاديث التي هي الكذب، ولهذا لا يجوز، بل الواجب هو الحديث المباح الذي لا كذب فيه، وفي الصدق، وفي المباح غنية عن الحلال وهو أوسع وأكثر: ﴿ ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له وويل له ﴾ ثم القوم الذين يسمعون هم شركاؤه إذا علموا أنه كاذب، أو غلب على ظنهم أنه كاذب؛ لأنهم أقروه على ذلك، والذي يسمع المنكر وهو مقر مشارك لمن يعمله، وهذا محل اتفاق بين أهل العلم، إذا كان قادرا على الإنكار أو يعرض، وفي هذا أن الكذب لا يجوز في أي شيء إلا ما استثني، حتى ولو كان قصده المؤانسة، فإذا كان لا يجوز الكذب وهو قصده مؤانسة إخوانه ربما زعم أنه خير، فكذلك أيضا عموم الكذب من باب أولى أنه لا يجوز.

وثبت في الخبر الاستثناء ثلاثة في الأشياء التي يجوز الكذب فيها، جاءت عن عدة من الصحابة – رضي الله عنهم – في الكذب في الحرب، وكذب الرجل زوجته أو حديث الرجل زوجته وحديث

. . . . . .

المرأة زوجها، وفي الإصلاح بين الناس، + أسماء بنت يزيد عند أحمد في الكذب بين المسلمين، يعني حينما يكون بينهما خلاف، وحكى بعضهم اتفاقا أنه لا يجوز الكذب في هذه الأشياء، وهذا نظر فيه بعض أهل العلم، ومن الاستثناء أيضا من الأمور التي لا بأس من الكذب فيها، وقد ورد فيها حديث وإن كان لم يذكره جمع من أهل العلم، أشار إليه ابن القيم –رحمه الله–، لو أنه كذب لأجل أن يستخلص ماله من ظالم لا بأس أن يكذب على الصحيح.

لو أراد أن يظلمه إنسان وكذب، قال: هذا المال ليس لي، فإنه لا بأس أن يكذب، مثل ما وقع للحجاج بن علاط رضي الله عنه لما أنه أسلم زمن خيبر، ثم استأذن النبي –عليه الصلاة والسلام– أن لأن له مالا وذهبا في مكة وأنهم لو علموا بإسلامه فإنهم سوف يأخذونه، وزوجته سوف تتمالأ مع قريش فيأخذون ماله فأذن له النبي –عليه الصلاة والسلام– في الكذب، وقصته مطولة رواها الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الصحيح.

وكذلك أيضا، وهو حديث آخر وينبغي النظر فيه والبحث، وهو حديث أنس في قصة ذلك الرجل الأنصاري الذي قال: ﴿ يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ﴾ وفي قصة عبد الله بن عمرو أنه قال: إني لاحيت أبي وإني أقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا، ثم في أنه بات عنده ثلاث ليال فرآه إذا صلى العشاء نام ثم إذا كان عند الفجر قام وتعار وذكر الله، ثم صلى الفجر، ثم في الليلة الثانية والثالثة قال: كدت أن أحتقر عمله، لم أر منه كبير عمل، حتى كدت أن أحتقر عمله، ثم قال: والله يا فلان ليس بيني وبين أبي شيء لكن رسول الله ﷺ قال: ﴿ في ثلاثة أيام يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ﴾ تطلع في الثلاث كلها، فأحببت أن أنظر عملك، فهل من شيء تخفيه عنا؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما ولى دعاه قال: واحدة، قال: ما هي؟ قال: إني أصبح وليس في قلبي غش أو حسد لأحد من المسلمين، قال: هي التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. ففيه إشارة إلى أن عبد الله بن عمرو يظهر والله أعلم أنه في هذا قال: لاحيت أبي وأقسمت، ثم بين أنه لم يكن شيئا من ذلك ولم يقل له أنه ورى أو كذا.

. . . . . .

—

وهذا في عهد النبي –عليه الصلاة والسلام–، فمعلوم بحث أهل العلم والأصول في الوقائع التي تقع في زمنه والخلاف فيها لكن على كل حال في زمن النبي –عليه الصلاة والسلام– أقروا عليه، وهذا مما قد يقال: إنه يجوز في مثل هذا، والخبر هذا ظاهره الصحة.

وقد جاء عن الدارقطني، ينظر أنه تكلم في سماع الزهري من أنس، مع أنه قد سمع منه، لكن في خصوص هذا الخبر، وبالجملة: إذا ثبت خبر فيه شيء فإنه يعتمد، فكل ما استثني في تلك الثلاثة، وما جاء في قصة الحجاج بن علاط، وكذلك في قصة عبد الله بن عمرو في حديث أنس هي من هذا الجنس، وكأنه والله أعلم، أنه إذا ظهرت مصالحها تبين، وهل ذكر ابن مفلح –رحمه الله– هذا الخبر في الفروع وسكت عنه؟ كأنه أقر هذا. كما ذكر ابن القيم خبر الحجاج بن علاط –رحمه الله–.

وأما ما ادعي بالإجماع في أنه مخصوص بثلاث، فهو إجماع مدخول وفي ثبوته نظر، وبالجملة أن مصالح أن الكذب مفسدة، لكن في هذه الأشياء لما كانت المصالح أبلغ فإن الشارع جوز مثل هذا، وهذا واقع في الشريعة في كثير من الأمور التي يحرمها ويجيزها حينما تظهر مصالحها، كما حرم الحرير وأجازه في أربعة أصابع أو ثلاثة أصابع أو أصبعين، كما حرم الربا وأجازه في العرايا فيما دون خمسة أوسق، ومسائل أخرى أيضا جوز التابع اليسير من الذهب في باب اللباس، وكذلك جوزه في الفضة في الأواني، وكذلك أيضا التابع اليسير في الخاتم، وكذلك اليسير من الفضة، وما من باب اللباس كالخاتم ونحوه، وهي قاعدة +.

كذلك أيضا حرم الكبر وجوز الاختيال في المشية ظاهرا وباطنا بين الصفين في العدو، يجوز إظهار الاختيال لمصلحته وظهوره، حتى يظهر القوة، على الأعداء فيكون من أسباب هزيمتهم، نعم.

كفارة الغيبة

وعن أنس ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: ﴿ كفارة من اغتبته أن تستغفر له ﴾ رواه الحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف.

—

لو قال بسند ضعيف جدا لكان أحسن، الحديث من رواية عنبسة بن عبد الرحمن القرشي الأموي وهو متهم، ولهذا خبره ضعيف، ﴿ كفارة من اغتبته أن تستغفر له ﴾ وجمهور العلماء أخذوا بهذا وقالوا: إنه حق من الحقوق، إنه حق من الحقوق، وقاعدة من الحقوق يجب أداؤها، لكن أصح منه لو أن المصنف أورد حديث أبي هريرة في صحيح البخاري: ﴿ من كان عليه مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ﴾ وإن كان هذا أراده الاستغفار لكن ذاك في التحلل.

والعلماء يقولون: الأصل هو وجوب طلب الاستحلال بأن يحلله مما وقع منه في عرضه إن كان علم، وإن كان لم يعلم فهذا فيه خلاف، وكذلك في هذا الخبر، لكن نقول: إنه إن كان قد وقع منه ذنب تجاه أخيه، قد علم أنه يشترط في التوبة من الذنوب ثلاثة شروط، وفي الحقوق شرط رابع متعلقة بالآخرين، أما التوبة فيها ثلاثة شروط معروفة:

شرط يتعلق بالماضي، وشرط يتعلق بالحال، وشرط يتعلق بالمستقبل؛ يتعلق بالحال: الإقلاع حالا، يتعلق بالماضي: الندم، يتعلق بالاستقبال: العزم، ولهذا توزعت التوبة على الأزمنة كلها: الماضي والحاضر والمستقبل، فيقلع حالا ويندم على ما مضى، ويعزم مستقبلا لا يعود.

يشترط شرط رابع فيما إذا كان حقا متعلقا بغيره من مال أو عرض، فإنه يتحلله منه، وفيه خلاف في مسائل التحلل أو طلب الاستحلال من الغير، وبالجملة إذا علم أنه إذا طلب منه أن يسامحه أنه يغضب عليه، وربما كانت نفسه طيبة، اغتاب إنسان واغتاب أخاه ثم ندم، والقصد أيش القصد من الاستحلال؟ هو أن يطيب نفسه وأن يأخذ حقه ذاك، فإذا ترتب عليه مفسدة، في هذه الحالة لا يكون طلب الاستحلال فيه مصلحة، فالواجب في هذه الحال يكون كالمنكر الذي يترتب عليه منكر أكبر منه، مثل ما أن النبي -عليه السلام- قال: ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ﴾ لو أنه

غير هذا المنكر فترتب عليه منكر أشد قلنا لا تغيره، فالمنكر تارة يسكت وتارة يتكلم، تارة يتوقف، يتأمل

. . . . . .

—

يجتهد، كذلك أيضا في مثل هذا الحديث يترتب عليه أنه يغيظ قلبه فإنه يستغفر له، ولا يبلغه بذلك، وهذا هو قول جماهير أهل العلم في هذه المسألة، نعم.

أبغض الرجال إلى الله

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ﴾ أخرجه مسلم.

والحديث متفق عليه رواه البخاري ومسلم، وقوله: ﴿ أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ﴾ وهذه الصيغة تبين أنه أبغض الرجال، في شدة مبالغته في الخصومة، الألد الخصم: المبالغ في الخصومة، وهو من لديد الوادي وهما جانباه، لديد الوادي جانباه؛ لأنه إنسان صاحب خصام وجدال قوي العارضة بالباطل، والحجة الباطلة إذا أتيته من هنا نزع بحجة باطلة من هنا فيأكل حق غيره، ويأخذ حق غيره، يماري بالباطل يجادل بالباطل، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث أم سلمة: ﴿ إنكم تختصمون إلي وإن بعضكم يكون ألحن بحجته من أخيه، فمن قطعت له من حق أخيه شيء، فليأخذها أو ليذرها فإنما أقطع له قطعة من نار ﴾ ﴿ أو فمن قطعت له من حقه شئ فليأخذها أو ليذرها - على سبيل التهديد- فإنما قطعت له قطعة من نار ﴾ ؛ لأنه ألحن، وفي لفظ: ﴿ فإنما أقضي بنحو مما أسمع ﴾ .

فقد يكون هو مبطل في حجته، شدة خصومته، فيظهر الباطل في صورة الحق، هذا يقع من بعض الناس في تقليبه للكلام، ربما يكون خصمه ضعيف الحجة، فيستغل هذه النقطة، وهذا واقع في الخصومات التي تقع بين الناس، أو من اللدود: وهو الدواء الذي يعطى، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في مرض موته: ﴿ لا تلدوني، قلنا كراهية المريض للدواء ﴾ .

تقول عائشة -رضي الله عنها- لما شد عليه الوجع أعطوه اللدود قال: ﴿ لا تلدوني ﴾ اللدود: وهو العلاج الذي يجعل في جانب الفم، سمي اللدود من لديد الفم، وهو جانب لديد الفم من هنا ومن هنا، وكذلك الوادي جانبه من هنا ومن هنا، فكأنه يأخذ تارة حجة من هنا وتارة حجة من هنا، فسمي الألد الخصم، والخصومة بالباطل لا تجوز، بل لو لم يكن خصومة مجرد مراء أيضا لا يجوز.

والخصومات أعظم ما تكون محرمة إذا كانت الخصومات في الدين، في حديث ابن عباس: ﴿ كفى بك إثما أن لا تزال مخاصما ﴾ فلا يجوز للإنسان أن يكون مخاصما، كذلك الخصومة في الدين،

.....

والمناقشة في أمور الدين، فلا يعرض الإنسان دينه لكثرة الخصومات ويتنقل، ولهذا من كثرت الشبه عليه تنقل، هذا قد يبتلى به كثير من الناس، ولا يبتلى به إلا البطالون.

ومما أوصي به نفسي وأوصي به إخواني عدم الانشغال بالجدال والأمور التي لا مصلحة فيها، كثير من الناس خاصة في مثل هذا الزمن وعبر كثير من الوسائل التي ضيعت على الناس نفيس أوقاتهم، عبر ما يقرأ ويسمع ويرى، أو المجالس التي يكثر فيها القيل والقال، وقد نهى النبي –عليه الصلاة والسلام– عن القيل والقيل وفلان وفلان، النفوس مجبولة على حب الحديث حينما خاصة يكون ظاهره يدعي أنه يتكلم بالدين ويدعي، ربما يخادع نفسه، أن كلام هذا ومجلسه لله وفي الله، فلان كذا، فلان يجاهد في سبيل الله، فلان لا، لا يجاهد في سبيل الله، فلان يريد كذا، وفلان يدعو إلى الله، لأ فلان لا يدعو إلى الله على بصيرة، يدعو إلى كذا، يدعو إلى هذه النحلة، إلى، فيشغل نفسه وحديثه مكروه لو أنك تابعته وأحصيته، أو أنه قدر أن ترى حديثه مكتوبا أو مسموعا لوجدته هو هو، يتكرر عشرات المرات، ومع ذلك ما يمل، الشيطان يحليه له ويسليه، ويملي له الشيطان في هذه الأحاديث كررها، وفلان وفلان، ولهذا كثيرا ما نسمع ناس يسألون في أمور لا حاجة لهم فيها، ويكررونها منذ سنوات مع أنك حين تسأل هل أنت مسئول عن هذا؟ هل ربك طالبك بهذا؟ هل نبيك –عليه الصلاة والسلام– طالبك بهذا؟ هل أنت مسئول عن هذا؟ لست مسئولا عن هذا، وليس من شأنك هذا الشيء، شأنك أن تصلح نفسك، وأن تعلم نفسك، وأن تدعو إلى الله، وإذا رأيت أمرا من الأمور المنكرة وتحققته تبين، ولا تجبر الناس ولا تلزم الناس.

الواحد منا يأتي يشتكي أمر ولده من ذكر أو أنثى أو زوجته، ويقال له صحيح يقول: اجتهدت فلم يستجب، يقول: الحمد لله ومع ذلك لأ يصر يقول في غيره من الناس، مع أنه قد يكون في أمور اجتهادية يصر أن يجعل هذا الأمر على وفق هواه، وأن يوافقه غيره، وإلا فهو عدو، ولهذا يبتلى السالكون والعباد، وطلاب العلم، وغيرهم وهذه يستغلها أعداء الدين، خاصة، عبر ما يكتب في الصحف والمجلات فيثيرون الفتنة بين أهل الخير يوقعون العداوة والبغضاء، وقد نجحوا حتى إنهم فرقوا صفوف كثير من أهل الخير، وأهل العلم، ووقعت بينهم من العداوات التي لا تجوز.

ومن قال إن أهل العلم إذا وقع بينهم خلاف، أو الدعاة إلى الله إذا وقع بينهم خلاف أنهم يتعادون، من هذا طريقهم، ما كان هذا طريقهم ولم ير أحد، بل كل من اجتهد، وكان على طريق من طرق الحق والخير فإنه على أجر بأجر اجتهاده، وهذا شامل الأمور العلمية والعملية، باتفاق أهل العلم يشمل الأمور العملية التي يقع فيها الخلاف بين الفقهاء، كذلك يقع في الأمور العلمية التي يختلف فيها الاجتهاد في النظر في الطرق، مع أن كثيرا من الأمور التي يقع خلاف في الطرق في الدعوة إلى الله، أو خلاف في تنقيح المناط، مثل إنسان اجتهد ورأى أن هذا المكان هو أحق مكان في الدعوة والجهاد في سبيل الله، خالفه إنسان آخر هو ليس اختلاف على وجوب الجهاد، اختلاف على تحقيق المناط وهذا باتفاق أهل العلم لا إنكار فيه، بمعنى أنه هل هذا من الأمر الذي هو أمر الله؛ مثل الاختلاف، مثل جزاء الصيد: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [1] ؟

نحن متفقون على أنه له مثل لكن ما هو المثل؟ يأتينا رجلان فيحكمان يقولان: المثل هذا يماثل الصيد هذا الحيوان، وفي قضية أخرى تقع في نفس الصيد يقول رجلان: لا، هذا الحيوان لا يضر؛ لأننا متفقون على وجوب المثل، لكن جنس المثل ما هو؟ هذا أمر يسير، فتحقيق المناط في هذه المسائل ومعرفة مناط الشيء قد تختلف، ومن رام أن يجمع الناس على قول واحد هذا لا يمكن ولا يقع، والخلاف واقع بين الصحابة – رضي الله عنهم – في مسائل، ومع ذلك كانوا من أشد الناس اجتماعا؛ ولهذا أهل العلم اختلافهم لا يزيدهم إلا ائتلافا.

لم يعهد أن أهل العلم حين يختلفون يتخالفون لا، هم إذا اختلفوا تآلفوا، ولهذا أهل القصور والنقص إذا اختلفوا تعادوا، كما هو المشاهد الآن، يتعادون ثم يتبغاضون، ثم يتدابرون، ثم يتحاسدون، هذه من أعظم المصائب، إذا كان هذا بين أهل العلم والدعاة إلى الله، فلا يعذر بعضهم بعضا، ولا ينصح بعضهم لبعض، مع أن كثيرا ممن يتكلم يعلم من نفسه، ويعلم الله منه أن في النفوس دسيسة، وأن فيها حسيكة من حسكات الشيطان التي أظهرها في قالب الخير، فهي شهوات لبست بشبهات، ثم اندرجت بالباطل، ثم اندرج هذا الباطل بالحق اليسير الذي لبّس بها، ربما في كثير ممن

- ١سورة المائدة آية : ٩٥.

.....

—

يخفى عليه ذلك، لا نتهم ولا نقول: إنه تبين له الباطل وأصر، لكن ربما فتح عينا واحدة، ولم يفتح العين الأخرى، والواجب على طالب الحق أن يفتح العينين البصيرتين فيبصر ويرى الخير والشر، فيحكم بما يكون أصلح وأنفع.

أسأله سبحانه وتعالى أن يدلنا وإياكم على طريق الهدى والصواب وأن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه بمنه وكرمه آمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

أحسن الله إليكم وهنا بعض الأسئلة، يطلب هذا السائل يا فضيلة الشيخ، الدعاء فإنه يشتكي من السحر ومن المس أسأل الله أن يرفع ما به يشتكي من السحر والمس يسأل الدعاء يقول فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أخونا يسأل الدعاء "مصاب"، ونسأل الله – سبحانه وتعالى– بمنه وكرمه في هذا المقام العظيم، وفي هذا المجلس المبارك أسأله بمنه وكرمه لي وله ولجميع الإخوان الحاضرين أسأله – سبحانه وتعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أساله بمنه وكرمه، وجوده وإحسانه كما أن رحمته في السماء: أن يجعل رحمته في الأرض، وأن ينزل شفاء من شفاءه، ورحمة من رحمته بمنه وكرمه وعافيته على أخينا هذا علينا وعلى سائر إخواننا، نسأله ذلك بمنه وكرمه آمين إنه جواد كريم.

وهذا يسأل فضيلة الشيخ أن كثرة الكذب بين الزوجين يفقد الثقة فهل هناك ضابط يضبط المسألة؟

هذا صحيح، هو ليس معنى كثرة الكذب حتى يكشف، الإنسان إذا أكثر الكذب ما عاد صار له قيمة، إنما يكون كالملح في الطعام، الملح في الطعام إذا وضعته كثير يفسد الطعام، وإن أخليته من الملح كذلك أفسد الطعام، فلا غلو ولا تقصير حتى في الكذب ولا غلو ولا تقصير حتى في الملح، لا يزيد ولا ينقص بل يكون وسط، أما إذا كان كل ما دخل اشترى لها حاجة مثلا بخمسين ريال قال: ألف ريال، وجم بعد المغرب قال: ألفين ريال، كلما صار يزيد، هذا يصير كلامه لا قيمة له يعني مكشوف عندها، وربما لا يكون بل ربما لو صدق لا تصدقه، وهذا يقع أيضا فعليه أن يكون عند

الحاجة، عند الحاجة، كذلك المرأة هو ليس مقصورا على الزوج حتى الزوجة، في نفس الحديث هي إذا حدثت

. . . . . .

زوجها وأرادت أن تستميل قلبه فلا بأس بذلك تقول: أنت من أحب الناس إلي، وأنت ليس هناك مع أنها تكرهه من قلبها، كذلك هو، يقول: أنت من أحب الناس إلي مع أنه يود فراقها، لكن ما في حيلة، ربما لا يقل لا عليها، فلهذا لا بأس أن يقول هذا الكلام وأن تقول هذا الكلام لأجل الجمع والتأليف نعم.

وهذا يقول أحسن الله إليكم في الماضي كنت أغتاب كثيرا وأستهزئ بالناس ولكن من الله ﷻ علي بالهداية، ولا أعلم كم عددهم ولا أتذكرهم فماذا علي؟

الحمد لله إن كنت لا تعلمهم فالله يعلمهم – سبحانه وتعالى–: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1] ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [2] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [3] قال النبي الكريم –عليه السلام–: ﴿ إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ﴾ فنقول: عليك أن تدعو الله لهم وأن تستغفر الله لهم على الجملة، فإذا دعوت فأنت ولله الحمد على خير، حينما تدعو لهم يرجى أن يدعو لك الملك بهذا إن شاء الله، نعم.

نعم، لا، هو، نقول إذا كانت لا تعرف الأسعار لكن إذا كان هو يعلم أنها تعلم كذبه في الشيء الواضح الصريح، يعني كذب صراحة، فهو بين أمرين: إما أن يعلم أنها تقبل الكذب بكونه، يعني يغريها بالكلام؛ لأن المرأة تقبل من زوجها أن يغريها بالكلام، وإن كان في الباطل ليس على +كذا، وهذا واقع بين الرجال والنساء، المجاملات، والمداراة بالقول، قد تقع، وإن كل منهم يعلم أنه ليس على ما هو عليه، وبالجملة كما قلنا مستثنى ولله الحمد، يعني أن يكذب عليها صراحة.

الطبري وجماعة من أهل العلم يقولون: إن الكذب في هذا المراد به التورية، هذا ليس بصحيح، بل مراد به الكذب صراحة، أما التورية لها بحث آخر، التورية تجوز على الصحيح في أمور كثيرة، كان أحد السلف أظنه الأعمش أو النخعي يأتيه بعض طلاب أو بعض زملائه أو بعض أصحابه فكان

- ١سورة البقرة آية : ٢٨٦.

- ٢سورة الطلاق آية : ٧.

- ٣سورة التغابن آية : ١٦.

. . . . . .

—

لا يريد أن يجلس معهم يكون مشغولا فيأمر الجارية وكان إذا جاء من سأل عنه قال: قولي إنه في المسجد، تجدونه في المسجد، فإذا طرق عليه أحد قال: أين هو الآن؟ قالت: هو في المسجد، هو في مسجد بيته، يعني في مسجد البيت جالس فيظنون أنه في مسجد بيته، مثل ما جاء ذلك الرجل الذي طرق الباب على الإمام أحمد –رحمه الله– وكان يريد المرودي، وكان عنده مهنا بن عبد الحميد –رحمه الله– مهنا بن عبد الحميد هذا من أخص تلاميذ الإمام أحمد –رحمه الله–، ومن أحبهم إليه، حتى إن الإمام أحمد –رحمه الله– ربما مل سؤاله من كثرته، وصاحبه ما يقارب أربعين سنة، ما يفارق الإمام أحمد –رحمه الله– معه دائما، فمرة جاء طرق إنسان يريد المرودي أبا بكر، وكان المرودي لا يريد مقابلته فقال أين المرودي؟ فقال مهنا: المرودي ليس هاهنا، وماذا يصنع المهنا هاهنا، فأقره الإمام أحمد –رحمه الله– الذي يسأل يظنه أنه ليس في الدار وهو قصده ليس على كفه نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم يقول: هل يجوز اللعن إذا كان من باب المقابلة؟

هذا فيه خلاف، الجمهور على المنع، وذهب بعض العلماء إلى الكراهة وهو قول تقي الدين، والمسألة موضع بحث واللي يظهر والله أعلم أن اللعن لا يجوز، هذا الأظهر؛ لعموم الأدلة الناهية تقدم الإشارة إليها بعدم اللعن لشدة أمر اللعن، واللعن يتعلق به حق عظيم، وهو أن من يلعن كأنك حكمت عليه بأنه مطرود مبعد عن رحمة الله، وهذا كالحكم بالنار له أو الحكم على الباطل، وهذا حكم على الغيب؛ لأنك حينما تقول فلان ملعون كأنك حكمت على الغيب، وهذا لا يجوز الحكم على الغيب وهو أن تقطع بأنه مبتوت مبتور من رحمة الله، فالأظهر والله أعلم وهو قول الأكثر وهو أنه لا يجوز مثل ما نقول: إنه لو أنه فعل أمرا منكرا لا يجوز لا يفعله به، نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم عن صحة حديث: ﴿ وجبت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في ﴾ ؟

حديث صحيح هذا، حديث صحيح رواه الإمام أحمد –رحمه الله– من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث معاذ بن جبل، ومن أحاديث صحابة آخرين: ﴿ وجبت محبتي للمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتبادلين في ﴾ وجاء في حديث أن معاذ قال: آلله، قال آلله قال آلله، قال

آلله، قال: أبشر فإني سمعت رسول الله يقول: ﴿ وجبت محبتي ﴾ الحديث وجاء عن صحابة آخرين، نعم، وفي

.....

صحيح مسلم: ﴿ المتحابون بجلال الله في ظل العرش يوم القيامة ﴾ وأحاديث جاءت في هذا المعنى نعم.

وهذا سؤال تكرر يقول: ما حكم حلق اللحية أو الخصوص تقصيرها، أو الأخذ منها، وهل تقع كبيرة أم صغيرة وما نصيحتكم لمن يفعل ذلك؟

اللحية لا يجوز حلقها ثبتت بذلك الأخبار أن النبي قال: ﴿ خالفوا المشركين جذوا الشوارب وأرخوا اللحى ﴾ وقال –عليه والسلام–: ﴿ أوفوا اللحى وحفوا الشوارب خالفوا المجوس ﴾ خرج الأول الصحيحان البخاري ومسلم، والثاني خرجه مسلم، وثبت المعنى بعدة أخبار كثيرة عنه –عليه الصلاة والسلام–، وفي حديث عائشة لما قال: ﴿ عشر من الفطرة ﴾ منها: إعفاء اللحية، وثبت هذا المعنى أيضا في أخبار، وكذلك أنه فيه نهي عن التشبه بالنساء، وهذا ثبت في أحاديث كثيرة من حديث ابن عباس، من حديث عائشة، ومن حديث أبي هريرة كلها تدل على تحريم حلقها وتقصيرها، والأخذ منها، والواجب هو إعفاؤها وإيفاؤها وإكرامها، أرخوا أرسلوا، وألفاظ كثيرة، نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم يقول: هل يصح قول المسلم لمن غضب منه أن يقول: أعوذ بالله منك؟

إذا كان قال: أعوذ بالله منك لا بأس، من استعاذ بالله فاعل مثل ما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– في حديث ابن عمر، فإذا قال: أعوذ بالله، وكان استعاذته على حق خشي أن يؤذيه خشي أن يعتدي عليه، فلا بأس من استعاذ بالله + لكن إذا أعوذ بالله أن تلزموني بهذا، هو حق من الحقوق وواجب عليه هذا لا يجوز نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم يقول ما الفرق بين الحديث الضعيف والحديث الضعيف جدا؟

الضعيف: هو الذي يكون في سنده إنسان يكون ضعفه محتمل، مثل ابن لهيعة، مثل علي بن زيد بن جدعان، والذي يكون ضعيف جدا: الذي يكون فيه متروك، مثل ما تقدم عنبسة بن عبد الرحمن، وأمثاله من المتروكين، وفي ناس يختلف فيهم، فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وأمثاله، فأما الضعيف جدا: يقرب مثل الحديث المتروك، الحديث المتروك، وأشد منه الموضوع أو الساقط، نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم عن صحة حديث: ﴿ بورك لأمتي في بكورها ﴾ ؟

.....

هذا مختلف فيه، من رواية الصخر بن وداعة الغامدي، رواه الإمام أحمد وغيره، واللي أعرف أن في سنده جهالة، لكن له طرق منهم من جوده، في بعضها: " بورك لأمتي في بكورها يوم الخميس "، وهو مختلف فيه، وجاء ذكر الخميس في بعض الأخبار، لكن هذا الخبر مثل ما جاءوا، وكان إذا أخذ تجارة يعني بادر بها، فالمقصود أنه يمكن بالنظر إلى يعني إلى الأسانيد أن يكون من باب الحسن لغيره، وفيه حديث رواه ابن ماجه أيضا لكن في سنده ضعف أنه –عليه الصلاة والسلام– مر على فاطمة، وهي نائمة فحركها برجله، ثم قال: " إن الصبحة تمنع الرزق "، وهو عدم البكور وهو ضعيف لكنه قد يكون في الشواهد نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم عن صحة حديث: ﴿ أن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا أو قتله نبي ﴾ ؟

هذا في الصحيح، هذا الحديث في الصحيح صحيح البخاري، ذكره، في قصة أبي بن خلف: " إن أشد الناس رجل قتل نبيا أو قتله نبي " وأظنه جاء عن صحابيين، المقصود إنه موجود في الصحيح نعم صحيح البخاري، نعم.

يقول هذا السائل: ما حكم لعن اليهود والنصارى، وما حكم لعن من لعن الله ورسوله، وهل يدخل في باب اللعانين لا يكونوا شفعاء؟

الله ﷻ يقول: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ بِسۡمِ ﴾ [1] فالكفار عموما يجوز لعنهم، اتفق العلماء على جواز لعن الكفار، إنما الخلاف في التعيين، في التعيين، قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد ﴾ في الصحيحين: ﴿ قاتل الله اليهود والنصارى ﴾ ثبت من حديث ابن عباس، ومن حديث أبي هريرة في الصحيحين هذا المعنى.

- ١سورة المائدة آية : ٧٨-٧٩.

.....

وجاء في أخبار عدة أيضا، والقتل بمعنى اللعن، وجاء صريح اللعن لعموم الكفار، فاللعن على العموم جائز، وكذلك مثل اللعن على الوصف: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1] إنما الخلاف في خصوص اللعنة على المعين في الكافر، وكذلك المسلم الفاسق، على خلاف كما تقدم، وإن كان لعن المعين ينبغي تركه أو يجب تركه على ما تقدم نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم، عن النكت التي تقال بين الناس ولا ندري أهي كذب أم لا هل تدخل في حديث ويل للذي يحدث الناس فيكذب في حديثه ؟

تقدم هذا تقدم هذا، وأشرنا إلى أنه أن القصاص والحكايات التي يعلم أنها كذب لا يجوز حكايتها، التي يعلم أنها كذب لا يجوز حكايتها، مثل ما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث بهز نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم عن حكم لعن إبليس؟

لعن إبليس هذا فيه خلاف، في حديث رواه الإمام أحمد -رحمه الله- أن رجلا كان رديفا للنبي -عليه الصلاة والسلام- على حمار فسقط فقال: تعس الشيطان قال: لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان انتفش حتى يكون مثل البيت، ولكن قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإنه يتصاغر حتى يكون مثل الذباب وجاء في حديث أيضا ذكره الدارقطني في العلل، -رحمه الله- وظاهر إسناده الصحة في ذكر اللعن، والنهي عن اللعن هو بالجملة: الأخبار التي جاءت بالأمر بالتعوذ منه، ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يصلي فعرض له الشيطان في صلاته فقال: ألعنك بلعنة الله، ألعنك بلعنة الله، ألعنك بلعنة الله وقال: أراد أن يقطع علي صلاتي هذا مما يدل على أنه يجوز لعنه.

وجاء في حديث عائشة عند النسائي في الكبرى أن النبي قال: أخذته فخنقته حتى وجدت برد لعابه على يدي يعني خنق الشيطان وجد برد لعابه على يده، ذكر تقي الدين وغيره في

- 1سورة هود آية : ١٨.

رسالته في الفرقان، وأنه دفعه بيده ودفعه بالفعل وبالقول، وكأنه والله أعلم، يظهر والله أعلم يجوز لعن الشيطان

حينما يتطاول شره بزيادة على الوسوسة، إذا هذا اللي يظهر والله أعلم، الأخبار التي جاءت وهذا التفصيل إذا تأملته لعله جيد وحسن، أنها جاءت فيما إذا تطاول شره زيادة عن الوسوسة مثل أن يكون عرض الشيطان بوسوسته مع إيذائه بالفعل فهذا يدفع شره بالتعوذ منه وبلعنه.

ومن ذلك أيضا حينما يتلبس فلا بأس مثلا بإذا تعرض أو تمثل مثل ما هو جاء عن النبي –عليه الصلاة والسلام– وإن كان الأولى والأتم هو التعوذ بالله من شره هو الذي جاء في الأخبار، وهو الذي جاء في الأحاديث، وهو الذي جاء في استفتاح القرآن في التعوذ من الشيطان من وسوسته، وتوهينه، هذا وأسأله – سبحانه وتعالى– لي ولكم التوفيق والسداد لكل خير بمنه وكرمه آمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. نعم بسم الله.

فضل الصدق وعقوبة الكذب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

قال المؤلف -رحمه الله- باب الترغيب في مكارم الأخلاق، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ﴾ متفق عليه.

—

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، ذكر المصنف -رحمه الله- في هذا الباب جملة من الأخبار التي تحث وتدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يدل على ذلك بقوله وفعله، ومكارم الأخلاق، من تخلق بها لزم منه أن يجتنب دنيئها وسفسافها، ومن اجتنب دنيئها وسفسافها لزم أن يتخلق بمكارم الأخلاق، لكن قد يكون في الإنسان أخلاق من الأخلاق الحسنة، وربما خالط أو واقع بعض الأخلاق السيئة فعليه أن يهتدي بهديه -عليه الصلاة والسلام- ويطلع على سيرته، وما كتب في ذلك في شمائله - صلوات الله وسلامه عليه-؛ لأنها أعظم معين على العمل بهذه الأخلاق الحسنة.

والمصنف -رحمه الله- صدر بحديث ابن مسعود يعني في الصحيحين، وهذا اللفظ لفظ مسلم: ﴿ عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور،

وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والكذب

.....

محرم ومن كبائر الذنوب، بل إن بعض أهل العلم يرى أن الكذبة الواحدة يستحق بها وصف الواقع في كبائر الذنوب.

والكذب مراتب كثيرة، فقد يكون كذبا في شهادة زور، وقد يكون كذبا في دعوى، ومفاسده بحسب مرتبته وبالجملة على المسلم أن يجتنب هذه الخصلة الدنيئة، والكذب كما قال أبو بكر رضي الله عنه مجانب للإيمان، مجانب للإيمان، وكذلك قال عبد الله بن مسعود فيما صح عنه، وأبو بكر رضي الله عنه وفيه مروان بن أبي شيبة: ﴿ يطبع المؤمن على الخلال كلها، إلا الخيانة والكذب ﴾ إلا الخيانة والكذب وهما متلازمان، فيكذب ثم يئول به إلى الخيانة خلقان سيئان قبيحان، وقد جاء هذا مرفوعا عند الإمام أحمد من رواية أبي أمامة لكنه لا يثبته، والثابت أنه موقوف على ابن مسعود وأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وثبت عند أحمد بإسناد صحيح، أن أبا بكر رضي الله عنه خطب الناس، فقال: أيها الناس، وأخبر عن النبي –عليه الصلاة والسلام– أنه خطبهم وقال: ﴿ عليكم بالصدق فإنه مع البر ويهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهو يهدي إلى النار، وسلوا الله العفو والعافية ﴾ بين أن الصدق مع البر والكذب مع الفجور، وذلك أن الإنسان قد يكذب ويتساهل في الكذب ثم يؤدي به إلى الفجور وإذا أدى به إلى الفجور أوقعه في خصال أقبح من الكذب، ومبدؤها هو الكذب، والكاذب لا ثقة فيه ولهذا تقدم معنا أنه من خصال المنافق، في حديث أبي هريرة، وحديث عبد الله بن عمرو وهو في الصحيحين: ﴿ وإذا حدث كذب ﴾ جعله من خصال النفاق، وهذا وجه مآله إلى الفجور؛ لأن قلب المنافق فاجر انفتح على جميع أنواع الشرور والمعاصي بلا مبالاة، والإقدام والجرأة مثل انفجار الماء أو مثل انفجار الشيء الذي يسير، وربما أتلف ما أمامه، كذلك هذا يفجر أمامه لا يبالي ولا يسأل كما قال الحسن، ركب رأسه.

أما المؤمن لا يقول ماذا أردت بهذا؟ لماذا عملت هذا؟ ما الذي جعلني أعمل هذا؟ وقّاف محاسب لنفسه، على الصغائر قبل الكبائر تجده يسأل نفسه، ويحاسبها، قبل أن يحاسب؛ فلهذا بين النبي –عليه الصلاة والسلام– أن الرجل إذا صدق وتحرى الصدق يعني اجتهد في تحري الصدق وبالغ، فإنه يهديه إلى البر وما أحسن هذه الخصال، خصلة الصدق والبر، وانظر إن الصدق يهدي

إلى البر، ومن هدي إلى البر فقد ظفر بسعادة الدنيا والآخرة، البر يجمع الأخلاق كلها، الحسنة والواجبة، التي بين الله وبين

.....

خلقه، التي بينك وبين الله، والتي بينك وبين خلقه – سبحانه وتعالى–؛ لأنه يشمل الأعمال القاصرة والأعمال المتعدية، يشمل كل شيء، وكل ذلك بخصلة الصدق.

والصدق نوعان: صدق في الأعمال، وصدق في الأقوال، والمعول هو الصدق في الأعمال؛ لأنه هو الذي يكون به عمله صحيحا حينما يصدق في عمله، وأعظم الأعمال أعمال القلوب، ومن صدق في عمله باطنا صدق في عمله ظاهرا في الجوارح على اللسان الذي هو رائد القلب والمتكلم عنه، والأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: ﴿ إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول إنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا ﴾ كما رواه الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري، تكفر: أي تخضع وتذل، لأنه هو المتكلم والقلب هو القائد فاللسان هو الناطق عنها، يعني أنه لا يظهر ولا يبدو ما يكون من عمل، إلا ما يظهر على لسانه، وربما فلتات لسانه أحيانا يدل على ما لم يتكلم به، والقلب هو الأصل وهو القائد، كذلك الكذب يهدي إلى الفجور، وما أقبح هاتين الخصلتين الكذب والفجور، والفجور أقبح؛ لأنه يجمع شرار الأعمال وما يقبح من الخصال، لأنه يجعل يتحرى، شوف انظر كلمة يتحرى في الصدق ويتحرى في الكذب، هذا يتحرى الخير ويتوقى الشر، وهذا يتحرى الشر ويتوقى الخير، ما أبعد ما بينهما البون شاسع، ولهذا جاءت أخبار في بعضها ضعف في التقبيح من الكذب والتشديد.

وقد جاء في حديث عبد الله بن عامر عند أبي داود بإسناد فيه ضعف، لكن يشهد له ما رواه أحمد عن أبي هريرة، أن أمه دعته وقالت: تعال أعطك خبزة، وكان النبي يسمع –عليه السلام–، قال: ﴿ أما إنك لو لم تعطه لكتبت عليك كذبة ﴾ وجاء عند أحمد نصا بقوله: " من قال لصبي تعال أعطك فلم يعطه كتبت عليه كذبة " انظر قال لصبي، حتى يعود الصبيان الصغار من الجواري على الصدق؛ لأنه حينما يعوده أو يتهاون بالكلمة اليسيرة، يكون سببا في نشأته على هذه الأخلاق فالواجب هو التربية على الأخلاق الحسنة كما أشار المصنف –رحمه الله– نعم.

التحذير من الظن

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: ﴿ إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ﴾ متفق عليه.

—

وهذا تقدم، تقدم وتقدم الكلام عليه، لكنه أشار إليه؛ لأنه يحسن ذكره هنا وهنا، والحديث من باب التحذير من الظن الذي لا مستند له كما تقدم، وأنه أكذب الحديث بمعنى أنه يضل الناس أن الناس ينخدعون تقدم الإشارة إلى أن فيه شبه من أقوال المنافق من جهة انخداعه لأنه يخدع، ومن يسمعه يصدقه، فيظن أن قوله صادق، وهو يعلم من نفسه أنه باطل، ومن يخاطبه أو يكلمه أو يكتب له يظن أنه صادق لأنه استند إلى سبب.

والناس قد لا يميزون بين الأسباب الباطلة والأسباب الصحيحة، لذا قال: أكذب الحديث، بخلاف الكذب الصريح، هذا أمره واضح، مثل ما تقدم المنافق مع الكافر، وأن المنافق أخطر، هكذا الذي يظهر أنه يقول قولا ويزعم أنه مستند، مثل الإنسان الذي يغتاب بصورة التعطف على إنسان، يغتاب يقول: فلان كذا، فلان المسكين، فلان كذا، ألا ترى إلى فلان، والذي يسمعه يظنه أنه من خير المصلحين، وقلبه يغلي على أخيه، لكن لم يتمكن أن يظهره بصورة الغيبة؛ إما لأن مقامه بينهم يمنع ذلك لأنه قد يظن فيه الخير، أو قد يكون يدرج شره وفساده بهذا الأسلوب، فلهذا كانت هذه من أقبح الغيبة، وذلك يظهر أنه باطلا بصورته، يقصد باطلا بصورة حق، والظن أكذب الحديث، تقدم الإشارة إلى هذا المعنى، وتقدم الإشارة إلى أن الحذر أمر مطلوب، وأنه ليس من الظن الباطل وقد تقدم معنا في الأخبار أنه -عليه الصلاة والسلام- عمل بالظن الذي يستند إلى دليل، وكذلك الحذر، الحذر لا بأس به وأخذ الحيطة عند وجود أسبابها، مثل الحذر من الكفار، الحذر من أهل الشر، وما أشبه ذلك، هذا أمر مطلوب.

وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- كما في الصحيحين: ﴿ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ﴾ وهذا يبين يحترس، وجاء في خبر أيضا في هذا الباب رواه أبو داود أنه -عليه الصلاة والسلام- قال:

.....

أرسل رجلا من الصحابة إلى عمرو بن الفغواء الخزاعي إلى أهل مكة بعد الحديبية أو بعد فتح مكة إلى أبي سفيان بمال لبعض المساكين في مكة، أرسله إلى أبي سفيان لكي يقسمه عليهم، وأرسل عمرو بن الفغواء الخزاعي إلى مكة، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ انظر من يصحبك ﴾ فحضر معه عمرو بن أمية الحضرمي، فجاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال من؟ فأخبره أن معه عمرا فقال -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ إذا انتهيت إلى دار قومه فاحذر؛ فإنه كما قيل: أخوك البكري لا تأمنه ﴾ من أمثلة العرب ثم لما جاء ووصل إلى قريب من بلاد قومه، قال إن لي حاجة إلى أهلي أو قومي فانتظرني، فقال: نعم، قال: فتذكرت قول النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم شددت رحلي فاعترضني هو وقومه، ثم أسرعت ثم لما فتهم جاء إلي فقال: إنما كانت لي حاجة إلى قومي، قال: قلت: نعم ثم ذهب. القصة ضعيفة هي في إسنادها لكن الشاهد فيها من جهة أن أخذ الحذر عند أسبابه أمر مطلوب وحمل عليه ذلك الأثر. احترسوا من الناس بسوء الظن وهو ضعيف، كما تقدم وأنه إنما ثبت مقطوعا على مطرف بن عبد الله الشخير وهو ما أشبهه.

ولهذا المؤمن عليه أن إذا لم يكن هناك أسباب لسوء الظن فلا يجوز هذا هو الأصل، يعني تارة الأحوال ثلاثة: تارة عندك أشياء تستند إليها في سوء الظن، مثل إنسان من أهل الشر والبدعة والفساد، هذا يجب التحذير منه، مثل ها البدع فالإنسان يقول والله نحسن الظن بأهل البدع وأهل الضلالات، وأعداء السنة، هذا ما يجوز الثقة بهم، بل يجب الحذر منهم والتحذير منهم، يجب الحذر والتحذير منهم ولا يقول نحسن بهم الظن، هذا إفساد، ولا يحسن بهم الظن، بمعنى أنه يحسن باطلهم أو ما هم عليه، أما أن يدعو إلى الله، وأن يجتهد في دعوتهم، هذا أمر +واجب، لكن فرق بين إحسان الظن بهم على وجه تكون مصلحته منغمرة في مفسدته، وبين دعوتهم.

الحال الثاني: أن تظهر أسباب تدعو إلى حسن الظن، وهذا هو الأصل وهو الواجب، وفي هذه الحال تعين.

الحال الثالث: تجهل الأمر مثل المسلم المستور، هذا لا يجوز أن تسيء به الظن، بل تحمله على حسن الحال، بل إنك لو رأيت منه عورة وجب عليك أن تسترها ما لم يكن متهتكا مظهرا للشر والفساد فيمن يجب إظهاره حتى يدفع شره ويحصل الخير بذلك، نعم.

حق الطريق

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : ﴿ إياكم والجلوس بالطرقات، قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال: فأما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حقه؟، قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ﴾متفق عليه.

حديث أبي هريرة أو حديث أبي سعيد ﷺ حديث فيه وصايا عظيمة وفيه دلالة أولا: أنه لا بأس من الجلوس في الطرقات بعد، وإن كان الأولى هو اجتنابه، ولذا قال: إياكم، وفي اللفظ الآخر عند مسلم: ﴿ ما لكم ولمجالس الصعودات ﴾ ما لكم هنا إياكم والطرقات، قالوا: ما لنا بد من مجالسنا، قال: فإن أبيتم إلا الجلوس، وفي لفظ: ﴿ إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق، قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾ هذه وصايا عظيمة، في هذه الشريعة.

الإنسان يخرج من بيته، على قدميه أو على سيارة، يعلم أن عليه حقوقا وأن له حقوقا، وهذه كثير من الناس يغفل عنها، يظن الخروج من البيت مثل أي خروج، لا الإنسان، الإنسان مكلف ليس كالبهيمة، ولهذا ترى أن الإنسان إذا خرج، يخرج ذاكرا لله ﷻ الأذكار المشروعة، ثم بعد ذلك إن كان يريد أن يمشي فعليه حق السلام، إزالة الأذى وما أشبه ذلك.

وإن كان يريد الجلوس فعليه حقوق وله حقوق، عليه حقوق وإن لم يؤد هذه الحقوق فلا يجوز له الجلوس في المجالس، قالوا: ﴿ ما لنا بد من مجالسنا ﴾ في اللفظ الآخر: ﴿ نذكر الله ﴾ وهذا الحديث رواه مسلم من حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري وفيه حسن زيادة حسن الكلام، ورواه أبو داود أيضا من حديث أبي هريرة وفيه إرشاد الضال، يعني: زيادة إرشاد الضال، ورواه أيضا أبو داود من حديث عمر ﷺ وفيه إغاثة الملهوف وأن تهدوا الضال، في حديث أبي هريرة إرشاد السبيل

.....

والمعنى واحد إرشاد السبيل وفي حديث عمر تهدوا الضال، وقال: تغيثوا الملهوف، وجاء هذا المعنى أيضا من حديث شريح خويلد بن عمرو الخزاعي عند أحمد بإسناد ضعيف، ومنه قال: غضوض البصر، يعني فيه مبالغة، وهذه كلها حقوق تجب على من أراد الجلوس في الطريق.

والأخبار جاءت أخبار عدة فيها خصال أكثر من هذا لكن الشاهد أن هذه خصال يجب أن يعمل بها، فإن لم يعمل بها فلا يجوز له، ومن ذلك أنه إذا سار بسيارته فإن عليه حقوق وله حقوق، وأمر الطريق والجلوس فيه من الأخبار الشيء الكثير، وبسطه أهل العلم وبينوه، لكن إشارة إلى شيء ما اشتمل عليه هذا الخبر وهو قوله: إياكم، كأن فيه إشارة إلى أن الأولى هو عدم التعرض وعدم الجلوس، وذلك أنه قد لا يسلم من إتباع البصر، والنظر إلى المحرمات، وكذلك عدم القيام بالحقوق الواجبة عليه، لكن إذا كان أبى إلى المجلس، فالواجب عليه هذه الحقوق: غض البصر هذا أمر واجب؛ لأنهم يمروا يعني في الطريق والطريق له حقه لكنه في فناء ولم يراع ذلك، لكن عليه أن يعتني بهذا وهو غض البصر.

وكف الأذى هذا واجب على كل حال باللسان وبالقول، وفي حديث أبي ذر في الصحيحين، أنه أمره قال فإن لم يفعل قال: يكف أذاه فإنه عليه صدقة، أو فإن له به صدقة، هذا يبين أن كف الأذى نوع من الفعل، اختلف العلماء هل الترك فعل أو ليس بفعل، وظاهر النصوص والأدلة على أنه فعل، وهذا من حكمة هذه الشريعة ومن رحمتها أن جعلت نفس الكف يؤجر عليه، والأظهر والله أعلم أنه يكون فعلا إذا قصده العبد، ولهذا قال: ﷺ يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ﷺ قال: فإن لم يفعل، قال: ﷺ يعين ذا الحاجة الملهوف ﷺ وقال فإن لم يصنع أو فإن لم يفعل قال: ﷺ يكف عن الشر فإنه له به صدقة ﷺ جعله صدقة، وهم سألوه أولا ماذا عليه؟ فدل على أن نفس الكف فعله قد ورد فيه بعض الأدلة من الكتاب والسنة يدل على هذا المعنى، لكن الشأن في كونه يكف أذاه، وأنه به صدقة، أو عليه صدقة بذلك، ورد السلام وهذا فيه التأييد لما تقدم معنا أن الجالس له الحق، وأن المار هو الذي يسلم، ولو مر جمع كثير على قليل فإن الحق للقليل ما داموا جالسين.

أما قوله: والقليل على الكثير، فإنه مخصوص بغير الجالس، فالجالس مثل ما تقدم المار على الجالس، أو الماشي على الجالس، والظاهر أنه يشمل ما إذا كانوا كثيرا على قليل، أو كبيرا على

.....

صغير، قوله: الكبير على الصغير يعني في غير الجالس، ولهذا جعله حقا عليه، حقا أن الحق الذي عليهم قال: هو رد السلام، دل على أنهم لا يلزمهم السلام وهذا واضح لأن الذي يجلس له مزيتان:

أولا: أنه جالس ولو أمر بمراعاة من يمر لشق عليه ذلك، والمار أمره متيسر +.

الأمر الثاني: أن المار مع الجالس بمثابة الداخل على الإنسان في مجلس، ومن دخل على قوم فإن السلام مشروع في حقه هو الذي يسلم لا يبدأ بالسلام من هو جالس يسلم من داخل، وهذا معروف في الأدلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك سائر الخصال الأخرى التي وردت في الأخبار المتقدمة نعم.

التفقه في الدين

وعن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾ متفق عليه.

—

وكذلك تقدم الخصلتان الأخيرتان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه من أعظم الخصال أيضا حتى لا تفوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه من الأشياء التي تجعل الإنسان حينما يكون في مجلس أو في مكان أن عليه حقوق، وهذا الأمر بالمعروف في كل مكان في مجلس يأتيه، في دعوة يدعى إليها، في مناسبة زواج، فإذا كان هذا في المناسبات العامة فكذلك أيضا في جلوسه، أو في ذهابه إلى الأسواق أو الطرقات فالواجب عليه أن يؤدي الحق وهذا حق أعظم من تلك الحقوق لأنه مترتب عليه دفع شر، وفساد وتحصيل مصلحة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

حديث معاوية ﷺ ﴿من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾ هذا حديث مشهور ومعروف ﴿من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾ قال العلماء: منطوقه الفقه في الدين، من فقه في دين الله، فإن الله أراد به خيرا، ومفهومه أن من لم يتفقه، لم يرد الله به خيرا، في رواية عند أبي يعلى ومن لم يتفقه لم يُبلَ به، أو لم يبالي الله به باله، لكن هذه زيادة لا تصح، من رواية رجل يقال له: وليد بن محمد الموقري وهو متهم زيادة لا تصح، لكن المعنى صحيح من جهة مفهومها.

وثبت هذا المعنى من حديث ابن عباس عند الترمذي أيضا أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾ وعند أحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح: ﴿من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾ فالأخبار عن الصحابة في هذا كثيرة، عن معاوية في الصحيحين، حديث ابن عباس وحديث أبي هريرة المتقدم، كذلك حديث معاوية الآخر، الذي رواه ابن أبي عاصم في كتاب العلم، ورواه الطبراني أيضا، وقد أشار إليه الحافظ –رحمه الله – في شرح كتاب العلم في صحيح البخاري وأنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿أيها الناس إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾ فأشار إلى أن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، وذلك أنه مأخوذ

عن الأنبياء، وتُعُلم وأخذ منهم، وهكذا لم تزال هذه السنة تجري في التعلم، وأنه يأخذه الآخر عن الأول.

وفي حديث ابن عمر ﷺ عند الطحاوي في مشكل الآثار – رحمه الله – أيضا هذا المعنى، لكنه بلفظ: "من يرد الله به خيرا يفهمه في الدين"، يفهمه في الدين، وهذا نوع تفصيل لكن الفقه أعلى، ولهذا قال النبي –عليه الصلاة والسلام– في الصحيحين: الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية والعلماء يقولون: أهل العلم يقولون الفقهاء، قال الفقهاء، هذا قول كافة الفقهاء وذلك أن وصف الفقه وصف شرف أعلى من الفهم، الفقه أعلى؛ لأن كل فقيه فهو فاهم، أو فهما وليس كل من فهم كان فقيها، ولهذا يقول العلماء عندما يقال: فقه إذا بالكسر إذا فهم المسألة تقول: هل فقهت المسألة ؟ أيش معنى فقهتها ؟ أي فهمتها هذا هو، فيقال: فقه إذا فهم بالكسر، وفقه المسألة إذا سبق غيره إلى الفهم، هو أعلى رتبة بالفتح أعلى رتبة، لأنه لا يلزم من كونه فهمها أن يسبق غيره إلى الفهم، ولهذا كانت حركة الفتح أعلى من حركة الكسر، وهكذا كلما كانت الحركة أقوى، كلما كان المعنى أقوى، وهذا في لغة العرب موجود كثير، ترى أن المعنى يزداد فيما ازداد مبناه بحركة أو زيادة، فلما زادت حركتها وكانت أقوى يعني حركة الفتح أقوى من حركة الكسر، صار المعنى فيه أقوى ففهم وسبق غيره.

أما بالضم فقه بالضمة والضمة تملأ الفهم، وهي أقوى الحركات، أقوى الحركات، وربما مع المبالغة فيتولد منها واوا تقول: فقه يعني أيش معنى فقه ؟ أي صار الفقه له سجية، صار الفقه له سجية، بمعنى الآن ليس المسألة أنه فقه أو فقه، لا فقه صار من سجيته الفقه والفهم، وهكذا ترى في كلمات، مثل: عز يعز، عز يعز، عز يعز، فهذه كلمات تأتي كثيرا في لغة العرب، وتأتي أيضا في بعض الحروف، ترى الحروف التي هي حروف سهلة، ترى أن معانيها سهلة، مثل: الهاء والواو والياء، حروف اللين، وترى أن الحروف التي فيها قوة، مثل: الحاء والجيم، فيها للمعاني قوية، الحروف التي فيها يبوسة للمعاني التي هي يابسة، مثل الحجر الخشب، لكن الهواء الماء وما أشبه ذلك تجدها للأشياء التي معانيها لطيفة، وهذا سر في لغة العرب لا يكاد يوجد في لغة غيرهم، من جهة أن المعاني قوالب،

.....

—

وأن الألفاظ قوالب للمعاني، من جهة تركبها منها وسعة دلالتها بحسب سعة اللفظ من جهة الحركة أو من جهة نفس الحرف في قوته أو لينه، نعم.

فضل حسن الخلق

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق﴾ أخرجه أبو داود والترمذي وصححه.

حديث أبي الدرداء حديث صحيح وله شواهد من حديث عائشة، إن المسلم ليبلغ بدرجة أو بحسن خلقه درجة الصائم القائم، في لفظ القانت بآيات الله، هذا المعنى فيه أخبار كثيرة عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، في حسن الخلق، وفيه أنه أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، وذلك أن حسن الخلق يهدي إلى الأعمال الحسنة، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- كما تقدم يدعو الله عز وجل ويسأله أن يهديه لأحسن الأخلاق والأعمال وحسن الخلق في القول والعمل وهو يهدي لصالح الأقوال والأعمال وأعلاه المعروف والاجتهاد فيه ومثل ما تقدم أيضا في الصدق وما يتولد عنه من الأخلاق الحسنة، وهذا أمر لأهميته المصنف -رحمه الله- سبق الإشارة إليه في الأحاديث المتقدمة -رحمه الله- نعم.

الحياء من الإيمان

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ الحياء من الإيمان ﴾ متفق عليه.

—

حديث ابن عمر الحياء من الإيمان، وذلك أن الحياء يدعو إلى جميل الأخلاق، وهذا المعنى ثبت من حديث عمران بن حصين في الصحيحين: ﴿ الحياء خير كله ﴾ أو كله خير، كما في الصحيحين، أثبت أنه كله خير أو قال: "خير كله"، ليس في الحياء شيء يكون شرا، وهذا هو المراد بالحياء الشرعي كما سيأتي، ولما أنه اعترض عليه أبو+ أنكر عليه وقال: إنا نجد أن منه كذا وكذا، فأنكر ﷺ وبين أنه كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– وفي حديث أبي هريرة بإسناد حسن عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ ﴿ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار ﴾ ضد الحياء أي البذاء.

وكذلك حديث أبي أمامة الآخر، وهو حديث صحيح أيضا ﴿ الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ﴾ الحياء والعي، بمعنى أنه لا يخوض في الباطل، لا يكون لسنا في الباطل، ويكون قويا بالباطل بلسانه، ويأكل، ويلف الكلام، كما تلف البقرة الطعام بلسانها ويلوكه لوكا كما في الحديث الآخر، ولهذا تقدم في هذا المعنى أخبار تدل على هذا حديث أم سلمة: ﴿ إن بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على ما نحو ما أشاهد ومن قطعت له من حق أخيه شيئا فإنما قطعت له قطعة من نار فليأخذها أو يذرها ﴾ وكثير من الناس ربما يكون عنده شيء من العي، بمعنى أنه لا يستخرج حقه، وهذا ليس عيبا، وربما استخرج أخذ ذاك المبطل بطلاقة لسانه وقوة حجته بالباطل، لكنه مثل ما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– نوع بذاء وبيان، فهو بيان آل به إلى البذاء الذي أكل به حق أخيه، ومآله إلى النار، والحياء من الإيمان.

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين: ﴿ الإيمان بضع وستون شعبة ﴾ والآخر عند مسلم: ﴿ بضع وستون أو سبعون شعبة، أعلاها لفظ لا إله إلا الله – وفي لفظ أرفعها قول لا إله إلا الله –

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان ﷺ **شعبة من الإيمان، من الشعب العظيمة.**

.....

حديث ابن عمر هذا في الصحيحين له قصة أن رجلا مر برجل، أن النبي –عليه الصلاة والسلام– مر برجل يعظ أخاه في الحياء، يقول: كأنك تستحي يقول: أنت غلب عليك الحياء كأنك تستحي، قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ دعه فإن الحياء من الإيمان ﴾ والمراد بالحياء الحياء الشرعي وهو الخلق الذي يتولد من رؤية التقصير في حق الله، ورؤية النعم المتوالية من الله، يتولد منه حياء يتولد منه خلق يسمى الحياء، رؤية التقصير ورؤية النعم، يتولد منه خلق يسمى الحياء هذا هو الحياء.

أما الحياء الذي يمنع من قول الحق فهذا خور وجبن، ولهذا الحياء في اللغة: الذل والانكسار، وكذلك الحياء العرفي فالحياء في اللغة والحياء في العرف لا يمدح ولا يذم، إنما الممدوح الحياء الشرعي هو الذي جاءت فيه النصوص، أما إذا قال: فلان يستحي فلان يغلبه لننظر إن كان من المراد به هو الانكسار والتذلل فهذا ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن كان إنسان يستحي ألا يجاهر بالمعاصي هذا خلق حسن، يقول النبي –عليه الصلاة والسلام– كما في الصحيح: ﴿ كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عمل الليل فيصبح وقد ستره ربه، فيقول يا فلان قد عملت كذا وكذا يصبح وقد ستره ربه ويكشف ستر الله عنه ﴾ وكذلك الحياء العرفي بين الناس، الحياء الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق، الأخلاق الحسنة الطيبة إلى الناس هذا حياء شرعي.

أما إذا كان حياء من إنسان بينهم أعراف منكرة، في الولائم يقول: والله أنا أستحي أن أنكر أستحي أن أنكر على أخي أستحي أن أنكر على صديقي هذا أمر تعارفناه بيننا أو مثلا في التعزية حينما نقول له: أنكر على هذه المنكرات ترى يقول: هذا تعارفه أهل بلدنا، هذا تعارفه أهل قريتنا، هذا تعارفه أهل قبيلتنا والله أستحي أن أنكر، نقول: هذا خور وجبن في حقوق الله الواجبة، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان يتعوذ من الجبن، وأعظم الجبن هو أن يجبن عن الإنكار في حقوق الله، يعني لا يمنعه إلا الجبن، ليس يمنعه أنه يراعي أمور ومفاسد، هذه لأهل العلم والفقه إنما في إنسان يدع المنكر حياء لأنه أمر تعارفه الناس، ولهذا كان العرف من شروطه ليكون صحيحا أن لا يخالف نصا شرعيا وإلا كان عرفا باطلا، نعم.

إذا لم تستح فاصنع ما شئت

وعن أبي مسعود ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت ﴾ أخرجه البخاري.

حديث ابن مسعود، +أبي مسعود حديث أبي مسعود عندكم نعم، عقبة بن عمرو، نعم، ﴿ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ﴾ الحقيقة كلمة "الأولى" أنا أعرفها في صحيح البخاري منذ زمن بعيد لكن فيها ذكر البخاري -رحمه الله- في موضع وفي موضع آخر ما ذكرها، والحافظ -رحمه الله- قد قرأت كلامه مرارا كثيرة، يقول: زاد أحمد وأبو داود الأولى، في الموضع الأول، في الموضع الثاني: ذكرها البخاري، وينظر هذه الزيادة هل هي موجودة في نفس البخاري، في الموضع الثاني: والحافظ -رحمه الله- يقول: زاد أحمد وأبو داود كأنها ليست عند البخاري، ومحتمل أنه كما قال، ومحتمل أنه نسي موضعها في المكان الثاني، لكن ينبغي أن ينظر قبل، وبعض من صنف أيضا كذلك حتى في الأربعين الظاهر ذكروها الأولى، وهي موجودة عند أحمد وعند أبي داود بإسناد صحيح كلمة الأولى، لكن ينبغي أن ينظر ذكرها عند البخاري في الموضع الثاني.

يعني هل هو يعني تكون دخلت مثلا في الطبع أو ما أشبه ذلك، أنا ما أدري عن هذا لكن المصنف -رحمه الله- هنا عزاها وعزاها إلى البخاري -رحمه الله-، ولم يقل وهذا لفظ أحمد وأبي داود وبالجملة المعنى صحيح ولهذا ثبت من حديث حذيفة ﷺ من عند أحمد وهو حديث صحيح: ﴿ إن آخر ما تعلق الناس به في الجاهلية من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ﴾ وقوله النبوة: النبوة، المراد به أنه أمر اجتمع عليه الأنباء واتفقت عليه الشرائع والرسل ولم ينسخ، ولم ينسخه المتأخر ذاك من شريعة المتقدم، بل بقي متوارثا مأخوذا عن الرسل باقي وهو هذه العبارة: " إذا لم تستح فاصنع ما تشاء" وأنه مما اتفقت عليه الشرائع هذا أمر.

. . . . . .

أيضا قوله الأولى يعني: قبل النبي –عليه الصلاة والسلام– يعني كان معروفا قبل نبينا –عليه الصلاة والسلام– ثم جاءت شريعتنا مؤكدة لهذا الخلق العظيم دالة عليه، وقوله: " إذا لم تستح فاصنع ما تشاء"، وإشارة إلى ما تقدم أيضا في الحياء، واختلف العلماء اختلافا كثيرا هل هو من باب الأمر أو من باب الخبر، وخرج مخرج الأمر، إذا لم تستح فاصنع، هل هذا هو أمر على ظاهره، ويكون "اصنع" من باب التهديد، ولهذا في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ [1] يعني: من باب التهديد يكون الأمر تهديد مثل إنسان يقول ينهى إنسان فلا يراه يزد يقول: اعمل ما تشاء، اعمل ما تشاء يعني مآلك إلى العقوبة، فهو أمر تهديد؛ لأن الأمر قد يكون أمر تكليف، قد يكون أمر تهديد، قد يكون أمر تكوين: كن كذا، كن كذا في أوامره – سبحانه وتعالى– فالأوامر كثيرة، فهذا قيل إنه أمر تهديد، وقيل: إنه خبر بمعنى الخبر، وعلى هذا هل هو مدح أو ذم إذا كان خبرا، فقيل: إنه مدح، معناه إذا لم تستح فاصنع ما تشاء إذا كان الأمر الذي تريد أن تصنعه الذي تريد أن تصنعه مما لا يستحيا منه؛ لأنه مباح أو مشروع، مباح فلا عليك أن تعمله، مشروع يشرع لك أن تعمله، إن كان واجبا؛ فواجب، وإن كان مستحبا فمستحب، فاصنع ما تشاء، أو أنه خبر على سبيل الذم أن من لا يستحيي فإنه لا يبالي وليقدم على ما يشاء، وهذا جاء في بعض الأخبار، هذا المعنى من جهة أنه لا يبالي ولا يستحيي مثل الفاجر الذي يقدم على كل شيء والمعاني صحيحة، لكن يظهر والله أعلم أنه لا يظهر أن مساقه مساق المدح؛ يعني في: "إذا لم تستحي فاصنع ما تشاء"

لأن الأصل أن الحياء مأمور به، وكأن المصنف –رحمه الله– هنا ساقه دل على أن الأمر: أمر يستحيا منه فيجتنب، وأمر لا يستحيا منه فيعمل، إذا قيل على هذا القول وأنه خبرٌ بمعنى المدح، والأظهر والله أعلم إنما هو أمر تهديد أو خبر بمعنى الذم، بمعنى أن الذي لا يستحيي لا يبالي؛ لأنه نزع منه الحياء، فلا تراه إلا مذمما، ولا تراه إلا لئيم الخلق، فيقدم على كل أمر سيئ بلا مبالاة. نعم.

- ١سورة فصلت آية : ٤٠.

فضل المؤمن القوي

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾ أخرجه مسلم.

—

نعم هذا الحديث: ﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ولا تقل لو أني عملت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله﴾ "قدر" خبر لمبتدأ محذوف، أي هذا قدر الله، ﴿قدر الله وما شاء فعل﴾ وهذا الحديث فيه فوائد عظيمة:

أولا: قوله "احرص" يقال: احرِص واحرَص، سمِع يسمَع، ويقال: احرص من حرَص يحرِص بالكسر، احرِص أو احرَص على ما ينفعك ولا تعجز، ولَّا "لا تعجزن".

﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف﴾ هذا في فضل المؤمن القوي، والقوة المراد بها هنا قوة العزيمة، قوة الإيمان الصدق الباطن، أن يدعو إلى أن يعمل وهذا هو المؤمن القوي، وقوة المؤمن في قلبه، وقوة المنافق في بدنه؛ ولهذا ترى كثيرا ممن قد يكون بلغ من السن شيئا كثيرا كبير السن، ومع ذلك ترى همته ونشاطه في عبادة الله ﷻ ويأتي إلى المسجد من مكان بعيد، ويعمل الأعمال الصالحة، ويحافظ على الصلوات في أوقاتها، ويحافظ على السنن، مع كبر سنه، وترى مثلا إنسان مصحح البدن شابا قويا لا يعمل مثل عمل هذا بل قد لا يبلغ شيئا يسيرا من عمله؛ وذلك أن هذا قوة عمله قوته في قلبه، وهذا ربما ضعف قلبه وإن كان بدنه قويا.

وإن كان أيضا أن قوة البدن مطلوبة، وأن الحديث يظهر والله أعلم أن المراد به الأمران: قوة العزيمة وقوة القلب، وقوة البدن تابعة، حتى يجعل قوة بدنه فيما يرضي الله ﷻ ؛ ولهذا جاء مدح

القوة في كثير من المواضع، كما أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– في الحديث الصحيح حينما كانوا صائمين، فقال: ﴿ أفطروا فإن الفطر أقوى لكم على عدوكم ﴾ .

.....

فأمرهم بالفطر، والمراد به أن يتقووا بالفطر وتقوى أبدانهم على العمل.

زي حديث في الصحيحين حينما أفطروا، صام من صام وأفطر من أفطر، فالذين أفطروا سقوا الركاب وأقاموا الأبنية، فقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ ذهب المفطرون اليوم بالأجر ﴾ لأنهم لما أفطروا قويت أبدانهم فنشطوا في العمل، فذهبوا بالأجر في ذلك اليوم، والصوام ناموا لأن الصوم أضعفهم، فالقوة مطلوبة في البدن. وإن كان المراد بالحديث هنا قوة العزيمة والقلب.

"خير وأحب" هذا يبين أن أهل الإيمان أن مراتبهم منه – سبحانه وتعالى– مختلفة، منهم من هو محبة الله تختلف، من تكون محبته أعظم من غيره، وهذا دلالة على اختلاف مراتب الإيمان، فمن كان إيمانه قويا كانت محبته لله، ومحبة الله له أقوى "خير وأحب" وفيه إثبات المحبة لله ﷻ "يحبهم ويحبونه" وهذا محل اتفاق من أهل العلم، في محبة الله ﷻ وفي قوة الإيمان وزيادته.

"من المؤمن الضعيف" الذي ضعف إيمانه وهذا قد يؤيد قول من قال: إن المراد هنا القوة قوة القلب لا قوة البدن، قال: المؤمن الضعيف، ولا شك أنه المراد بالشق الثاني هو الضعيف ضعيف القصد والعزيمة لا ضعيف البدن؛ ولهذا تقدم أن ضعيف البدن قد يكون أقوى وأفضل وأحب من قوي البدن، لكن هو مراد من جهة العموم إذا كان سائرا في القصد الأعظم وهو قوة الإيمان يجعل في سبيل مرضاة الله ﷻ .

"وفي كلٍ خير" هذا لأجل دفع ما يظن أن المؤمن الضعيف ليس فيه خير، لا. فالنبي –عليه الصلاة والسلام– أوتي جوامع الكلم، فيدفع التوهمات الباطلة، قال: وفي كل خير، يعني من المؤمن الضعيف والمؤمن القوي، لكن بين أن الخير في المؤمن القوي أتم وأكمل.

"احرص" أمر وهذه وصية منه –عليه الصلاة والسلام–، أمر، وما من طريق يقرب للجنة إلا وقد دلنا عليه –صلوات الله وسلامه عليه– ولا طريق يقرب للنار إلا حذرنا منه، "احرص" الحرص هو الهمة والاجتهاد "على ما ينفعك"، وهذه كما قال ابن القيم –رحمه الله–: أصل سعادة الإنسان

.....

—

الحرص وعدم العجز: ﴿ احرص على ما ينفعك ولا تعجز ﴾ تعجَز أفصح من تعجِز ولذا: ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾ [1] وإن كان يجوز تعجِز، لكن تعجَز أفصح.

﴿ احرص على ما ينفعك ولا تعجزن –أو ولا تعجز– ﴾ وهذا كما تقدم هو أصل سعادة الإنسان، وهو حرصه على ما ينفعه واستعانته بالله ﷻ وعدم العجز، والإنسان لا قوة له ولا حول إلا بالله ﷻ لا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [2] فمن عمل بحوله فهو مخذول وعمله لا قيمة له.

"احرص" العمل جوارحك تجد وتعمل، لكن قلبك معلق بالله ﷻ وهذا هو حقيقة التوكل، الجمع بين قوة اليقين والصدق والتوكل وقوة العمل بالجوارح، وهذان هما ركنا التوكل، فمن فرط في واحد منهما فحصل له شيء فلا يلومن إلا نفسه "احرص على ما ينفعك" هذا عام في أمور دينه ودنياه.

وأعظم الحرص هو الحرص على ما ينفع عند الله ﷻ وذلك باتخاذ الأسباب الشرعية المشروعة، وهي أعظم الأسباب المنجية، والعمل بالأسباب من أعظم التوكل بالأسباب الشرعية والأسباب الحسية، المشروعة والمباحة.

"واستعن بالله" وهذان الأمران وهما: الحرص والاستعانة قرينان لا ينفصلان، ومن عمل بالحرص والاستعانة فإنه موفق مسدد ولو حصل ما حصل؛ لأنه بذل الجهد والوسع، وبعد ذلك لا عتب عليه.

"ولا تعجز" يعني أمر بالحرص مع أن مفهومه النهي عن العجز، لكن مع ذلك الناصح الأمين –صلوات الله وسلامه عليه– صرح بهذا المفهوم ولم يسكت عنه، ولا تعجز لأنه ربما يحرص تارة ويضعف تارة، فأمره أن يجد وأن يحرص في جميع أموره، ولا تعجزن ولا تعجز.

- ١سورة المائدة آية : ٣١.

- ٢سورة الفاتحة آية : ٥.

.....

—

وإن أصابك شيء فلا تقل وهذا بعد ما اجتهد في السبب فلا يقول ، والمكلف من عموم المكلفين من الرجال والنساء يكتنفه أمران: قبل المقدور وبعد المقدور، قبل المقدور: وهو العمل يحرص ويجتهد مع صدق التوكل على الله، هذا قبل حصول المقدور وقبل العمل فيما يريد أن يعمله في جميع أموره.

ثم بعد ذلك بعد المقدور إياه أن ينكث هذا العمل وذاك التوكل؛ يقول: لا ، لو أني فعلت كذا، لو أنني صنعت هذا الشيء لما حصل كذا، عند ذلك يفتح باب الشيطان. وإن أصابك شيء –بعد ذلك– فلا تقل –نهي– لو أني فعلت كان كذا وكذا" وعند ذلك يتحسر ويأتيه الشيطان.

ولكن قل قدر الله –هذا قدر الله– وما شاء فعل – سبحانه وتعالى– وأمره نافذ، ولهذا (لو) في هذا الموطن منهي عنها، لأنها تفتح باب اللوم والتلوم والتسخط للقدر وعدم الرضا عن الله، وهذا أمر لا يجوز، والواجب حينما يجتهد ثم ينزل ما ينزل؛ فإنه يقول: قدر الله وما شاء فعل؛ ولهذا من فعل هذا فإنه ينزل عليه برد الإيمان واليقين، وربما كان الأمر الذي يكرهه خيرا من الأمر الذي يحبه.

يقول عمر رضي الله عنه "وجدنا خير عيشنا بالصبر" ويقول هو أو غيره: "ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر" ولهذا يقول بعض السلف: واعلم أن ما يصيبك فيما تكرهه من الله –يعني مما لا حيلة لك فيه– خير مما يصيبك أو مما يحصل لك مما تحبه، لأن النفس عند المصيبة يحصل لها ذلٌّ وانكسار، وهذا مشاهد، كم من إنسان قادته مصيبة إلى نعم عظيمة، ثم حينما يقع فيها وكان كارها لها ثم بعد ذلك يلجأ إليه – سبحانه وتعالى– وينطرح وينكسر يسوق الله له – سبحانه وتعالى– من الخير والأنس واللذة ربما كره زوال هذه المصيبة.

ولهذا هذا هو مقام الشكر، لكنه مقام عالٍ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [1] ومقام الرضا يليه، ومقام الصبر واجب، مقام الصبر كونه يكره، لكن ليس معنى ذلك أنه لا يحب زوالها، يحب زوال المصيبة وإن كرهها هذا لا عيب لكن لا يتسخط، لا يتسخط، وهذا قد يظنه بعض الناس يظن

- ١سورة سبأ آية : ١٣.

.....

—

أن عدم إرادة زوالها نوع من غير الرضا؛ لا. أو نوع من التسخط، التسخط شيء بالقول والفعل كونه يحب زوالها هذا لا بأس به لأن مقام الصبر هو الواجب.

ومقام الرضا هو أن يرضى بها، فلا يكره ولا يحب، لكن مقام الشكر هو محبتها؛ بمعنى أن ما أصابه مما لم يكن عيبا إنما مصيبة أصابته في نفسه أو في ماله أو في أهله أو في بدنه فإنه حينما يكون شاكرا لله ﷻ هذا مقام الشكر، وهو أعلى المقامات كما تقدم.

ولهذا نهى عن "لو" لكن يجوز من الـ"لو" وهنا بحث كثير لأهل العلم في هذه المسألة وأنه يجوز من الـ"لو" فيما يكون تمنيا لخير أو طلبا له، وقد تكاثرت بهذا الأخبار عن النبي –عليه الصلاة والسلام– نعم.

فضل التواضع

وعن عياض بن حمار ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد ﴾ أخرجه مسلم.

الحديث أخرجه مسلم وهو حديث طويل اختصره المصنف -رحمه الله-، وعياض بن حمار ليس له في صحيح مسلم إلا هذا الحديث الواحد -رحمه الله-، بل ليس له في الستة إلا هذا الحديث وحديثان آخران عند أبي داود وحديث: ﴿ من وجد لقطة فليشهد ذوي عدل ﴾ الحديث الآخر عند أبي داود أيضا: ﴿ أنه جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- بهدية قبل أن يسلم قال: إني لا أقبل زبد المشركين ﴾ .

عياض بن حمار المجاشعي، يصحفه بعضهم يقول حماد، وهو بن حمار المجاشعي، وفي هذا فضل التواضع ﴿ إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد ﴾ التواضع من خصال أهل الإيمان، أهل الإيمان، وجاء في الحديث في نفس هذا الحديث أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مالٍ، وَمَا زَادَ الله رَجُلاً بِعَفْوٍ إلا عِزّا، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ لله إلاّ رَفَعَهُ ﴾ .

في حديث أبي كبشة الأنماري أيضا رواه الترمذي وأحمد وغيرهم وهو حديث جيد قال: ﴿ أنه -عليه الصلاة والسلام- ثلاث أقسم عليهن، فاحفظوهن: ما نقصت صدقة من مال، وما ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه، ثم قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم أن لله فيه حقا عليه فهو بخير المنازل، ورجل آخر يقول: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت بمثل ما عمل، فهو بنيته، فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم أن لله فيه حقا فهو بأخبث المنازل، ورجل آخر يقول: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت بمثل ما عمل، فهو بنيته فهما في الوزر سواء ﴾ .

.....

—

وفيه شاهده المتقدم، وربما ظن بعضهم أنهما حديثان وهو حديث واحد حديث أبي كبشة، كذلك ربما حديث عياض أيضا ظن بعضهم أنهما حديثان، وهو حديث واحد حديث مطول، وفيه فضل التواضع، وأنه لا يزيد صاحبه إلا عزا، وكذلك فيه الخصال الأخرى، وفيه النهي عن الفخر والبغي وأنه ليس من خصال أهل الإيمان. نعم.

فضل من رد عن عرض أخيه بالغيب

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: ﴿ من رد عن عرض أخيه بالغيب، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة ﴾ أخرجه الترمذي وحسنه، ولأحمد من حديث أسماء بنت يزيد نحوه.

—

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفوٍ إلا عزا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه ﴾ أخرجه مسلم.

حديث أبي الدرداء الأول ﷺ حديث جيد لا بأس به وله طرق عند أحمد، وفي طرقه من باب الحسن أو الحسن لغيره، وربما يصحح أيضا بشواهده حديث أسماء، وشواهده في المعنى كثيرة.

﴿ من رد عن عرض أخيه بالغيب، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة ﴾ وفي هذا أنه لا يجوز الغيبة أولا، الثاني: أنه لا يجوز حضور مجالس الغيبة، الثالث: أن من حضرها فالواجب عليه أن ينكر وأن يرد عن عرض أخيه؛ قال: ﴿ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار ﴾ وقوله: " رد الله عن وجهه النار " مفهومه أن من لم يرد عن أخيه فإنه تلفحه النار، فيه وعيد؛ لأنه شهد منكرا ولم ينكره، فيجب أن ترد عن عرض أخيك، اللفظ الآخر: ﴿ من حمى مؤمنا من منافق بعث الله له ملكا يحميه من نار جهنم ﴾ رواه أبو داود، وكذلك روى أبو داود أيضا أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ ما من مسلم يخذل مسلما في موضعٍ يرجو نصرته إلا خُذل في موطن يحب أن يُنصر، وما من مسلم ينصر مسلما في موطن يحب أن ينصر إلا عز الله نصره أو نصره في موطن يحب فيه أن ينصر ﴾ .

وهذه الأخبار والمعاني كلها تدل على وجوب الدفع والحماية، كما أنه يدفع عنه لو ظلمه في قوله -عليه الصلاة والسلام- في حديث أنس في الصحيحين، ﴿ انصر أخاك ظالما أو مظلوما ﴾ فينصر أخاه ظالما ومظلوما، الظالم يدفع عنه الظلم ويمنع، بمعنى دفعه، قال: هذا أخي أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ قال: تحجزه وتمنعه عن الظلم، والمظلوم كذلك، فأنت في الحقيقة حينما تدفع الغيبة تكون نصرت المغتاب ومن اغتابه؛ نصرتهم جميعا.

. . . . . .

—

وهذا يدل عليه حديث أنس، فيجب على كل من سمع غيبة أن ينصر الظالم، وأن ينصر المظلوم، شوف انظر قال: انصر أخاك، ولهذا الصحابة – رضي الله عنهم – سألوا فقالوا: هذا نصرته مظلوم فكيف أنصره ظالما؟ قال: تحجزه عن الظلم، وهذا هو حقيقة النصر.

فالظالم حينما تردعه عن الظلم يظن أنك تدفعه وأنك تهينه ، ويسول له الشيطان لكنه في الحقيقة نصر له، كما تقدم معنا ﴿ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾ ليس الشديد بالصرعة.

وفي حديث ابن مسعود المتقدم لما قال: ﴿ ما تُعدُّون الرَّقُوب فيكم؟ ﴾ ذكر بعد ذلك لما قال ﴿ ما تعدون الشديد فيكم؟ ﴾ فبين الشديد حقيقة هو الذي يملك نفسه عند الغضب، كذلك النصر الحقيقي حينما تردعه، فالشخص يردع نفسه، ويردعه إخوانه هذا نصره الحقيقي، وهذا هو الانتصار انتصاره على النفس، هو أن ينتصر على نفسه، وإخوانه أيضا ينتصرون على نفسه الأمارة بالسوء، وأنك تنصر المظلوم بأن تدفع عنه الغيبة.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه حديث أبي هريرة تقدم الإشارة إليه في حديث عياض بن حمار، في قوله التواضع، وأن هذه الخصال من خير الخصال ﴿ ما نقصت صدقة من مال ﴾ وهذا يدل على أن الصدقة تزيد المال وتباركه، وهذا معروف في الأخبار عنه –عليه الصلاة والسلام–.

وكذلك ﴿ ما تواضع أحد لله إلا رفعه ولا زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ﴾ هذه من أعظم الخصال التي ترفع العبد في الدنيا، وتبارك له في ماله، وتبارك له في جاهه، فيرفع؛ يظن أنه ينخفض، لا، حينما يعفو يكون عفوه عن أخيه حينما يعتدي عليه، لكن هذا العفو لا يكون خيرا ولا يكون مصلحة كما تقدم عنه إلا إذا لم يلزم منه مفسدة. أما إذا لزم منه مفسدة، فإن الأخذ بالحق والانتصار هو الأولى، مثل ما تقدم فيمن يكثر شره فإنه لا يعفى عنه بل يدفع شره بأخذ الحق منه والله أعلم.

أحسن الله إليكم ونفع بكم الإسلام والمسلمين، هذا يسأل يقول: ما صحة ما قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما مات ودخل قبره "سأله الملكان من ربك؟ فقال لهما: بل أنتما من ربكما" إلى آخر الحديث؟

. . . . . .

ما أعرفه بهذا اللفظ، اللي أعرفه الحديث اللي رواه ابن حبان، وأيضا رواه الإمام أحمد –رحمه الله– وهو أنه –عليه الصلاة والسلام– ذكر لهم فتنة القبر، وأنهم حينما يسألون قال: أترد؟ قال عمر: أترد علينا عقولنا لما ذكر الملكين، وأنهما يسألان وأن صوتهما كالرعد القاصف، وكذلك ذكر بصرهما وأنه كالبرق الخاطف، فقال: ونحن كهيئتنا يومنا هذا يا رسول الله؟ قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: نعم، قال عمر: بفيه الحجر، وفي لفظ أنا أكفيكهما" هذا هو اللفظ المعروف عنه ﷺ نعم.

يقول" حديث رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا " من أخرجه وما درجته؟

أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر وإسناده حسن رجاله، الراوي عن ابن عمر والراوي عنه، كأنه في درجة الصدوق، لا بأس، إسناده حسن لا بأس، رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا وفي معناه حديث أم حبيبة أيضا في الصلاة قبل الظهر من صلى قبل الظهر أربعا حرمه الله على النار .

أما حديث علي ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام صلى قبل العصر أربعا، هذا لا يثبت، الثابت أنه من قوله لا من فعله. أما حديث علي الطويل الذي اللي رواه أحمد مطولا والترمذي مختصرا بذكر الأربع، وأنه كان يصلي أربعا، هذا ضعيف، ومنهم من قال إنه باطل، ومنهم من قال إنه موضوع، وقالوا: إنه مخالف للأخبار الصحيحة عن النبي –عليه الصلاة والسلام– ومن جزم بأنه باطل تقي الدين –رحمه الله– لكن لا شك أن المعروف عنه هو من سنته الفعلية القولية. أما صلاة العصر فليس لها سنة راتبة إنما لها سنة قبلية قبلها وهي أربع ركعات نعم.

يقول هذا السائل أحسن الله إليكم: كيف يجعل الإنسان نفسه، أو كيف يجاهد الإنسان نفسه حتى لا ينام إلا أربع ساعات، وإذا كان هذا فهل يجوز أم لا؟

مسألة النوم بحسب الحاجة أقول بحسب الحاجة، الإنسان ينظر إلى حاجته على وجه لا يفوت عليه المصالح، والنوم يختلف الناس في مثل هذا، لكن لا شك أن أوقات النوم التي تنفع هي في أوقاتها المناسبة، يجتهد أن يكون لا يتأخر في الليل، ومعلوم أن ساعة من نوم الليل تعدل الكثير من نوم النهار

. . . . . .

إلا نوم القيلولة إذا تيسرت مع أنها قد لا تتيسر الآن؛ لأنها لا تكون إلا قبل الزوال فإن فاتت ونامها مثلا يعني بعد الظهر أو قبيل العصر حسن.

والإنسان ينظر، ثم أيضا يستعين بما يقويه، من أعظم ما يقوي الإنسان هو الأذكار، والورد قبل النوم، وكذلك الذكر حينما يستيقظ من أعظم ما يقوي؛ ولهذا لما سأل علي رضي الله عنه لما سأل النبي هو وفاطمة خادم، قال: أدلكما على خير من خادم" في الصحيحين، وفي لفظ عند أبي داود ﴿ أعطيكما وأدع يتامى بدر تطوي بطونهم ﴾ ثم قال، ﴿ تسبحان الله ثلاثا وثلاثين، وتحمدان الله ثلاثا وثلاثين، وتكبران أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم ﴾ .

جعل الذكر أبلغ لأنه يقوي على طاعة الله، وهذا قاله أهل العلم وذكروا الكلام المشهور عن تقي الدين –رحمه الله– لما قال ابن القيم: كنت بجواره لما صلى الفجر، فجعل يذكر الله حتى طلعت الشمس، فقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد لخارت قواي، فمما يستعين به العبد أيضا على أموره في دينه ودنياه. نعم.

يقول هذا السائل أحسن الله إليكم: كيف الجمع بين الحديثين "يسلم الصغير الكبير" وأحاديث "كان النبي ﷺ يسلم على الصبيان"؟

ما في منافاة، نحن لو قلنا: يسلم الصغير على الكبير، ليس معنى ذلك أن الكبير لا يبادر، لكن هذا هو حق، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان أولى الناس أن يبادر، فلو التقى رجلان كبير وصغير نقول: الحق للكبير على الصغير، فلو بدأ الكبير حاز الفضل، مثل: لو مر إنسان بقوم جالسون، فبادر الجالسون بالرد، فقالوا: السلام عليكم قبل أن يسلم هو. قال النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما رواه أبو داود بإسناد جيد من حديث أمامة: ﴿ أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام ﴾ .

وروى الإمام أحمد –رحمه الله– في حديث أبي بكر مع أحد الصحابة: ﴿ أن النبي –عليه الصلاة والسلام– أرسلهم في أمرٍ من الأمور، قال: فغدوت مع أبي بكر بعد صلاة الفجر، قال: فكنا إذا خرجنا فبدا لنا رجلٌ بادرنا بالسلام. قال أبو بكر لصاحبه: ألا ترى إلى هؤلاء كيف يسبقوننا لا

. . . . . .

يسبقك أحدٌ إلى السلام، قال: فكنا إذا مشينا وبدا لنا رجل مباشر يعني بادرناه بالسلام قبل أن يبدأ .

فالمعنى أنه ليس معنى ذلك أنه يسلم الصغير على الكبير أنه واجب، لا، هذا حق، لو تقابل رجلان واحد كبير السن، والآخر أصغر، فالسنة المبادرة: ليس منا من لم يوقر كبيرنا حديث أبي موسى رضي الله عنه لكن لو بادر الكبير وصار أسرع بالخير الحمد لله. نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم عن حكم السترة، وهل ورد نص صحيح قولي يدل على وجوبها، ويسأل أيضا عن عدد الركعات بعد صلاة الجمعة؟

حديث السترة ورد فيها حديث سهل بن أبي حثمة، وحديث أبي سعيد الخدري، ذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة، وليدن من سترته، لا يقطع الشيطان عليه صلاته والحديث عند الحاكم ليستتر أحدكم في الصلاة وأخرجه أحمد، ليستتر أحدكم في الصلاة ولو بسهم هذه الأخبار التي جاءت في الأمر بالسترة.

جاء أخبار في الصحيحين: إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها في اللفظ الآخر قال فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته وجاء قال: إذا صلى أحدكم إلى سترة كأنه أو جعله بالخيار، والعلماء على أن السترة سنة ومشروعة ليست بواجبة، وذهب قول بعض أهل العلم أنها واجبة، لكن الوجوب ليس عليه دليل صريح، كما تقدم، ومنهم من يطلق الواجب بمعنى السنة المتأكدة كما هو قول المالكية رحمة الله عليهم.

وبالجملة لا ينبغي التفريط بالسترة، بل المشروع هو المبادرة إليها والحرص عليها، مهما أمكن، وقوله: لا يقطع الشيطان عليه صلاته للتعليل والتعليل هنا يدل على أنه ليس بواجب التعليل هنا يدل على أنه ليس بواجب.

ويسأل أيضا عن عدد الركعات بعد صلاة الجمعة؟

عدد الركعات بعد صلاة الجمعة: أربع، في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا هذا ثابت في الصحيح، هذا حديث أبي هريرة، حديث ابن عمر في الصحيحين: أنه –عليه الصلاة والسلام– كان يصلي بعد الجمعة ركعتين .

. . . . . .

—

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح أن ابن عمر –رضي الله عنهما– كان إذا صلى الجمعة في مكة صلى أربعا ثم تقدم وصلى ركعتين، ثم ذكر قال: إنه كان يصنع النبي. فاختلف هل الضمير يعود إلى جميع فعله إلى الست أو أنه إلى نفس الصلاة، وبالجملة الثابتة أنها أربع ركعات، هذا هو، وبعض العلماء قال: إذا صلى في المسجد صلى أربعا، وإذا صلى في البيت صلى اثنتين، وهذا قول تقي الدين –رحمه الله–، وقالوا جمعا بين حديث أبي هريرة وحديث ابن عمر أنه إن صلى في البيت صلى ركعتين، وإن صلى في المسجد صلى أربعا.

والصواب والله أعلم أن يصلي أربعا هو الظاهر، أما صلاة النبي –عليه الصلاة والسلام– ركعتين فهذه مثل ما نقل ابن عمر أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين، وعائشة نقلت: يصلي أربعا فإما أنه لم ير تلك الأربع، ونقلت عائشة أنه كان يصلي أربعا قبل الظهر، أو ربما صلى أحيانا، والأمر صريح واضح في أنه يشرع أن يصلي بعدها أربعا. أما قبلها فلم يثبت في ذلك الخبر الذي رواه ابن ماجه لا يصح، إنما قبلها سنة مطلقة وليس قبلها سنة راتبة، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

نعم سم الله.

فضل السلام وصلة الأرحام

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ﴾ أخرجه الترمذي وصححه.

—

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

حديث عبد الله بن سلام رواه الترمذي كما ذكر المصنف وهو حديث جيد الإسناد، لا بأس به، أما ما دل عليه من المعاني فهذا متواتر في الأخبار، لكن هذا فيه وصية خاصة.

وقد رواه الترمذي، والمصنف اختصره -رحمه الله- وفيه أنه أول ما قدم المدينة أو قال أول ما قدم النبي -عليه الصلاة والسلام- المدينة: انجفل الناس إليه قال فجئت إليه فنظرت إليه فعرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعت منه أنه قال: ﴿ أيها الناس، أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام ﴾ .

وكلمة صلوا الأرحام أيضا جاءت في هذه الرواية كما ذكر المصنف -رحمه الله- ﴿ أفشوا السلام وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام ﴾ ينظر في هذه الرواية، هذه موجودة في رواية الترمذي، وإن كانت معروفة معناها في الأخبار لكن ينبغي مراجعة رواية عبد الله بن سلام في هذا الخبر، وهو خبر معناه كما تقدم متواتر من جهة المعنى في إفشاء السلام.

وسبق الإشارة إلى ذلك والأمر بإفشاء السلام والتحية والخلاف في وجوبه، وقد دلت الأدلة على هذا، وأمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بذلك، وقال -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ لا تدخلوا الجنة

. . . . . .

حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم أفشوا رواه مسلم، هذا أمر بإفشاء السلام.

وتقدم معنى الحديث الذي رواه البخاري في الأدب المفرد أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم وجاء في الأحاديث المتقدمة حديث أبي هريرة، وما جاء في معناه: حق المسلم على المسلم رد السلام وجاء أيضا في حديث أبي سعيد الخدري: فأعطوا الطريق حقه فقال رد السلام .

وفي حديث أبي طلحة في صحيح مسلم، حسن الكلام ومن أفضله السلام، إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا الباب، وإشاعة السلام من أجل الأخلاق، ولا يحصل السلام إلا بالإسماع، بأن يسمع، أما إذا لم يسمع، فإنه لا يلزم من سمع كلاما لم يفهمه أن يجيب، لكن هو يلزمه أن يفشي السلام، كل منهم يلزمه أن يفشي السلام.

وصلوا الأرحام صلة الرحم معروفة في الأخبار وتقدمت الإشارة إلى شيء من هذا وأنها واجبة، وصلة الرحم إمام واجب، وإما مستحب، والصلة تكون بالسلام وتكون بالطعام، وتكون بالقول الحسن، وهذا كله ثابت في الأخبار، وأطعموا الطعام، وتقدم الإشارة إلى هذا في حديث أبي موسى وما جاء في معناه فكوا العاني وعودوا المريض، وأطعموا الجائع وإطعام الطعام تارة يكون واجبا وتارة يكون مستحبا.

وصلوا بالليل والناس نيام يعني إذا غفل الناس عن الصلاة، وهذا يشمل الصلاة الواجبة، ويشمل الصلاة المستحبة، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام لأنه قد اجتهد في أداء ما شرع الله من الواجبات، وأيضا اجتهد فيما شرع الله من الأمور المستحبة، "تدخلوا الجنة بسلام" بلا حساب ولا عقاب يكون مع الداخلين من أول وهلة نعم، ادخلوها بسلام آمنين. نعم.

الدين النصيحة

وعن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ الدين النصيحة ثلاثا قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ أخرجه مسلم.

حديث تميم الداري تميم بن أوس -رضي الله عنه ورحمه- حديث عظيم، قد رواه مسلم وهو عند مسلم غير مكرر، ولو قال هنا لو أنه ذكره وقال اللفظ مثلا لغيره، لأن الحديث رواه أحمد مكرر من حديث أبي هريرة، وعنده في اللفظ الآخر ﴿ إن الدين النصيحة ﴾ من حديث تميم نعم، ولو قال واللفظ لأبي داود يعني رواه مسلم واللفظ لأبي داود لأنه عند أبي داود ﴿ إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة ﴾ كررها ثلاثا.

عند مسلم: ﴿ الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ وهذا الحديث جاء من حديث أبي هريرة ومن حديث ابن عباس وعند أحمد، وضعفه البخاري وجماعة، وقالوا: لا يثبت إلا من حديث تميم، وما جاء من رواية غير تميم فإنه وهم.

ورواية أبي هريرة عند أحمد ظاهر سندها السلامة ومحتمل يقال: إنه أيضا حفظ عن غير تميم، لكن لأئمة الحديث نقد خاص في الأخبار يجزمون بعدم صحته، ومنهم من يخالف ويقول: إذا ثبت السند فلا يجزم إلا ببينة ظاهرة الوهم في ذلك، وبالجملة الخبر ثابت كما في صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري ﷺ وقد أسلم في العام التاسع للهجرة، ومن أعظم مناقبه ﷺ أن النبي -عليه الصلاة والسلام- روى عنه حديث الجساسة الطويل الذي رواه مسلم في آخر صحيحه، برواية الشعبي عن فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها- الحديث العظيم الطويل.

وهذا الحديث فيه نصائح ﴿ الدين النصيحة ﴾ حصر الدين في النصيحة، فدل على عظم أمر النصيحة، فإذا كانت النصيحة هي الدين والدين هو النصيحة، معنى ذلك أن النصيحة هي الدين

كله؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث جبرائيل في الصحيحين، حديث أبي هريرة، وصحيح مسلم حديث عمر بن الخطاب ﵁ لما أخبرهم عن الإسلام والإيمان والإحسان قال في

آخره: ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ﷺ جعل الدين هو هذه المراتب الثلاثة، وهنا جعل الدين هو النصيحة، فدل على أن النصيحة مشتملة على مراتب الدين الثلاثة، فيبين لك عظم أمر النصيحة.

وذلك أن النصيحة من نصحت الشيء إذا خلصته، تقول: نصحت العسل من الشمع إذا خلصته، يعني إذا خلصته من الشمع، فهي الاجتهاد في بذل النصح والصدق في ذلك فيمن تنصح له ﷺ الدين النصيحة كررها ثلاثا، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ﷺ والنصيحة لله ﷻ هو العمل بكتابه – سبحانه وتعالى– بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وبتعظيمه – سبحانه وتعالى– حق التعظيم بمعرفة قدره – سبحانه وتعالى– بعظيم أسمائه وصفاته، وأن يتعبد بمقتضى ما دلت عليه الأسماء والصفات، وأن يؤمن بأسمائه وصفاته وإلهيته وربوبيته – سبحانه وتعالى– على الوجه اللائق بصفاته وأسمائه بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وكذلك لله ولكتابه، والنصيحة لكتاب الله هو العمل بما دل عليه الكتاب: بتلاوته، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتلاوته على الوجه الذي فيه عمل به، والاجتهاد بتلاوته آناء الليل وآناء النهار، مع ذكره – سبحانه وتعالى–، وأعظم الذكر هو تلاوة كلامه وكتابه، النصيحة لله.

"قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله" والنصيحة للرسول –عليه الصلاة والسلام– هو اتباعه – عليه الصلاة والسلام– والاقتداء به ونصرة سنته، والدعوة إليها والذب عنها وعن حياضها، وفداؤه – عليه الصلاة والسلام– بالنفس والنفيس، هذا هو النصح لرسول الله –عليه الصلاة والسلام– وفداؤه بعد موته بأن يكون بسنته عاملا، إليها داعيا، عنها ذابا، ذابا عن عرضه –عليه الصلاة والسلام– مجتهدا في إقامة الدين.

والنصيحة لأئمة المسلمين بأن ينصح لهم، وأن يبذل النصيحة لهم بإرشادهم وتوجيههم بالنصح، يناصحهم ويدلهم على الخير، لأئمة المسلمين وعامتهم وجمع القلوب عليهم على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام–، على الكتاب والسنة، وتحذيرهم من أهل البدع والضلالات، وبيان ما يجب عليهم من إقامة الحدود والحفاظ على الحقوق، والذود عن حياض

الإسلام، وحفظ حرمات المسلمين، وحفظ حوزة الدين؛ لأن هذا من أهم المهمات، للقيام بأمر الله – سبحانه وتعالى–

وبيان أن من قام بهذا فإنه يقوم أمره في الدنيا وتكون عاقبته حسنة عند الله –سبحانه وتعالى–، بل تكون حسناته أعظم الحسنات وأجلها، لأن الحسنات من الكبار يعم نفعها لعموم الناس.

ولهذا كان بذل النصح لهم هو الاجتهاد في بيان الخير لهم وحثهم عليه، وتحذيرهم من الشر، وإذا أراد الله بخليفة أو إمام أو والٍ خيرا جعل الله له وزير صدق ينصح له ويدله ويرشده، وإذا أريد به سوء جعل له وزير سوء يزين له الباطل ويحسنه له، ولهذا وجب على كل ناصح أن ينصح لله – سبحانه وتعالى– ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والحرص أن يكون بطانة خير لكل مسلم وقربى وجار وصديق وصاحب، ومصاحب في السفر، يكون بطانة خير، وهذا إذا وجد كانوا ممن أريد به خير، كل بحسب ولايته.

وما من والٍ إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتدله عليه، ومن وقي السوء فقد وقي، ومن وقاه الله ﷻ من بطانة السوء فقد وقاه الله – سبحانه وتعالى– وفي لفظ من ﷺ عصم فهو المعصوم ﷺ فهذا من أعظم النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ومن النصح لأهل الخير ولأهل العلم، وجمع القلوب عليهم وتأليفها، وعدم التنفير، وعدم التفريق، بل الواجب أن يكون ناصحا لا معيرا، وجامعا لا مفرقا، وقاصدا وجه الله لا يقصد بذلك ظهور نفسه أو غلبتها، بل يقصد الحق والصدق، ولا يبالي بأي وجه ظهر الحق معه أو مع غيره.

وهذا هو النصح الذي من سلكه كان صادقا في سره وعلنه، وموفقا ومسددا، وهذا هو الواجب على كل عالمٍ وداعٍ إلى الله – سبحانه وتعالى– ولو فاته بعض الأشياء؛ لأن همته في ظهور الدين، وظهور أمر الدين لا أن يظهر هو أو أن تظهر حجته لا، أن يقصد بذلك وجهه – سبحانه وتعالى– ولهذا كثيرٌ ما يكون بين أهل العلم، أو بين الدعاة إلى الله شيء من هذا.

وقد نبه العلامة ابن رجب –رحمه الله– في رسالة له رسالة حسنة قيمة أوصي بقراءتها وتكرارها، وهي رسالة مختصرة لكنها مهمة فيها من الآثار والأدلة والكلام الحسن المتين الشيء الكثير، رسالة مختصرة جدا لا تجاوز عشر صفحات أو أكثر أو أقل، وهي الفرق بين النصيحة والتعيير، رسالة الفرق بين النصيحة والتعيير، ومما ذكر: أنه ربما أنكر منكرٌ قولا من الأقوال لبعض أهل العلم، ويكون

هذا الذي قال القول يكون به مخالفا لغيره، ولهذا قال: ربما أن يكون قصده أن يظهر قوله وأن يبرز قوله

بذلك، وهذا هو باطنه في نفسه، وقصده في داخلة نفسه، ولم يقصد النصح لله ولرسوله، فيكون أساء لغيره، وأساء إلى أهل العلم.

وقد يكون المتكلم ناصحا وقاصدا الخير وإن خالف غيره، وأيضا يكون المتكلم في الأمور لا يبالي أن يظهر الحق على لسانه أو على لسان غيره، ولهذا لما سئل حاتم الأصم قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح وما خاصمك أحدٌ إلا قطعته، كيف يكون هذا؟ قال: إني أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عنه أن أقول فيه سوء، فلما بلغ الإمام أحمد –رحمه الله– قال ما أعقله من رجل. وهذا أيضا روي عن الشافعي –رحمه الله– وغيره.

والمفروض أن المسلم ينصح ويعتاد النصح، والنصيحة كما تقدم عليها الدين كله كما في هذا الخبر. نعم.

فضل تقوى الله وحسن الخلق

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق﴾ أخرجه الترمذي وصححه الحاكم.

الحديث كما ذكر أنه أخرجه الترمذي وصححه الحاكم، وهو من طريق زيد بن عبد الرحمن الأودي، وفيه بعض اللين يزيد بن عبد الرحمن الأودي، وأيضا في الخبر تمامه عند الترمذي، ﴿وأكثر ما يدخل النار الفم والفرج﴾ وهذا من تمام هذا الخبر.

والخبر هذا له شواهد كثيرة في المعنى تدل عليه أن تقوى الله – سبحانه وتعالى– وحسن الخلق هي أكثر ما يدخل الجنة.

وهذا المعنى متواتر في الأخبار، وتقدم الإشارة إلى شيء منه تقدم معنا شيء من الأخبار في هذا، وتقدم في كلام المصنف -رحمه الله- لكن هنا هو أشار إليه لأنه ذكر في هذا الباب جملة من الأخبار في الترغيب في مكارم الأخلاق وحسن الخلق، ومن أجلها وأتمها وبه يحسن عمل العبد، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- أحسن الناس خلقا، وقد تواترت بذلك الأخبار عنه -عليه الصلاة والسلام- كما تقدم نعم.

فضل بسط الوجه وحسن الخلق

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم بسط الوجه وحسن الخلق ﴾ أخرجه أبو يعلى وصححه الحاكم.

—

وهذا الحديث من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي هند وهو متروك، وهذا الخبر ﴿ إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ﴾ ويراجع، وأنا في ظني أنه في حديث صحيح بهذا اللفظ، يغلب على ظني أو في هذا المعنى في صحيح مسلم وفي غيره، في خبر ورد في هذا المعنى لكن لا أجزم به، وهذا الخبر بهذا اللفظ مثل ما تقدم ضعيف، لكن ما دل عليه من خبر متواتر في الأخبار من جهة أن حسن الخلق هو الذي يسع الناس.

وذلك أن الأموال لا يمكن أن يسع الناس بأمواله، ولا يمكن أحد أن يسع الناس بماله، ومن يسع الناس بالأموال: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [1] **مهما بلغت الأموال ﴿ لكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ﴾ يبسط مثل ما تقدم معنا في بسط الوجه، ﴿ وتبسمك في وجه أخيك صدقة ﴾ وفي اللفظ الآخر ﴿ وأن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه ﴾ وهذا المعنى تقدم كثيرا، في الأخبار عنه -عليه الصلاة والسلام-.**

قوله: "حسن الخلق" من باب عطف العام على الخاص، لأن بسط الوجه من حسن الخلق، لكن نص على بسط الوجه لأهميته، ولأنه ولله الحمد لا مئونة فيه بل فيه خير.

ولهذا يقولون: إن الإنسان إذا بسط وجهه فإنه يكون سببا في مصلحة تتعلق ببدنه، بخلاف الذي يعبس فإن أثرها يكون سيئا، وليس يعني على بدنه، وذلك أنه حينما يبسط وجهه وتتفتح أسارير وجهه يعود على بدنه، وعلى نفسه، بالصحة، ويعود عليه بالنشاط والقوة، بخلاف العبوس، فإن

- ١سورة النحل آية : ٩٦.

.....

ضرره على البدن يعود، ثم يعود أثره ظاهرا على إخوانه، وهذا واضح مثل ما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ ألا ترون إلى حمرة وجهه وانتفاخ أوداجه ﴾ نعم.

المؤمن مرآة المؤمن

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ المؤمن مرآة المؤمن ﴾ أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

—

وهو لا بأس بإسناده حسن من طريق كثير بن زيد عن طريق الوليد بن رباح من رواية أبي هريرة عنه عن أبي هريرة الأخبار التي قبله عن أبي هريرة ﷺ ﴿ المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه ﴾ هذا تمام الحديث.

وهذا واضح "المؤمن مرآة المؤمن" كالمرآة التي ينظر فيها الإنسان يصلح فيها من شأنه في مظهره وثيابه، فالمرآة الحسية لظاهر خلقه، وما يصلح من ملبسه وبدنه، والمؤمن مرآة باطنة لك فإنك تبصر به، تبصر به أخلاقك، وتبصر به أعمالك، وتبصر بأخيك ما يكون من عيوب، وهذا أمر مشاهد، الإنسان لا يرى من نفسه كثيرا من الأخلاق، وكثيرا من الأعمال فيكون أخوه يهدي إليه.

ولهذا كما في الأثر عن الصحابة رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي، يهدي إليه عيوبه ويدله عليها، وهذا من النصح، لكن ينصحه بينه وبينه، ويتحرى الوقت المناسب والعبارات المناسبة، وهذا يختلف بحسب الأشخاص والأحوال، ﴿ ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله ﴾ نعم.

فضل مخالطة الناس والصبر على أذاهم

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ﴿ المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ﴾ أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن، وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسم الصحابي.

وعند الترمذي الصحابي مبهم، وطريق الترمذي أصح من طريق ابن ماجه، طريق الترمذي –رحمه الله– رواه من طريق شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ﴾ .

وقد رواه عن الأعمش شعبة، وشعبة يقول: "كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، – ومن الثالث؟ من؟– قتادة." الأعمش.. من هم.. الأعمش إيش اسمه؟ سليمان بن مهران، متى توفي؟ مائة وكم؟ ١٤٧ هـ. نعم، وأبو إسحاق السبيعي من هو إيش اسمه أبا إسحاق السبيعي ده نعم إيش اسمه؟ ارفع الصوت، عمرو بن عبد الله السبيعي. وقتادة بن دعامة السدوسي –رحمه الله– حافظ عظيم جلس عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام قال: أنزفتني يا أعمى، قم؛ لا يسمع شيئا باقعا في الحفظ –رحمه الله– كما قال شعبة، يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، وأقل محفوظي الشعر –أقل ما يحفظ الشعر– وإن شئتم أن أنشدكم شهرا لا أعيد" شهرا كاملا ليلا ونهارا يواصل لا يعيد وهو أقل محفوظه –رحمه الله–.

يقول شعبة، نعم شعبة من هو؟ إيش اسمه؟ ابن الحجاج ابن الورق العتكي مولاهم أبو بسطام الواسطي توفي سنة كم مائة وستين ولَّا واحد وستين؟ سفيان الثوري مائة وستين، واحد منهم سفيان الثوري مائة وستين وهو مائة وواحد وستين، مما ينبغي للطالب أن يعتني بالحفاظ هؤلاء ويعرف أسماءهم وسني وفاتهم مهم لطالب العلم أن يعرف هؤلاء الأئمة الكبار، وخاصة من تقارنوا في الوفاة من الأئمة والصحابة – رضي الله عنهم– مثل يعرف: ابن مسعود مثلا، وأبا ذر وعبد الرحمن بن

. . . . . .

عوف توفوا في سنة واحدة، سنة كم؟ سنة ثنتين وثلاثين، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود سنة كم ثلاث وسبعين، تقدم عنهم ابن عباس سنة ثمانية وستين، المقصود ينبغي لطالب العلم أن هذا: الصحابة المشهورين. نعم.

شو وقفنا شعبة نعم: يقول شعبة: كفيتكم تدليس ثلاثة –شعبة رحمه الله–: يعني كان يراقبهم –رحمه الله– فإذا قالوا شيئا نظر إليهم –رحمه الله– فإذا قال حدثنا أمسك، فروايته عنهم جيدة، وكذلك عن بعض شيوخه مثل سماك، سماك بن حرب بن ثور بن أبي هبيرة النخعي تغير لكن رواية شعبة عنه جيدة نعم، وهذه الرواية أقوى من رواية ابن ماجه، رواية ابن ماجه من رواية رجل مجهول يقال عبد الواحد بن صالح، مجهول.

ولهذا لو أن المصنف –رحمه الله– لو جعل الحكم على رواية الترمذي كان أحسن، رواية الترمذي جيدة وإسنادها صحيح: ﴿ المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ﴾ وهذا الحديث فيه كلام لأهل العلم يتعلق بمعناه وأن هذا هو الأصل، الأصل هو المخالطة، والأصل هو المجالسة، والأصل هو الاجتماع، هذا هو الأصل، اجتماع أهل الإسلام واختلاطهم وتلاقيهم في المجالس والمجامع والمساجد والطرقات، هذا هو الأصل يبذلون السلام، ويحسنون الكلام، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويدلون على الخير، ويتناصحون ويزيل الأذى عن الطريق، وينفع ويأمر ويصلح بين اثنين.

فهذا هو الأصل المخالطة، ولهذا كما يقول ابن الوزير الصنعاني – رحمه الله–: "العزلة عبادة الضعفاء وصيد الشياطين" لأن الأصل عدمها، فالضعيف الذي يعتزل وكذا يكون صيدا للشياطين ما لم يحصن بعلم ويكون اعتزاله لسبب، فلهذا إذا كان اعتزاله لسبب فلا بأس.

ولهذا بين أهل العلم وبحثوا وبينوا أن العزلة تكون بأسباب مثل أن يكون هنالك فتن وهنالك أمور تعرض تقتضي العزلة ﴿ يوشك أن يكون خير –حديث أبي سعيد الخدري – مال أحدكم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن ﴾ .

حديث أبي سعيد الخدري جاء في معناه أخبار أخر حديث أبي هريرة، والأصل هو عدم العزلة، إلا إذا اقتضى الأمر ذلك مثل ما وقع لبعض الصحابة في بعض الأحوال. نعم.

من أدعية النبي اللهم كما أحسنت خَلقي فحسن خُلقي

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ اللهم كما أحسنت خَلقي فحسن خُلقي ﴾ رواه أحمد وصححه ابن حبان .

حديث ابن مسعود لا بأس به جيد، وأيضا رواه أحمد بإسناد صحيح عن عائشة: " اللهم أحسنت خَلقي فأحسن خُلقي"، وهذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يقوله ذكرا مطلقا، ليس مقيدا بحال، أما ما جاء في الرواية الأخرى التي رواها ابن السني وغيره وأبو يعلى الموصلي جاءت عن بعض الصحابة كعلي ﷺ أنه كان إذا نظر في المرآة هذا لا يصح، ضعيف أو ضعيف جدا، إنما الصواب أنه كان يقوله مطلقا -عليه الصلاة والسلام- هذا هو، ولهذا هذه قاعدة في الأذكار الأصل فيها أن تقال مطلقا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- كان أحسن الناس خَلقا وخُلقا

ولدت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

-صلوات الله وسلامه عليه- "اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي" وهذا من الأذكار المطلقة التي تقال كما جاءت عنه -عليه الصلاة والسلام- في حديث ابن مسعود وحديث عائشة. نعم.

معية الله للذاكرين

باب الذكر والدعاء

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ﴾ أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان وذكره البخاري تعليقا .

—

وهذا حديث صحيح: "أنا مع عبدي ما ذكرني" يعني مدة دوام ذكره، مدة دوام ذكره لي، يعني تكون ما هنا مصدرية ظرفية مدة دوام ذكره لي "وتحركت بي شفتاه" وإسناده صحيح وقد أخرجه البخاري-رحمه الله- معلقا مجزوما به.

والحديث ثبت معناه في الصحيحين صحيح البخاري، حديث أبي هريرة: ﴿ أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم. .. ﴾الحديث، لكن المصنف -رحمه الله- أشار بهذا اللفظ إلى قوله: "وتحركت بي شفتاه " وقوله: "أنا مع عبدي ما ذكرني".

وهذا الحديث فيه فضل الذكر، يعني أن الله معه معية خاصة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] **وهذه معية خاصة للذاكرين وهو الذي يلازم الذكر ويجتهد في ذكره - سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى " وتحركت بي شفتاه" تحركت بي يعني باسمه، وهذا واضح لا يخطر على بال إنسان يقول تحركت بذاته، والألفاظ التي ترد في كل مقام تفسر بما دلت عليه القرائن.**

- ١سورة النحل آية : ١٢٨.

.....

كذلك لفظ الجلالة إذا جاء يفسر في كل مقام بحسب ما يدل عليه المقام والقرائن، وذلك أن كل موجود كما نبه أهل العلم، له أنواع من الوجود، أربعة أنواع من الوجود: وجودي عيني، ووجود علمي، ووجود لفظي، ووجود رسمي.

كل موجود له أربعة أنواع، وجود عيني: وجوده في ذاته كوجوده – سبحانه وتعالى– باستوائه على العرش – سبحانه وتعالى– الوجود العيني. والوجود العلمي: وهو الوجود في القلب بمعنى أنه إيمانه بالله وذكره له بقلبه ويقينه به– سبحانه وتعالى– ووجود لفظي: وهو التلفظ به، بذكر اسمه سبحانه وتعالى. وجود رسمي: هو كتابته.

كذلك كل إنسان، بل كل موجود حتى الكأس وجوده في ذاته، وجوده العلمي، بأنه يعلم ذلك ومعناه في قلبه موجود، ووجود لفظي حينما يتكلم يقول هذا كأس، ووجود رسمي حينما يكتب، كذلك أيضا كل إنسان له هذه الأنواع الموجوديات الأربعة.

كذلك هو سبحانه وتعالى "تحركت بي شفتاه" يعني المراد بها الوجود اللفظي أنك تتلفظ باسمه – سبحانه وتعالى– مثل: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ [1] .

والذكر والدعاء من أجل الأعمال وأفضلها وأثنى الله– سبحانه وتعالى– في ختام الآية يقول: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥ ﴾ [2] قال – سبحانه

- ١سورة الأعلى آية : ١.

- ٢سورة الأحزاب آية : ٣٥.

.....

—

وتعالى– نداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾ [1]

وقال: ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [2] .

والآيات والأدلة في هذا كثيرة عنه –عليه الصلاة والسلام– في فضل الذكر وأنه من أجل الأعمال، قال النبي– عليه الصلاة والسلام–: سبق المفردون. قالوا: ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم، وفي لفظ قال: أتى على جمدان. قال: ما هذا؟ قال: جمدان. ثم قال: سبق المفرِّدون وقال: المفرِّدون والمُفرِدون أي: الموحدون، وفي لفظ عند الترمذي: من المفردون؟ قال المُسْتَهْتَرون في ذكر الله مستهترون، من أهتر بالشيء إذا لزمه، ومنه المستهتر، يقول: فلان مستهتر. إذا كان يلزم شيئا ويعبث به من قول أو فعل، من أهتر بالشيء إذا لزمه.

وكذلك هذا المعنى جاء في عدة أخبار عنه –عليه الصلاة والسلام– حديث أبي الدرداء رواه أحمد والترمذي، ورواه موقوفا أحمد من حديث معاذ أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ألا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله سبحانه وتعالى .

وقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: لأن أقول سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس رواه مسلم.

وقال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه مسلم.

- ١سورة الأحزاب آية : ٤١-٤٢.

- ٢سورة ق آية : ٣٩.

وقال: ﴿ من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده غفرت له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر ﴾ .

.....

وفي اللفظ الآخر قيدها صباحا ومساء، وقال من قال: ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، وحط عنه مائة خطيئة، ولم يأت أحد بأفضل مما قال إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد ﴾ .

وقال النبي –عليه الصلاة والسلام– حديث رواه مسلم من حديث جابر مثل ما رواه الترمذي من حديث جابر: ﴿ من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ﴾ إلى غير ذلك.

﴿ والباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ جاءت من عدة طرق عنه –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1] .

وقال النبي– عليه الصلاة والسلام– في حديث عبد الله بن قيس في الصحيحين لما مر في ركب يذكرون الله، قال: ﴿ ما تقول يا عبد الله؟ قال: كنت أذكر الله بيني وبين نفسي. قال قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة ﴾ إلى غير ذلك، من الأخبار الدالة على فضل الذكر وأنه من أجل الأعمال وأفضلها.

بل جاءت أخبار في هذا المعنى أنه ذكر المجاهدين وذكر المصلين، وذكر الصائمين، والمزكين وبين أن الذاكر أفضل منهم درجة، وأنه لو جاهد حتى ينكسر وحتى يختضب بدمه فإن الذاكر أفضل درجة، وهذا المراد به والله أعلم، الذاكر الذي جمع الذكر القلبي والذكر اللساني، وأضاف إليه الأعمال الصالحة من الجهاد وغيره في سبيل الله سبحانه وتعالى.

المقصود أن الذكر من أفضل الأعمال ومع ذلك بفضل الله من أيسر الأعمال، وأن العبد يذكر الله على كل حال، سواء كان طاهرا أو على غير وضوء نائما أو مستيقظا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ

- ١سورة الكهف آية : ٤٦.

. . . . . .

—

قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [1] **والمصنف–رحمه الله– ذكر هذا الخبر كما تقدم لبيان فضل الذكر وأنه من أجل الأعمال. نعم.**

- ١سورة آل عمران آية : ١٩١.

ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله ﴾ أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن .

والحديث فيه انقطاع من رواية أبي الزبير، عن طاوس، عن معاذ وهو منقطع، وأبي الزبير مدلس، لكن له شاهد عند الطبراني في الصغير والأوسط من رواية جابر، وقيل: إنه وهم، وأن مرجعه إلى معاذ ﷺ ومثل ما تقدم على طريقة بعض أهل العلم يقول: الأصل عدم الوهم، وعلى هذا يكون من باب الشواهد في هذا الباب، فيكون هذا بشاهد من باب الحسن لغيره؛ لأن ذلك الخبر رجاله رجال الصحيح.

وهذا يبين أن الذكر سببٌ في رفعة الدرجات، وسببٌ في النجاة من عذاب الله، وهذا فيه دليلٌ؛ لقول جمع من أهل العلم- والأدلة كثيرة-: أن الأعمال الصالحة تكفر الذنوب، سبب من المكفرات، وأنها تكفر، هذا جاءت به أخبار كثيرة، لكن خلاف هل هي تكون مكفرة للكبائر أو ليست مكفرة، خلاف الجمهور مع غيرهم. نعم.

ما جلس قومٌ مجلسا يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ما جلس قومٌ مجلسا يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده أخرجه مسلم .

حديث أبي هريرة هذا رواه مسلم أيضا من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة، وهو عند مسلم: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله- يدرسونه- ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وأيضا رواه مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة جميعا، واللفظ الذي قرن أبا سعيد وأبا هريرة أقرب إلى لفظ المصنف -رحمه الله- الذي ذكره هنا. وفيه أنه: ما جلس- أو ما قعد- قومٌ يذكرون الله- سبحانه وتعالى- إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة.. .

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري، أن معاوية ﷺ خرج على قوم في المسجد وهم يتدارسون ويذكرون الله ﷻ قال: ما أجلسكم؟ قالوا: نذكر الله - سبحانه وتعالى- ونحمده على نعمة الإسلام، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ يقول لهم معاوية ﷺ ثم قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك. ثم قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر في المسجد ونتذاكر نعمة الإسلام فقال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ يعني سألهم قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: فإن جبريل جاءني وأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة يباهي الملائكة بعباده سبحانه وتعالى الذين جلسوا يذكرونه- سبحانه وتعالى- ويتدارسون كتاب الله سبحانه وتعالى.

وهذا فيه فضل مجالس الذكر، ومجالس الخير ومجالس العلم، وهذا يشمل المجالس التي فيها ذكره - سبحانه وتعالى- بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن، ويشمل مجالس اللي هي مجالس العلم، وهي عند جمع من أهل العلم أن المجالس المراد بهذه مجالس العلم.

ومنهم من قال: المراد بها مجالس الذكر أن يكونوا في المسجد وهذا يسبح، وهذا يهلل، وهذا يقرأ القرآن، مثل ما يكونون مثلا في رمضان أو في غير رمضان هذا يسبح، وهذا يهلل، وهذا يقرأ القرآن.

ومنهم من قال: إنه المراد به مجالس العلم، لقوله: يتلون كتاب الله ويتدارسونه، والتدارس لا يكون إلا بالبحث مثل ما كان النبي –عليه الصلاة والسلام– يأتيه جبريل ويدارسه القرآن، والمدارسة لا تكون إلا مع السؤال والجواب، وهذا يؤيده الحديث الآخر: ﴿ أنه –عليه الصلاة والسلام– خرج على حلقتين من أصحابه فوجد قوما يذكرون الله ﷻ وقوما يتدارسون الفقه، فقال: في كل خير، وإنما بعثت معلما وجلس مع الذين يتدارسون العلم ﴾ وهذا مثل قوله: "وفي كل خير" في حديث أبي هريرة المتقدم لما قال: ﴿ المؤمن القوي خير وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ﴾ .

فهو في كل خير، لكن من كانوا يتدارسون كتاب الله بينهم فهم أفضل وأجل؛ لأن فيه نفعا متعديا وفيه تعلما لما شرع الله، والذي يتعلم يعلم نفسه، ثم بعد ذلك يدل غيره على هذه المجالس.

وأيضا في الصحيحين: ﴿ إن لله ملائكة فضلى –على الخلاف في ضبط فضلى– يدورون في الطرقات يلتمسون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله، قالوا هلموا إلى حاجتكم ﴾ اختلفوا أيضا في هذا الحديث في معناه، هل المراد به مجالس الذكر التي هي التسبيح والتهليل والتحميد وقراءة القرآن بمعنى تلاوته، أو المراد بمجالس الذكر التي هي مجالس الحلال والحرام وتدارس الفقه.

وبالجملة، إذا كان هذا في مجالس الذكر فهو في مجالس العلم من باب أولى، وكانت مجالسه– عليه الصلاة والسلام– أنه يعلمهم، وربما قرءوا القرآن، وربما قرأ عليه بعض أصحابه القرآن فبكى كما في قصة عبد الله بن مسعود معه– عليه الصلاة والسلام– وهكذا كانت مجالس أصحابه –رضي الله عنهم– المقصود أن المصنف– رحمه الله– أورده من جهة أنه أراد بذلك أن المراد به الذكر، أو أن مجالس العلم من الذكر.

. . . . . .

—

ولا شك ولهذا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [1] **يعني المراد به الخطبة وهي من العلم، وفي قوله تعالى:** ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [2] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [3] **سماها ذكر، وهي ماذا؟ هي خطبة فيها تعليم، وفيها بيان، وفيها نشر للخير، وإرشاد وتوجيه، فسماها ذكرا.**

فالعلم يسمى ذكرا بل هو من أعظم الذكر، فإذا جاء ذكر الله ﷻ في الأخبار فرأسه هو العلم الدال عليه– سبحانه وتعالى– ورأس العلم خشية الله، العلم الذي يقود إلى العمل.

وبهذا أخذت مجالس العلم وصف الذكر من الجهتين، من جهة نشر العلم، ومن جهة خشية الله – سبحانه وتعالى– ولهذا هي عند أهل العلم أفضل من مجالس، أو كثير من أهل العلم أفضل من مجالس الذكر الذي هو المراد به الذكر الخالص الذي ليس فيه مدارسة، وفي كل خير كما تقدم. نعم.

- ١سورة العنكبوت آية : ٤٥.

- ٢سورة الجمعة آية : ٩.

- ٣سورة الجمعة آية : ٩.

عقوبة ترك ذكر الله والصلاة على النبي

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ ما قعد قومٌ مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة ﴾ أخرجه الترمذي وقال: حسن .

—

والحديث هذا رواه الترمذي من طريق صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة، وهذا فيه ضعف تغير، لكن رواه أبو داود من طريقين آخرين حسنين، عن أبي هريرة، وعند الترمذي قال: ﴿ إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم ﴾ تمام الحديث، وعند أبي داود: ﴿ ما قعد قوم أو ما جلسوا مجلسا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي إلى كان عليهم ترة، وما اضطجع مضطجعٌ ولم يذكر الله إلا كان عليه ترة ﴾ .

وفي لفظ عند أحمد: ﴿ وما مشى ممشى لم يذكر الله إلا كان عليه ترة ﴾ يعني حسرة، في لفظ الآخر: ﴿ إلا قاموا عن جيفة حمار ﴾ وكلها ألفاظ صحيحة، وهذا يبين أنه يشرع للمكلف في كل مكان أن يذكر الله ﷻ لا يخلي المكان من ذكره – سبحانه وتعالى– في سيارته في بيته، في مكتبه، في محل تجارته، في أي مكان، عليه أن يذكر الله، أن يصلي على النبي عليه الصلاة والسلام.

ولهذا ذكر قال: ﴿ ما جلس قومٌ مجلسا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي إلا كان عليهم ترة، وما مشى امرؤ ممشى– يعني مشى في طريق– ولم يذكر الله ولم يصل على نبيه إلا كان عليه ترة ﴾ كذلك ما اضطجع في مكان ولم يصل ولم يذكر الله إلا كان عليه ترة، إيش معنى ترة: حسرة، بمعنى إنه يندم على ذلك، لكن لات ساعة مندم، وهيهات انتهى الأمر في ندمه لا ينفعه بعد ذلك.

وهذا يبين فضل الذكر على كل حال في ذكره– سبحانه وتعالى– والصلاة على نبيه –عليه الصلاة والسلام– وأن هذا مما يكون سببا في حصول البركة، ولهذا إذا كانوا جماعة كان الأمر أشد قاموا عن جيفة حمار، كأن أمر الجماعة أشد؛ لأنهم مع اجتماعهم كان الأولى أن يتناصحوا، ثم هم آثروا الكلام المباح، إن لم يوقعهم في أمر مكروه أو أمر محرم ولم يذكروا الله ﷻ ولهذا أمر، فإن لم

. . . . . .

يقع منه ذلك فليختم بذكره ﷻ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ﷻ تكون كالطابع.

ولهذا هذا الذكر "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" هذا ذكر عظيم يختم به المجلس، لما ثبت في الأحاديث الصحيحة عند أهل السنن، ويختم به أيضا الوضوء ما ثبت من حديث أبي سعيد الخدري عند النسائي في عمل اليوم والليلة، ويختم به أيضا الصلاة لما ثبت عند أحمد من حديث عائشة ﷺ أنه –عليه الصلاة والسلام– ما صلى صلاة إلا قال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ﷻ .

هذا يبين أن هذا الذكر من أذكار الصلاة، يعني من الأذكار التي تقال بعد الصلاة، ومن الأذكار التي تقال في ختام المجلس، ومن الأذكار التي تقال في ختام الوضوء، ذكر عظيم ﷺ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ﷻ سواء كان عمله صالحا، أو كان مجلسا مباحا يختم، فإن كان لغى، فهو كفارة، وإن كان لم يلغ كان كالطابع عليه يطبع فيعرف يوم القيامة ويبقى في كتابٍ. فلن يكسر. كما في حديث أبي سعيد الخدري حينما يقول وفي ختام الوضوء، يكون له دلالة وعلامة يعرف، يَعرف هذا الفضل.

كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أنه لما ذكر حديث النبي– عليه الصلاة والسلام– أنه كنز يدخر له يوم القيامة يجده أحوج ما يكون إليه، فالمشروع هو ذكره– سبحانه وتعالى– في جميع الأحوال وفي جميع الأماكن، وفي كل طريق، فذكره– سبحانه وتعالى– كما تقدم من أيسر الأعمال ومن أجلها. نعم.

من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له عشر مرات

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل ﴾ متفق عليه .

—

حديث أبي أيوب رضي الله عنه عزاه للمتفق عليه، وهو بهذا اللفظ ليس في المتفق عليه، إنما هو لفظ مسلم هذا عند مسلم والبخاري لم يروه بهذا اللفظ أخرجه، لكن أخرجه وساق الاختلاف فيه، فلو أنه قال: واللفظ لمسلم. محتمل أن يقال من الصحيح، مع أن الأولى الاقتصار على لفظ مسلم؛ لأنه في الحقيقة لا يمت إلى لفظ البخاري يعني بمشابهة؛ لأن فيه ذكر مرة واحدة.

وفيه ذكر اختلافا كثيرا في سنده مع أن حديث أبي أيوب هذا فيه اختلاف كثير جدا، عند أحمد ساقه من عدة طرق من طرق كثيرة من رواية أبي أيوب رواه عنه عبد الله بن يعيش، وأبو محمد الحضرمي، وأبو رهم السمعي، واختلفت ألفاظهم، وجاء عند غيرهم أيضا، وجاء من حديث أبي عياش، وجاء من حديث أبي هريرة، وجاء من حديث أبي ذر.

ومن حديث أبي هريرة أيضا لفظ آخر، أصح الأخبار في هذا الباب حديث أبي هريرة في الصحيحين أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب ﴾ عدل، العدل المشهور أن العدل بالفتح هو ما ماثل الشيء من جنسه، وعِدل بالكسر ما ماثله من غير جنسه، تقول: هذا عَدلُ هذا، أي إذا كان مثله في الوزن يعني تعادلا في الوزن مثل يعني كيلو من هنا، وكيلو من هنا، كيلو فاكهة من هنا من جنس واحد، أو صاع بر وصاع بر، وعِدلُ هذا إذا عادله من غير جنسه يعني بالقيمة، تقول: مائة ريال هذه تعادل قيمة الكتاب هذا من غير جنسه مثلا.

"وكانت له عدلُ عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ولم يأت أحدٌ بأفضل مما قال إلا رجلٌ قال مثل ما قال أو زاد" وهو قولها مائة مرة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هذا هو اللفظ، اللفظ الثاني يليه في الصحة، حديث أبي

. . . . . .

أيوب في صحيح مسلم: ﴿ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل ﴾ حسب، أربعة أنفس، ذكر أربعة أنفس مقابل قولها عشر مرات، وذكر هناك عشرة أنفس مقابل قولها مائة مرة، فتقابل كل رقبة عشر تهليلات، كل رقبة تقابل عشر تهليلات، وهنا تكون القسمة أكثر؛ لأنها أربع رقاب مقابل عشر تهليلات.

ثم أيضا زادت في الوصف، من ولد إسماعيل، وهي أنفس، فهي زادت عددا، وزادت وصفا، كمية وكيفية، لكن هذه الزيادة في حديث أبي أيوب، يعادلها زيادة في حديث أبي هريرة من جهة أخرى أنه قال: ﴿ له مائة حسنة، وحطت عنه مائة سيئة، قال ولم يأت أحدٌ بأفضل مما قال إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد ﴾ فيحصل جبر النقص الذي في الرقاب، وفي عددها وفي وصفها من جهة الزيادة في عدد الحسنات.

أيضا كما تقدم جاء حديث أبي أيوب عند أحمد أنه من قالها عشر مرات إذا أصبح وإذا أمسى تقييدها إذا أصبح وإذا أمسى، ثم اختلف هل له عشر رقاب، أو له أربع رقاب، أو له رقبة، حديث أبي أيوب، جاء: ﴿ من قالها عشر مرات له أربع رقاب ﴾ وجاء: ﴿ له عشر رقاب ﴾ وجاء ﴿ له رقبة ﴾ ثلاثة ألفاظ، لكن ذكر الرقبة شاذ، وكذلك ذكر عشر الرقاب، والأظهر أن له أربع رقاب، وأنها شاذة تلك الرواية، وأنه الموافق لما في صحيح مسلم هو الأرجح، وجاء كما تقدم تقييدها بالصباح، أنه يقولها صباحا عشرا ومساء عشرا من حديث أبي عياش، ومن حديث أبي هريرة، وهذا محتمل هل هو ثابت أو لم يثبت.

ويقال: إن الثابت هو الذي جاء في صحيح مسلم، وما سواه وهم تقييده محتمل، لكن يتأيد التقييد بما رواه الترمذي وغيره من حديث أبي ذر أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ من قال بعد صلاة الفجر– في لفظ وهو ثان رجله ﴾ واللفظ هذه اللي ذكر فيها ثني الرجل شاذة ما تثبت فيما يظهر، ولو ثبتت فالمراد به أنه لا يخرج من المسجد أو أنه في مكانه، مع أنها اضطرب فيها شهر بن حوشب، شهر بن حوشب روى هذا الخبر وهو فيه ضعف وإن كان هو من حيث الجملة حسن، لكن حيث لا يخالف، ويقبل منه ما وافق غيره، وفيه أنه من قالها بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الفجر،

. . . . . .

عشر بعد المغرب وعشر بعد الفجر، وجاءت أيضا من حديث أبي عياش: ﴿ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ .

وذكر الفضل الوارد في هذا الخبر، وذكر صباحا ومساءا عند أحمد وأبي داود، صباحا ومساء، فالتقييد بالصباح والمساء جاء في عدة أخبار، فعلى هذا، يظهر مع كثرة الأخبار أن التقييد جيد وثابت، وأن قوله عشر تقال على صفتين، يعني إنها تقال على صفتين، إما أن يقال أن هذا مطلق فيقيد بالأخبار الأخر التي جاءت بالصباح والمساء، أو أن يقال يقولها عشرا في سائر اليوم، ويقولها عشرا يعني عشرا مفرقة وهو في مجلس في أي وقت، ويقولها عشرا في الصباح، وإن جعله بعد الفجر كان أحسن، وفي المساء وإن جعله بعد المغرب كذلك فلا بأس به.

وحديث أبي هريرة الذي في الصحيحين: ﴿ من قالها مائة مرة ﴾ هذا اللي يظهر أنه مطلق، في جميع اليوم يقولها في جميع اليوم في الصباح وفي المساء يفرقها، مثلا عشر في أول النهار، وعشر في آخره، خمسين في أول النهار خمسين في آخره، وإن قالها مرة واحدة، كان أتم وأكمل، إذا قالها مرة واحدة كان أتم وأكمل، يعني مائة مرة: ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ .

وجاء ما هو أكثر من هذا في حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد، وكذلك عند النسائي وابن السني في عمل اليوم والليلة، وهو حديث جيد، إسناده حسن أو صحيح من حديث أبي سعيد أنه: ﴿ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائتي مرة ﴾ وفي اللفظ الآخر عند النسائي وابن السني ﴿ مائة إذا أصبح ومائة إذا أمسى ﴾ .

والأذكار هذا يأتي فيها، ومن أعلى ما ورد جاء تكرارها بأن يقول: ﴿ لا إله إلا الله مائة مرة صباحا ومساءا، الله أكبر مائة مرة صباحا ومساءا، والحمد لله مائة مرة صباحا ومساء، ولا إله إلا الله مائة مرة صباحا ومساءا ﴾ رواه الإمام أحمد –رحمه الله– وحسن بعضهم إسناده.

لكن إذا داوم المكلف المسلم على ذكرٍ ولو كان يسيرا، داوم عليه أفضل من كونه يقول شيئا كثيرا تارة، وتارة يهمله؛ لأنه كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ أحب العمل إلى الله أدومه

. . . . . .

وإن قل ﴿ يعني ما كان مداوما عليه صاحبه، وإن قل، وبالجملة الأذكار هذه متعلقة بالصباح والمساء وخاصة قوله- عليه الصلاة والسلام- تحتاج إلى تحرير، وجمع الروايات، جمع الروايات في هذا الباب.

والحافظ -رحمه الله- ذكره في الفتح ولم يعتن العناية المطلوبة، وكأن المقام يحتاج إلى بسط وتتبع الروايات والترجيح بينها والنظر فيها بجمع الطرق، وتبيين مخارج الأخبار، وبيان المحفوظ منها والشاذ من عدم المحفوظ منها، والأخبار المتفقة على معنى والمختلفة، وهي أخبار كثيرة في هذا الباب، وهكذا قد نقل أصحها حديث أبي هريرة وأبي أيوب رضي الله عنه والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أحسن الله إليكم وبارك في علمكم يقول هذا السائل: ما صحة الحديث الوارد بأن يقال بعد كل صلاة ﴿ اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ﴾ قد ذكره ابن القيم في زاد المعاد؟

نعم هذا حديث البراء، حديث البراء وهو حديث صحيح، حديث في الصحيح ﴿ قني عذابك يوم تبعث عبادك ﴾ هذا ورد بعد الصلاة، وورد عند النوم، يقال بعد الصلاة ويقال بعد النوم، ثبت في حديث حذيفة في الصحيحين أنه- عليه الصلاة والسلام- كان إذا أوى إلى فراشه قال: ﴿ باسمك اللهم أموت وأحيا وإذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ﴾ حديث حذيفة، أيضا ثبت في الصحيحين عن صحابي آخر عن أبي هريرة أو عن جابر.

وعند أحمد أنه- عليه الصلاة والسلام- ﴿ كان يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ويقول: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ﴾ ورواه النسائي أيضا بإسناد صحيح عن حفصة ﴿ أنه- عليه الصلاة والسلام- كان يضع يده اليمنى تحت خده ويقول: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ﴾ ويكررها ثلاثا، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ثلاثا، فهو من الأذكار التي تقال بعد الصلاة والأذكار التي تقال عند النوم، مثل آية الكرسي التي تقال بعد الصلاة وتقال عند النوم، وكذلك أذكار أخرى مثل التسبيح والتحميد والتكبير من الأذكار التي تقال بعد الصلاة وتقال عند النوم في الصحيحين من حديث علي. نعم.

. . . . . .

—

وهذا يسأل أحسن الله إليكم، يقول: ما حكم صلاة النافلة ولو كانت من ذوات الأسباب بعد صلاة العصر، وهل يصح المنع منها بدليل، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه؛ لأنها في وقت نهي وقد نهي عن ذلك؟

هذه المسألة معلوم الكلام فيها وفيها خلاف كثير لأهل العلم مبسوط، وبالجملة حاصل البحث في هذا هو ما ذهب إليه الشافعي– رحمه الله– خلافا للجمهور واختيار تقي الدين والعلامة ابن القيم –رحمه الله– ومن العلماء المتأخرين العلامة الكبير الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله– وغفر الله له، أيضا اختاروا هذا القول وهو صلاة وأن ذوات الأسباب تصلى في أوقات النهي هذا هو الصواب، هذا هو الصواب.

والأدلة في هذا كثيرة معلومة، لكن أشكل هذا على بعض الناس كالشوكاني وقال أرى للمتحري، أو قال يعني أنه لا يدخل الأوقات، ورأى أنه من المسائل التي ينبغي الاحتياط فيها؛ لأن ما فيه احتياط هنا إلا بالترك، وذلك أنه في مسائل الخلاف أحيانا الإنسان يحتاط إما بالفعل حينما يكون القول دائرا بين عدم الوجوب أو الوجوب، فيحتاط بالفعل احتياطا لمن أوجب، والذي يقول ليس بواجب لا ينكر عليه.

أو يكون أمرا محرما بين قولين: قول يقول يحرم ولا يجوز وقول آخر يقول إنه ليس بحرام، فإذا تركه احترازا من المحرمين كان قد عمل بالقولين.

لكن إذا كان ما يمكن العمل بأحد القولين إلا مخالفة القول الآخر، مثل الصلاة في ذوات وقت العصر، إذا صلى وقت العصر فالجمهور يقولون لا يجوز والشافعي –رحمه الله– يقول مشروع، فهو إن صلى أخذا بقول الشافعي الذي يقول يستحب+ خالف قول الجمهور الذين قالوا يكره أو يحرم.

مثل فسخ الحج إذا فسخ الحج مثلا، الجمهور من الفقهاء يقولون: يحرم، وابن القيم وجماعة وابن عباس يقولون: واجب، وأهل الحديث يقولون: مستحب، فهو إن فسخه وقع في الخلاف للجمهور الذين قالوا يحرم، وإن لم يفسخ خالف قول المحدثين ومن قال: مستحب أو واجب لكن نقول الصواب في مثل هذا النظر إلى ما دلت عليه السنة، ما دلت عليه السنة، ثم يرجح، ثم إذا خالف غيره لا ينكر،

.....

ومن هذه المسألة والصواب مثل ما تقدم أنه يشرع أن تصلى تحية المسجد وسائر ذوات الأسباب، نعم.

وهذا يسأل أحسن الله إليكم يقول: ما حكم الإفراد في ابتداء السلام أو رده بقول: السلام عليك وعليك السلام هكذا؟

لا بأس به ثبت في الصحيحين أنه –عليه الصلاة والسلام– في حديث المسيء صلاته لما قال السلام عليك قال: وعليك السلام. لا بأس، لكن لا يقول: عليكم السلام بعض الناس إذا يردون السلام قال: عليكم السلام ما يأتي بالواو، وإن كان قد أتى بالواو لكن السنة أن يقول: وعليكم السلام، أو يقول بعضهم: سلام عليكم هذا خطأ وفي إجزاءه نظر، نقول: وعليكم السلام، ولهذا يقول:

سلام الله عليك قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحم

هذا السلام كما قال تحية الموتى في زمن الجاهلية، يعني كانوا يحيون الموتى يبدءون بالتحية قبل المحيا، وإن كان السنة في أهل الإسلام لا فرق بين تحية الموتى والأحياء، السلام عليكم، السلام عليكم للجميع في حق الجميع.

وبالجملة، وإذا قال وعليكم السلام على جهة + كان أكمل وأتم خاصة إذا كان المسلم عليهم جماعة، فإنه يقول وعليكم السلام، وإن كان واحدا فلا بأس بها مثل ما تقدم في حديث أبي هريرة، نعم.

يقول هذا السائل ما هي الأرحام الواجب صلتها والمستحب صلتها مع الأدلة؟

هذا فيه خلاف الجمهور يقولون: إن الرحم هي التي يحرم نكاحه من الأخوات في جانب الذكور، والأخوال، والخالات، والأعمام والعمات والأجداد والجدات، وقبل ذلك الأب والأمهات، هذا محل اتفاق بين أهل العلم، أما من لا يحرم نكاحه، مثل أبناء الأعمام، وأبناء الخالات وأبناءهم

قالوا: إن هذا ليس مما يدخل في الصلة، هذا قولهم، لكن هذا قول مرجوح عند كثير من أهل العلم، وأن

. . . . . .

الصواب أنه عموم الصلة للأقارب لعموم الأدلة الواردة في هذا الباب دلت على هذا ولم تفرق، وما ذكروه لا دليل عليه، ولم يذكروا عليه دليلا، وأن الأدلة عامة في أنه يوصل كل رحم يكون بينه وبينه صلة أو تزاور، كما تقدم، وهذا هو الذي دلت عموم الأخبار، والتخصيص بما ذكروا لا دليل عليه، نعم.

يقول هذا أحسن الله إليكم، هل من آداب الدعاء رفع اليدين مطلقا، أم أن هناك مواطن يكره فيها أو يحرم فيها رفع اليدين؟

رفع اليدين ثبت في الصحيحين في أحاديث كثيرة جدا ثبت أنه -عليه الصلاة والسلام- رفع يديه في مواطن كثيرة، رفع يديه في الاستسقاء -عليه الصلاة والسلام- في الصحيحين، ورفع يديه يوم بدر كما هو في صحيح مسلم، ورفع يديه لما دعا لأبي بردة عبيد أبي عامر، رفع يديه -عليه الصلاة والسلام- في مواطن كثيرة، وكذلك في عدة مواطن، وهذه متواترة عنه في الأخبار هذا الرفع المطلق.

النوع الثاني: الرفع المقيد، هذا ثبت في عدة أخبار أيضا الرفع المقيد، في الاستسقاء سواء كان في صلاة أو في غير صلاة، سواء كان صلاة مستقلة مثل صلاة الاستسقاء، أو في خطبة الجمعة، أو في استسقاء بلا صلاة، مثل نستسقي بدون صلاة، كنا بالمسجد ودعونا الله ﷻ ورفعنا أيدينا، فقد استسقى النبي -عليه الصلاة والسلام- كما رواه أبو داود بسند جيد من حديث أبي اللحم أنه استسقى عند أحجار الزيت ورفع يديه -عليه الصلاة والسلام- فالاستسقاء له ثلاث صفات: تارة برفع اليدين دعاء بلا صلاة، وتارة رفع اليدين بصلاة ودعاء، هذا ثابت في الصحيحين من حديث أبي زيد وغيره، وتارة رفع اليدين في الخطبة.

والنوع الثاني من الرفع رفع اليدين في القنوت، قنوت النوازل، وهذا أيضا ثبت في حديث أنس عند أحمد وعند البيهقي وهو حديث صحيح.

الثالث من رفع اليدين: رفع اليدين في قنوت الوتر، أيضا كذلك قنوت النوازل ثبت في حديث، كذلك حديث ابن عباس أنه أمن -عليه الصلاة والسلام- وأمنوا وكان يدعو فيه، وهذه المواطن

. . . . . .

الثلاثة هي التي فيها رفع اليدين، والموطن الرابع المطلق، فيه موطن خامس مقيد سيأتي من كلام المصنف، وهو رفع اليدين بعد النوافل، هل يشرع رفع اليدين؟+.

ورد في حديثين حديث ابن عباس وحديث ابن عمر، وهما ضعيفان، لكن الحافظ وجماعة رووا أنهما من باب الحسن لغيره، لكن الحديثان فيهما ضعف، ولهذا رأى جمع من أهل العلم أنها ترفع، ومن رفع فلا ينكر عليه، نعم.

ويسأل هذا أحسن الله إليكم يقول هل روي عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– أنه قال: "رحم الله امرأ زار وخفف" أو في ما معناه؟

نعم، هذا ورد من حديث عائشة في غير اللفظ هذا أنه قال: ﴿ زر غبا تزدد حبا ﴾ هذا ورد في قصة عن عائشة – رضي الله عنها وذكره الحافظ –رحمه الله– وتكلم عليه ما أذكر حال إسناده الآن فيه كلام، نعم ما يكفي هذا، أقول هل يكفي عاد، ما يكفي هذا وإن كان لكن الأصح، لا بأس الأصح هذا، لكن ينبغي النظر في سنده وأعرف في سنده كلاما، هو من طريق عبيد بن عمير رواه عن عائشة وفيه قال: ﴿ زر غبا تزدد حبا ﴾ يراجع سنده، نعم، لكن ثبت ما يخالفه في الصحيحين، دل في الصحيحين قال البخاري –رحمه الله– باب من زار صاحبه غدوة وعشية في كتاب أظن في كتاب الأدب، ثم ورد حديث عائشة أنها قالت: قلما كان يمر نهار، إلا ويأتينا رسول الله ﷺ غدوة أو عشية يعني أول النهار وآخره، وإنه أتانا في يوم من الأيام في وقت الظهر، يقال: الحديث في قصة الهجرة، وفيه أنه كان يزور أبا بكر صباحا ومساءً –عليه الصلاة والسلام– وهذا الخبر كأن فيه إشارة في البخاري لعدم ثبوت الخبر هذا، عدم صحة هذا الخبر وارد في هذا الباب، لكن هذا محتمل.

ولا شك أن الزيارة بين الأصحاب وبين الأقارب تختلف، تارة لو أنك لا تزره إلا غبا ربما حصل قطيعة خاصة من الأقارب من الوالدين ونحوهم، وإن ثبت هذا الخبر يحمل على وجه لا يخالف الأخبار الصحيحة الدالة على مشروعية التواصل والتقارب وكثرة الزيارة، ولهذا جاء في حديث علي أيضا في زيارة المريض: ﴿ من زاره غدوة أو زاره عشية استغفر له سبعون ألف ملك ﴾ لكن هذا مثل ما تقدم يختلف، يختلف وقد إن ثبت هذا الخبر يحمل على أنه من كان لم يكن بينهم ذلك الألفة وتلك المودة

. . . . . .

—

فيزوره بقدر ذلك، أسأله –سبحانه وتعالى– لي ولكم التوفيق والسداد بمنه وكرمه آمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

قال المؤلف -رحمه الله تعالى- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر ﴾ متفق عليه.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، حديث أبي هريرة: ﴿ من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ﴾ في اللفظ الآخر في الصحيح في يوم، وفي اللفظ الآخر عند مسلم: ﴿ من قال حين يمسي وحين يصبح، سبحان الله مائة مرة، لم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد ﴾ وهذه الكلمة فضلها عظيم جاء في هذا الحديث المتفق عليه، وجاء في اللفظ الآخر كما تقدم مقيدة بالصباح والمساء عند مسلم، وجاء في صحيح مسلم أيضا من حديث أبي ذر ﴿ أنه سئل عن أفضل الكلام، قال: ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده ﴾ يعني الذي اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده، وجاء سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم كما سيأتي حديث هنا في الصحيحين:

﴿ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ وهاتان الكلمتان وهي سبحان الله وبحمده، سبحان الله يعني هذا أسبح الله تسبيحا هذا مصدر، والمصدر يدل على فعله، ولهذا سبحان الله جملة، وبحمده جملة، والواو هنا للعطف وقيل للمقارنة، يعني يسبح الله مثنيا عليه، أو قائما بحمده – سبحانه وتعالى – وقيل: سبحان الله جملة مستقلة، وبحمده يعني وأثني عليه بحمده متعلقة بمحذوف تقديره أثني، أثني عليه بحمده،

مثل أن سبحان الله مصدر يدل على صدر أصله وهو الفعل، فهذا العجز يدل على صدره، وهو أسبح الله

. . . . . .

—

تسبيحا، وبحمده أثني عليه بحمده – سبحانه وتعالى– وهو أهل الثناء والحمد ولا يحصي أحدٌ عليه ثناء هو –سبحانه وتعالى– كما أثنى على نفسه.

ولهذا كانت هذه الكلمة لها فضلها، وكما تقدم أن الله في حديث أبي ذر اصطفى هذه الكلمة أيضا لملائكته "سبحان الله وبحمده"، واختلف أيضا في قوله: مائة مرة، هل تقال في مجلس أو في مجالس، وفي اللفظ الآخر: في يوم إذا أصبح وإذا أمسى، "حين يصبح وحين يمسي مائة مرة" هل معنى مائة مرة حين يصبح، ومائة مرة حين يمسي، أو أنه مائة مرة تكون مفرقة في الصباح وفي المساء.

جاء في بعض الروايات، من حديث أم هانئ، وأيضا عن غيرها من الصحابة – رضي الله عنها أيضا حديث أم هانئ عند أحمد، وحديث آخر أيضا عند الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو ذكر سبحان الله مائة مرة صباحا ومساءً، وهذا يؤيد أنه سبحان الله وبحمده مائة مرة صباحا ومائة مرة مساءً، وإذا قالها مائة مرة وفرقها فلا بأس، وإن عدها كان أكمل، وإن كان لم يتيسر أن يعد؛ لأنه ربما قد لا يتيسر أحيانا العد، فالمهم أنه يقول والله – سبحانه وتعالى – يعلم ذلك، فإذا بلغ المائة حصل الفضل، وإذا زاد زاد أجره مثل ما تقدم في قول: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" من قالها مائة مرة – كما في حديث أبي هريرة – كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد .

وهذه الكلمات لها فضلها، وهي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مثل سبحان الله وبحمده، مثل ما تقدم أنها لها فضل مطلق، تقال في سائر اليوم مائة مرة في حديث أبي أيوب عشر مرات: من قالها عشر مرات – كما تقدم – كأنما أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل وهي تقال عقب الصلاة مثل أذكار الصلاة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وهي تقال أيضا من باب تصحيح التوحيد، من قال كلمة نابية في الشرك مثل ما قال النبي –عليه الصلاة والسلام: من حلف باللات فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق وفي اللفظ الآخر عند النسائي بسند جيد: أن النبي –عليه الصلاة والسلام–

أمر سعد بن أبي وقاص أن يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثلاث مرات هي كلمة عظيمة، مثل قول: سبحان الله وبحمده.

.....

—

وهذه الكلمة: "سبحان الله" من الأذكار التي أيضا تقال بعد الصلاة مثل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لكن تقول: سبحان الله تكررها ثلاثًا وثلاثين، أو خمسا وعشرين أو عشرا على اختلاف الروايات في هذا الباب، نعم.

فضل سبحان الله وبحمده

وعن جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ لقد قلت بعدك أربعَ كلمات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته. ﴾ أخرجه مسلم.

حديث جويرية -رضي الله عنها- في صحيح مسلم ﴿ أنه -عليه الصلاة والسلام- خرج من عندها عند صلاة الفجر، وهي في مصلاها جالسة، ثم رجع إليها بعدما ارتفع الضحى وهي جالسة، قال: ما زلت جالسة منذ خرجت من عندك؟ قالت: نعم، قال: لقد قلت بعدك أربعَ كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته ﴾ سبحان الله وبحمده، أيضا هذا فضل آخر فيها كما تقدم في الحديث الذي قبله، سبحان الله وبحمده، إما المعنى سبحت الله تسبيحا، أو أسبح الله تسبيحا متلبسا بحمده، أو سبحت الله تسبيحا وأثني عليه، وهذا أحسن حتى تجعل جملتين مستقلتين، وأنه يسبح الله ويحمده، وهذا هو الأفضل، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله وبحمده تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، ولهذا قرنهم جعلهما لحديث أبي مالك الأشعري جملتين، وهذا هو الأحسن أن تجعل سبحان الله وبحمده أن يجعل جملتين، يعني أسبح الله وأحمده، وهذا هو المشروع أن ينزِّه أولا، وأن يحمد ثانيا.

ولهذا ترى هذه الكلمات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولذا سيأتينا في حديث سمرة: ﴿ لا يضرك بأيهن بدأت ﴾ ولو بدأ قال: سبحان الله، لأن التخلية -كما يقال- قبل التحلية، فالتنزيه قبل الحمد والثناء، فأنت تنزهه - سبحانه وتعالى- عن صفات النقص، وإن كان الصحيح أن الحمد أفضل، وفي هذا أدلة كثيرة مبسوطة ذكرها أهل العلم، الحمد أفضل: ﴿ ولأفضل الدعاء الحمد لله ﴾ كما في حديث جابر عند الترمذي وغيره والحديث لا بأس به، وأفضل الذكر لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله كما تقدم إحداهما مشتملة على التنزيه وهي

سبحان الله، والأخرى على الثناء والحمد، والحمد أفضل، بمعنى أنه يثني عليه، وهي فرق بين إنسان يقول: يثني على إنسان على سبيل

. . . . . .

—

التنزيه ونفي النقائص، لكن نفي النقائص على سبيل الإجمال لا على سبيل التفصيل في حقه – سبحانه وتعالى– وبين من يثني عليه –سبحانه وتعالى–.

فالذي اشتغل في الثناء والحمد والمدح، وربك يحب المدح والحمد – سبحانه وتعالى–، كما ثبت بذلك الخبر عنه –عليه الصلاة والسلام– أفضل من التنزيه، وإن كانت هذه الكلمات كلها ذكرٌ وخيرٌ، ولهذا جاء في قوله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فيها من الفضل ما تقدم، وأنه كمن أعتق عشرة أنفس إذا قالها مائة مرة، ومن أعتق عشرة أنفس، كل نفس يعتق نفسه من النار بها: ﴿ من أعتق نفسا مسلمة أعتق الله بكل عضوٍ منه عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه ﴾ فكيف إذا أعتق رقبتين ثلاثا إلى العشر، حديث+ أبي أيوب المتقدم من ولد إسماعيل وهي رقبة نفيسة وهي أزكى وأطيب، وإن كانت أقل كما تقدم، لكنها أزكى.

ولهذا لو قالها إذا قالها مثلا في حديث أبي أيوب: ﴿ إذا قالها مائة مرة كأنما أعتق أربعين نفسا ﴾ لأن العشر لها أربعة أنفس، والعشرون لها ثمان، وهكذا والمائة لها أربعون، المائة لها أربعون نفسا، لكن المائة نقصُ الرقاب مكمل أو لحديث أبي أيوب فيه الأربع، وحديث أبي هريرة وإن كان مائة مقابلها عشر وهذه مائة يقابلها أربعون، لكن هذا مكمل بأنه يكتب له مائة درجة ويحط عنه مائة خطيئة ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد.

ثم هذه الأذكار اختلف العلماء فيها هل هي تحصل لكل أحد، أو يختلف من شخص إلى شخص؟

ذهب كثيرٌ من الشراح كالقرطبي وعياض وجماعة، إلى أن هذا لا يحصل إلا لمن حقق الذكر القلبي واستحضر هذا الذكر استحضارا تاما فيحصل له الفضل، ولهذا: ﴿ قال النبي –عليه الصلاة والسلام– في حديث علي لما أمره أن يقول: اللهم اهدني وسددني قال: واذكر أو تذكر بالهداية هداية الطريق وبالسداد سداد السهم ﴾ أمره أن يستحضر حال الهداية الحسية عند طلب الهداية المعنوية، وكذلك أمره أن يستحضر السداد الحسي حال طلب المعونة بالسداد المعنوي، هذا يبين أن الذكر حينما يكون مستحضرا فيه المعاني الصحيحة، يكون مضاعفا وأجره أتم.

وقد يرجح هذا أن بعض الأذكار هذه وردت في أحاديث أخر، وجاء فضلها بغير الفضل الذي ورد في مقام آخر، وفضل الله –سبحانه وتعالى– واسع، ولا حد له والله أكثر لما قالوا: نكثر قال النبي

.....

—

-عليه الصلاة والسلام-: الله أكثر، ولهذا في هذا الخبر قال: ﴿ لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت لوزنتهم سبحان الله وبحمده - هذه الكلمة - عدد خلقه - هو من يحصيهم سبحانه وتعالى من بني آدم وغيرهم -ورضاء نفسه- ﴾ سبحانه وتعالى رضاء من يحصيه سبحانه وتعالى لا يحصيه إلا هو - رضاه عن أنبياءه لا حد له، رضائه عن أوليائه، رضاه عمن يرضى من عباده، ورضاه هو غاية نعيم أهل الجنة، ولهذا لما قالوا: أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، قال: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، أحل عليكم رضواني فلا أغضب عليكم أبدا. الله أكبر.

فرضاه - سبحانه وتعالى- هو غاية النعيم، ولهذا يحصل به من النعيم العظيم في الجنة من رؤيته - سبحانه وتعالى، وكذلك ما ينعم به عليهم من النعم المتوالية المتتالية.

﴿ عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ﴾ عرشه سبحانه وتعالى الذي السماوات والأرضون بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، ونسبة الكرسي إلى العرش، كنسبة تلك الحلقة إلى تلك الفلاة، والحديث وإن كان فيه كلام، لكنه جاء من طرق، والشاهد عظمة كرسيه سبحانه وتعالى، وأعظم من ذلك العرش.

﴿ وزنة عرشه، ومداد كلمات ﴾ وهذا إشارة إلى أنه لا حد لها، وهذا الفضل يتفضله سبحانه وتعالى به على عبده إذا ذكر الله ﷻ وهذا يبين أنه يشرع للعبد أن يقول: الجوامع من الدعاء كما في حديث ابن مسعود: أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب الجوامع منه، أنه عليه الصلاة والسلام في حديث عائشة: ﴿ يحب الجوامع من الدعاء كان إذا استغفر استغفر ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا ﴾ كما في حديث عبد الله بن مسعود، والجوامع: الكلمات الجامعة، هذا ورد في عدة أخبار عنه عليه الصلاة والسلام، نعم.

الباقيات الصالحات

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ أخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم.

حديث أبي سعيد من رواية دراج عن أبي الهيثم، ورواية دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف، لكن جاء له شاهد من حديث أنس عند الطبراني في الأوسط، وكذلك أيضا من حديث أبي هريرة عند النسائي، وليس في ذكره لا حول ولا قوة إلا بالله، وجاء أيضا عن رجل من الصحابة عند أحمد رحمه الله، وبهذه الطرق يكون الحديث من باب + بكثرة، كما قال الحافظ: ومن كثرة الطرق يصحح يكون من باب الصحيح لغيره، وهي الباقيات الصالحات، وفسرها تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] **وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.**

وهذا ليس معنى ذلك أن الباقيات الصالحات محصورة في هذه الخمس لكنها هي رأسها، وكأنه –والله أعلم– قال: والباقيات الصالحات، وفسرت بهذا، وإن كان كل عمل صالح فهو باق صالح مثاب عليه العبد؛ لأنه قابلها بالفاني، فلهذا قال: والباقيات الصالحات، قابلها بالفاني وهو قوله: المال والبنون يفنى ويزول ولا قيمة له، إلا ما كان في الله وفي طلب رضاه سبحانه وتعالى، لما ذكر الفاني ثم ذكر بعده الباقي ناسب أن يحث النفوس وأن يدعوها إلى ما يبقى، ثم ذكر أنه هو الصالح

- ١سورة الكهف آية : ٤٦.

الذي يصلح العبد في دنياه وفي أخراه ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] .

- ١سورة الكهف آية : ٤٦.

. . . . . .

وهذا هو المأمول الحقيقي الذي يكون للعبد ويبقى، بخلاف الآمال الزائلة التي تذهب وقد لا يحصل على شيء منها، وإذا حصل فلا حظ له في شيء من ذلك إلا ما قدمه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ قالوا يا رسول الله: كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر ﴾ فبين أن الباقي هو المقدم، وأن الذي أخره ليس من ماله، ﴿ وليس له من الدنيا إلا ما لبس فأبلى، أو أكل فأمنى أو تصدق فأمضى ﴾ كما رواه مسلم عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم بمعنى أنه لبس هذه الأشياء فهي له، بمعنى أنه تمتع بها، فإن كان في طاعة الله فهي له في الدنيا والآخرة، استعان بملبسه وبمأكله ومشربه على طاعة الله، ولهذا قال: أو تصدق فأمضى.

وإن كان لغير ذلك فتارة يكون في معصية فهو عليه ويعني في الآخرة وإن كان ينتفع به في الدنيا، وإن كان في مباح فلا له ولا عليه، إلا ما كان معينا على طاعة الله سبحانه وتعالى.

وهذه الكلمات كلمات عظيمة، وهي تقال كما تقدم في دبر الصلاة، لفضلها جاءت فيها الأخبار، وجاء أنها تقال بعد الصلاة كما روى النسائي وغيره بإسناد صحيح، أنه يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وأنها من الكلمات التي تقال، وأنها أحد أنواع الأذكار التي تقال بعد الصلاة، ويقول كل واحدة خمسا وعشرين مرة، وحديث: ولا حول ولا قوة إلا بالله سيأتي في حديث أبي موسى رضي الله عنه نعم.

أحب الكلام إلى الله

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ﴾ أخرجه مسلم.

—

وهذا مثل ما تقدم: ﴿ أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ﴾ في صحيح مسلم أيضا عن أبي هريرة: ﴿ لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ﴾ هذه الكلمات العظيمة الأربع يقولها الإنسان في الدقيقة الواحدة مرات عدة سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال: ﴿ لا يضرك بأيهن بدأت ﴾ وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ لأن أقول: سبحان الله –مثل ما تقدم– والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ﴾ وإن كانت الدنيا لا تقابل بالآخرة، لكن أراد أن يبين أن الثواب الذي يحصل أعظم وما كان أعظم وما زاد فأمر لا يعلم وصفه ولا حده أحد إلا هو سبحانه وتعالى، وذلك أنها مشتملة على التوحيد وتصحيح التوحيد، من التنزيه والثناء والتكبير والتعظيم، والعبادات بنيت على هذا.

واختلف العلماء مثل ما تقدم في المفاضلة بينها، لكن العبد عليه أن يشتغل بهذه الكلمات، ويجتهد بالإكثار منها ما + لا حول ولا قوة إلا بالله، نعم.

فضل لا حول ولا قوة إلا بالله

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ متفق عليه وزاد النسائي: ﴿ ولا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ .

—

والحديث رواه أيضا جاء من حديث أبي ذر، وجاء من حديث معاذ بن جبل أيضا، وعند +وفي حديث معاذ بن جبل: ﴿ ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ﴾ وحديث، وزيادة النسائي: ﴿ ولا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ هذه من حديث أبي هريرة عند النسائي مثل ما تقدم، وكذلك حديث أبي ذر عند النسائي أيضا حديث أبي ذر عند النسائي: ﴿ ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ﴾ حديث أبي هريرة عند النسائي: ﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه ﴾ حديث معاذ: ﴿ على باب من أبواب الجنة ﴾ ولا شك أن من كان يدخل بابا من أبواب الجنة وخص بالباب فيدل على مزيد التكريم، وهو المفسر في اللفظ الآخر: وهو كنز من كنوز الجنة. عن أحمد بإسناد صحيح: ﴿ إذا قال ذلك يقول الله ﷻ أسلم عبدي واستسلم ﴾ .

لا حول ولا قوة إلا بالله، كلمة عظيمة يطرح الحول والقوة، وهذا هو غاية التذلل لله ﷻ والاستسلام، وأن العبد لا حول له في أي أمر من الأمور ولا قوة على أي شيء، لا حول له عن أي أمر ولا قوة له على أي أمر من الأمور إلا بالله ﷻ لا حول ولا قوة إلا بالله.

أما رواية البزار اللي فسرها: ﴿ لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون من الله ﴾ هي ضعيفة، ولو ثبتت فهي تفسير لبعض المراد، ولكنها أوسع وأعظم من هذا، أوسع وأعظم من هذه المعاني، فلا حول لك عن أي شيء، ولا يحول بينك وبين أي شيء إن لم يكن عون من الله سبحانه وتعالى من الفتى، كذلك لا قوة له على أمر من الأمور إلا بالله ﷻ في جميع الأمور لا قوة إلا بالله، ولهذا ترى بعض الناس، وعموم الناس يبذل الأسباب، بل قد يؤتى من القوة والجبروت والنفوذ والقوة، ويظن أنه لا يقف أحد في طريقه أسباب عظيمة، ومع ذلك يخذل، وتذهب هذه الأسباب العظيمة هباءً منثورا؛ لأنه ليس هناك عون من الله سبحانه وتعالى.

والعبد ربما بذل الأسباب، وقد يحصل له بعض المطلوب، لكن حصوله على الوجه التام لا يكون إلا ببذل الأسباب الشرعية، والحذر من الموانع، وطلب العون من الله سبحانه وتعالى، فهو يبذل الأسباب أولا بجوارحه، ويستعين بقلبه بالله ﷻ ثم بعد ذلك لا يبالي مثل ما تقدم معنا في حديث أبي هريرة: ﴿ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ﴾ في كل خير من المؤمن القوي والمؤمن الضعيف، فلهذا إذا بذل السبب الصحيح، وحذر الأسباب المحرمة، واستعان بالله ﷻ يسر الله أمره بأيسر الأسباب.

وأعظم الأسباب هي الأسباب الشرعية: ﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه سبحانه وتعالى ﴾ ولهذا كما في الحديث +الزيادة قال: ﴿ أسلم عبدي واستسلم ﴾ أسلم لله سبحانه وتعالى، وهذه+ الكلمة كلمة عظيمة فيها طرح الحول والقوة، وأن العبد ليس له من أمره شيء إلا بالله سبحانه وتعالى.

والحديث له قصة في الصحيحين: ﴿ أن النبي عليه الصلاة والسلام أدرك عبد الله بن قيس وهو يذكر الله قال: ما تقول؟ – وفي لفظ أدركهم وهم يرفعون أصواتهم بالذكر – قال: أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعونه سميع قريب ﴾ في اللفظ الآخر عند الترمذي: ﴿ بينكم وبين رواحلكم، ثم مر بي قال: مر بي قال: يا عبد الله بن قيس ماذا تقول؟ قال: كنت أذكر الله بيني وبين نفسي. قال: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قل: لا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ .

وهذه الوصية وصى بها النبي عليه الصلاة والسلام عددا من أصحابه، كما في حديث أبي ذر، وأبي هريرة، ومعاذ بن جبل لأهميتها وعظمتها، والنبي عليه الصلاة والسلام أمر معاذا قال: ﴿ إني أحبك، فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على شكرك و ذكرك وحسن عبادتك ﴾ سأل الله الإعانة يطلب العبد الإعانة على عبادة الله ﷻ أعظم التوفيق أن يوفق العبد، وأن يعان في القيام بالأسباب الشرعية، هذه أعظم الإعانة، ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم الناس أخذا بالأسباب الشرعية في هذا، وكان أكثر الناس استغفارا عليه الصلاة والسلام.

. . . . . .

—

يقول أبو هريرة، أو قال إنه هو يقول: ﴿ إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة ﴾ رواه البخاري، وعند النسائي ﴿ مائة مرة ﴾ وفي حديث +الأغر المزني عند مسلم: ﴿ إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ﴾ وعند النسائي وغيره بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – قال: ﴿ إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة، رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ﴾ في اللفظ الآخر: ﴿ التواب الغفور ﴾ ربما كان يقول هذا تارة وهذا تارة عليه الصلاة والسلام إذا كان هذا المجلس الواحد يسأل ربه سبحانه وتعالى ويستغفر ربه، فكيف فيها إذا كان خاليا بنفسه صلوات الله وسلامه عليه، نعم.

إن الدعاء هو العبادة

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ﴿ إن الدعاء هو العبادة ﴾ رواه الأربعة وصححه الترمذي، وله من حديث أنس بلفظ: ﴿ الدعاء مخ العبادة ﴾ .

حديث النعمان بن بشير حديث صحيح ورواية أنس الأخرى من رواية ابن لهيعة، من رواية ابن لهيعة، قوله: ﴿ الدعاء هو العبادة ﴾ هذا يبين أن الدعاء هو أصل العبادة مثل قوله: ﴿ الحج عرفة ﴾ يعني معظم الحج عرفة، كذلك معظم الدعاء هو العبادة، والدعاء مشروع: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [1] ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [2] قال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [3] سبحانه وتعالى.

فالدعاء هو أفضل مقامات العبد، والعبد حينما يدعو إما أن يكون سائلا، وإما أن يكون مثنيا، وكلاهما عبادة، السائل أن يقول: رب اغفر لي، رب ارحمني، والمثني أن يحمد الله يقول: سبحان الله والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا هو أشرف نوعي العبادة، ولهذا سماه عبادة، ولذا فرق بين من يكون حال شغله بالدعاء سائلا، وبين من يكون حال شغله بالدعاء مثنيا عليه سبحانه وتعالى.

وهذا ورد في الخبر، وإن كان فيه ضعف حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي ﴿ من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ﴾ من رواية عطية بن سعد بن جنادة العوفي، وهو مدلس تدليس تسوية وهو أقبح أنواع التدليس، لكن معناه صحيح لدلالة الأخبار، ولهذا تواترت

- ١سورة غافر آية : ٦٠.

- ٢سورة الأعراف آية : ٥٥.

- ٣سورة النمل آية : ٦٢.

.....

الأخبار بفضل دعاء الثناء، مثل ما تقدم معنا كل الأخبار جاءت بفضل دعاء الثناء، معنى أنه الثناء على الله سبحانه وتعالى، وهذا كثير لا يمكن اجتلابه في مجلس واحد متواتر عن النبي عليه الصلاة والسلام في الأخبار في الأدلة من الكتاب والسنة، بل الفاتحة التي هي أم القرآن بنيت على هذا، في حديث أبي هريرة+ الذي في الصحيح قال الله ﷻ

قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله مجد – ومرة قال فوض – إلي عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل جعل المسألة في آخر الفاتحة، أولها هو الثناء، أوسطها هو الخبر، آخرها هو دعاء الطلب، وهي ثلاث مراتب:

العبد إما أن يكون مثنيا على الله سبحانه وتعالى، وإما أن يكون مخبرا عن حاله، مثل قوله: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ومثل قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين دعوة ذي النون الذي ورد فيها الحديث الصحيح، وإما أن يكون سائلا طالبا وهي ثلاث مراتب، وبنيت الفاتحة عليها، وأفضلها أن يكون مثنيا ويليها أن يكون مخبرا عن حاله، ويليها أن يكون سائلا ويختم بعد ذلك بالتأمين، حينما يقول: آمين، وفي حديث أبي أزهر الأنماري: أنه إذا قال آمين فقد أوجب وهذه هي أصول الدعاء وأصول الطلب والثناء عليه سبحانه وتعالى، ولهذا جاء في الرواية الأخرى مخ العبادة وهي في معنى رواية الدعاء، ولكن الرواية الأولى أكمل من جهة المعنى، وأصح من جهة الرواية كما تقدم، نعم.

ليس شيء أكرم على الله من الدعاء

وله من حديث أبي هريرة رفعه: ﴿ ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ﴾ وصححه ابن حبان والحاكم.

—

حديث وله، يعني من حديث مثل ما تقدم من رواية الترمذي يعني تقدم ذكر الترمذي وصححه الترمذي كله يعود على الترمذي وله من حديث أنس يعني الترمذي، وله من حديث أبو هريرة يعني من حديث عند الترمذي ﴿ ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ﴾ وهذا من رواية عمران بن داوة بن القطان، وهو فيه ضعف، لكن يغني عنه رواية: ﴿ الدعاء هو العبادة ﴾ وهو سؤاله سبحانه وتعالى أو الثناء عليه وسؤاله وطلبه؛ لأنه يكون غاية التذلل، وكما تقدم، الدعاء يشمل هذا وهذا، والصلاة بنيت على هذا، والقراءة بنيت على هذا، انظر إلى الصلاة، يكون القراءة والثناء على الله سبحانه وتعالى في حال القيام، ثم حينما تركع تثني عليه سبحانه وتعالى؛ لأن الركوع مرتبة بين السجود والقيام، ثم إذا رفعت تثني عليه سبحانه وتعالى: ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، ثم بعد ذلك تكبر، كله تكبير ثناء، ثم في حال السجود يكون طلبك الغلب الأكثر فيه الدعاء دعاء المسألة تقول سبحان ربي مع أنك تثني في السجود لكن الأكثر هو الدعاء: رب اغفر لي وارحمني، والركوع الذي يغلب فيه الثناء، لكن يشرع فيه الدعاء لكن الدعاء تابع بخلاف السجود فالأكثر فيه الثناء، أما القيام: فإنك تثني عليه سبحانه وتعالى قراءة كله قراءة.

ولهذا لما كان كلامه أرفع الكلام لا يجوز للمصلي أن يقرأ القرآن راكعا ولا ساجدا لماذا؟ والسر والله أعلم لأن الركوع والسجود حالة ذل، والعبد لا ينبغي أن يقرأ كلامه في هذه الحالة بل ينبغي أن يقرأه في أتم الأحوال؛ لأن القيام وإن كان الركوع والسجود حالة التذلل فيه أظهر من حالة القيام لكن القيام له فضله أيضا من جهة أخرى، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

.....

—

أفضل الصلاة طول القنوت وهو طول القيام، سواء كان القيام بعد تكبيرة الإحرام، أو القيام بعد الرفع من الركوع، نعم.

الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ﴾ أخرجه النسائي وغيره وصححه ابن حبان وغيره.

—

نعم، حديث أنس حديث صحيح ورواه الترمذي هنا، ورواه الترمذي أيضا كما رواه النسائي، وجاء عند الترمذي من رواية زيد بن عبد الرحيم العمي، وفيه: ﴿ أنهم قالوا: ماذا نقول؟ قال: سلوا الله العفو والعافية ﴾ هي من هذا الطريق، وهي لا تثبت، لكن ثبت عند أحمد بإسناد صحيح أيضا زيادة في هذا الحديث: فادعوا ﴿ الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فادعوا ﴾ أمر بالدعاء وسؤال الله العفو والعافية ثبت من الأخبار الصحيحة من حديث العباس، ومن حديث أبي بكر الصديق عند أحمد بإسناد صحيح: ﴿ أنه قام ﷺ وقال قام بنا النبي ﷺ عام أول، –ثم ذكر من كلامه عليه الصلاة والسلام– وقال: سلوا الله العفو والعافية، فإنه لم يعط عبدٌ شيئا بعد العافية خيرا من اليقين ﴾ .

قال لهم: سلوا الله اليقين والعافية، فيسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية، ويجتهد في الدعاء بين الأذان والإقامة، في حديث سهل بن سعد الساعدي عند أبي داود، أنه قال: ﴿ ساعتان يستجاب فيها الدعاء ﴾ وفي لفظ: ﴿ ثنتان قلما يرد فيهما الدعاء ﴾ وفي لفظ: ﴿ تفتح أبواب السماء في ساعتين – أو ساعتين تفتح فيهما أبواب السماء – عند النداء وحين يلحم بعضهم بعضا عند القتال ﴾ قيل يلحم، وقيل يُلجم، وكلاهما صحيح يلحم يعني يلتصق بعضهم ببعض من شدة القتال، كأن اللحم باللحم من شدة القتال.

وهذه الرواية من رواية موسى بن يعقوب الزمْعي أو الزَمَعي عند أبي داود لكن جاءت بإسناد جيد عند ابن حبان، وفيها وهي رواية أصح من جهة الدعاء، قال: ﴿ الدعاء عند حضور الصلاة ﴾ ﴿ والدعاء عند حضور الصف ﴾ وعند أبي داود أنه ذكر: "عند الإقامة"، لكن الأظهر رواية ابن حبان عند حضور الصلاة، وهذا هو المشروع؛ لأن عند حضور الصلاة يكون النداء بالأذان، وعند النداء بالأذان يشرع الدعاء، وقد تواترت بذلك الأخبار عند النبي عليه الصلاة والسلام حديث

. . . . . .

—

جابر: ﴿ اللهم رب هذه الدعوة التامة ﴾ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، هو وحديث جابر في صحيح البخاري حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا: ﴿ إذا سمعتم النداء فقولوا: مثل ما يقول، ثم صلوا علي، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ﴾ حديث سعد بن أبي وقاص ﴿ من سمع المؤذن يقول: أنا+ قال: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا غفر له ﴾ رواه مسلم، وأيضا حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود بإسناد جيد أنهم قالوا: ﴿ يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا يعني بالنداء قال: قل كما يقولون فإذا فرغت – يعني من الإجابة – فسل تعطه ﴾ فسل تعطه، هذا يبين أن الدعاء عند حضور الصلاة بعد النداء من مواطن الإجابة، وهذا مثل ما تقدم متكاثر الأخبار.

حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين أيضا: ﴿ إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ﴾ ومعناه في حديث عمر: ﴿ أنه كان يجيب+++ المؤذن عليه الصلاة والسلام قال في آخره – كما في صحيح مسلم – من قلبه دخل الجنة ﴾ وهذا يبين لأن إجابة النداء++ كله ثناء، وهذا يؤيد ما دل عليه هذا الخبر في حديث أنس وما دل حديث سهل بن سعد الساعدي أنه من مواطن إجابة الدعاء ومواطن إجابة الدعاء مذكورة في الأخبار لكن من أعظمها هذا الموطن وهو بين الأذان والإقامة وخاصة بعد فراغ المؤذن وإجابته، أو عند إجابة المؤذن ثم الدعاء، فإن هذا موطن من المواطن التي يتحرى فيها الدعاء، نعم.

إن الله يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا

وعن سلمان ﷺ – قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا ﴾ أخرجه الأربعة إلا النسائي وصححه الحاكم.

وعن عمر ﷺ قال: ﴿ كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ﴾ أخرجه الترمذي وله شواهد منها حديث ابن عباس عند أبي داود ومجموعه يقتضي أنه حديث حسن.

—

حديث سلمان اللي هو: ﴿ إن الله يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا ﴾ هو من طريق اختلف فيه وفي ثبوته، ورواية عمر ﷺ – فيها زيادة المسح، ورواية ابن عباس أيضا فيها زيادة المسح، والمصنف رحمه الله نظر إلى هذه الأخبار، حديث عمر وحديث ابن عباس، وقال: إنها بمجموعها كلها حسنة.

حديث سلمان ﷺ من طريق جعفر بن ميمون الأنماطي وفيه ضعف، لكن جاء من طريق آخر عند ابن حبان، ويكون بهذا لا بأس به جيدا، لكن جاء موقوفا وجاء مرفوعا، لكن الطريق المرفوع لا يخالف الموقوف، وهذا يبين أنه لا بأس برفع اليدين.

"إن الله يستحيي"، وهذا فيه صفة الاستحياء وأنه يستحيي سبحانه وتعالى وثابت في الأخبار بالكتاب والسنة، من عبده إذا رفع يديه، وفيه أنه لا بأس من رفع اليدين.

"أن يردهما صفرا" أي خائبتين، يعني صفرا ليس فيهما شيء، أما رفع اليدين +++ الأخبار متواتر عن النبي عليه الصلاة والسلام وهو الرفع المطلق سبق الإشارة إليه في بعض الأسئلة، وذكرنا بعض الأخبار أو شيئا من الأخبار الواردة في هذا الباب وأنه متواتر رفع اليدين الرفع المطلق، وثبت أنه عليه الصلاة والسلام رفع يديه في مواطن عدة، رفعهما في دعائه لعبيد الله قال: ﴿ اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ﴾ ورفع يديه عليه الصلاة والسلام.

. . . . . .

وكذلك أيضا ثبت في حديث أبي حميد في الصحيحين في قصة ابن اللتبية أنه لما جاء بالصدقة قال هذا لكم وهذا أهدي إلي، ثم ذكر الحديث بطوله، قال أبو حميد: فرفع يديه حتى رأيت عفرتي إبطيه رفع يديه، وقال: اللهم هل بلغت ورفع يديه، وثبت أيضا من حديث ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام لما أرسلهم إلى بني جذيمة، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا، قال: فأسرنا منهم فأمر خالد رضي الله عنه أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقال ابن عمر: لا يقتل أحدٌ من أصحابي أسيره، وأن خالدا رضي الله عنه تأول وظن أنهم يعني كانوا قائمين على الكفر وأصروا فتأول وأقدم على ما أقدم عليه رضي الله عنه ولما بلغ خبره النبي عليه الصلاة والسلام رفع يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد لأنه أخطأ، ولم يقل: أبرأ إليك من خالد، أبرأ مما صنع يعني من فعلته التي تأول فيها.

وكذلك في عدة أخبار من حديث جابر، ومن حديث عائشة، أن رفع اليدين، هذا متواتر الأخبار، الرفع المطلق، الرفع المطلق متواتر بالأخبار، وقلنا: إن هذا لا بأس أن يرفع الإنسان يديه في أي وقت ويسأل ربه.

ونوع من الرفع، وهو الرفع بعد السنن الرواتب هذا فيه الخلاف هل يشرع ولا ما يشرع، هذا فيه حديث فيه بعض الأخبار جاء ما يدل عليه للإطلاق، للإطلاق، وهل يشرع أن يرفع يديه؟ هذا لم يأت أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه بعد النوافل، ولم ينقل، لكن لا ينكر من جهة لو من أخذ بالعموم ورفع يديه فلا ينكر عليه؛ لأنها مسألة اجتهادية، والقاعدة: أن المسائل الاجتهادية من اختار فيها قولا وفعل غيره قولا آخر فلا ينكر عليه كما سيأتي في المسح بعد النوافل أو الرواتب، ومن الرفع الخاص في بعض المواطن مثل الرفع في الاستسقاء، هذا ثابت، وكذلك الرفع في القنوت، وقنوت النوازل وقنوت الوتر.

وكذلك من الاستسقاء الرفع كما تقدم ولو لم يكن بصلاة، فهذا كله لا بأس به، أما مسح اليدين مسح الوجه باليدين، هذا فيه حديث عمر رضي الله عنه – اللي ذكره المصنف رحمه الله – والمصنف قال: إن المجموع يقتضي أنه حسن، وحديث عمر فيه ضعف، رواية حماد بن عيسى الجهني، ورواية

. . . . . .

ابن عباس الأثرم، ورواية عبد الملك بن أيمن وهو مجهول، عن عبد الله بن يعقوب بن إسحاق وهو مجهول، وفي عمن حدث أيضا وهو مجهول، فيه ثلاث علل، في ابن عباس ضعيف.

وجاء أيضا من طريق آخر عند أبي داود أيضا بإسناد آخر وهو ضعيف، وهو مسح الوجه فورد فيه ثلاثة+ الأخبار وكلها ضعيفة، كلها ضعيفة، ومنهم من قال: إنها تكون من باب الحسن لغيره، على طريقة بعض أهل العلم، ومنهم من قال إن ضعفها شديد، وأيضا لم ينقل أنه فعلها النبي عليه الصلاة والسلام، ولو كان يفعله لكان أمرا مشروعا، ومن خالف، قال: إنه ربما ترك الشيء وإن كان مشروعا إن كان مشروعا. ومن رد قال: إنه كما أن فعله سنة، فكذلك تركه عليه الصلاة والسلام سنة، خاصة في باب العبادات.

وبالجملة هي من المسائل الاجتهادية، التي لا إنكار فيها لورود الخبر المحتمل، ولم يأت خبر ينفي عدم مسح الوجه باليدين، بعد الفراغ من الراتبة أو السنة.

فضل الصلاة على النبي

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة ﴾ أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان.

—

والحديث من رواية موسى بن يعقوب الزمعي وهو فيه ضعف، لكن الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ثبتت وتواترت بها الأخبار كما تقدم، ولهذا في حديث أبي بن كعب: ﴿ إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: "ما شئت". قال: قلت الربع الثلث النصف، حتى قال: صلاتي كلها، قال: "تكفى همك ويغفر لك ذنبك" ﴾ وهذا يدل لا شك أنه يدل حديث أبي بن كعب حديث لا بأس به من رواية الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه أبي بن كعب، وجاءت الأخبار تدل على فضل الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام كما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو، حديث أبي هريرة رواه مسلم: ﴿ من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ﴾ بل جاء ما هو أعظم من ذلك عند أحمد والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر سيئات، ورفعه عشر درجات ﴾ حديث جيد زيادة على ذكر الصلاة.

وفي حديث أبي طلحة عند أحمد والنسائي أيضا بإسناد جيد: ﴿ من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشر صلوات، ومن سلم عليك سلم الله عليه عشر مرات ﴾ فيه فضل الصلاة على النبي ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] **وورد في حديث أكثر من هذا لكنه ضعيف من حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد أنه عليه**

- ١سورة الأحزاب آية : ٥٦.

الصلاة والسلام قال: ﴿ من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها سبعين صلاة ﴾ لكنه ضعيف من رواية عبد

. . . . . .

الله بن لهيعة، والثابت في الأخبار الصحيحة، صلى الله عليه عشر صلوات، ثبت عن أربعة من الصحابة، عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وأبي طلحة، وأنس كما تقدم.

والصلاة عليه عليه الصلاة والسلام مشروعة في مواطن كثيرة، ابن القيم رحمه الله ذكر وغيره ذكر كثيرا منها في كتابه "جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام" نعم.

سيد الاستغفار

وعن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ﴾ أخرج البخاري.

—

وهذا حديث عظيم، حديث شداد بن أوس ﷺ وليس له في صحيح البخاري إلا هذا الحديث، مثل ما تقدم في تميم الداري، ليس له في صحيح مسلم إلا حديث الدين النصيحة، حديث أيضا عياض بن حمار ليس له في صحيح مسلم، إلا الحديث: ﴿ إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحدٌ على أحد ﴾ وهو مطول واختصره المصنف رحمه الله.

وهذا الحديث في حديث سيد الاستغفار أن يقول العبد: ﴿ اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ﴾ ورواه أيضا أبو داود من حديث بريدة بإسناد لا بأس به أيضا بهذا اللفظ تماما سواء بهذا اللفظ، ورواه أيضا النسائي من حديث جابر، وفيه: ﴿ تعلموا سيد الاستغفار ﴾ وهذا يبين أن السيادة تكون في الأدعية، وذلك أن السيد هو الرجل الذي جمع الخصال أو من جمع الخصال الحسنة، ويوكل إليه الأمور المهمة، ويجمع فضائل الأخلاق ومحاسن الأعمال، وكانوا في الجاهلية، إذا جمع الرجل خصالا من الكرم والشجاعة والوفاء، وما أشبه ذلك من الحسن سموه سيدا، فالسيادة في كل شيء بحسبه.

وهذا دعاء جمع أنواعا وخصالا من الخير ولهذا كان سيد الاستغفار: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك" اعتراف أول شيء توحيد، وثناء بهذا التوحيد، ثم اعتراف أو إخبار عنه، خلقتني، وأنا عبدك خبر، وأنت حينما تنظر في هذه الأدعية تراها تأتي كثيرا على الثناء عليه سبحانه

. . . . . .

—

وتعالى ثم الخبر عن العبد، وهذا هو أحسن ما يكون أن يثني العبد على ربه سبحانه وتعال،ى ثم يخبر بحال ضعفه "خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك" لكن مع ذلك لضعفي ما استطعت.

ثم قال: "أبوء لك – أعترف – بنعمتك علي، وأبوء بذنبي" أعترف بذنبي وتقصيري، نعمك كثيرة متواترة على عبدك الضعيف لكنه مقيم على المعاصي وهو معترف، والاعتراف من العبد دلالة خير، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ﷺ يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفري فإن العبد إذا اعترف بالذنب تاب الله عليه ﷺ أو إذا أذنب فتاب تاب الله عليه، يقوله النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة في الحديث الطويل في قصة الإفك.

"أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي – ثم قال: – فاغفر لي" سؤال طلب دعاء طلب، ثم عرف الحق لله ﷻ "إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" يأيأيضا خبر عاد إلى الثناء والخبر إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي، دعاء مسألة، أو حينما يسأل ربه يغفر له: "إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" كما في حديث أبي بكر في الصحيحين + ﷺ أوصاه النبي عليه الصلاة والسلام: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ﷺ وفي اللفظ الآخر عند مسلم: كبيرا. ثم قال: "وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" كما في هذا الحديث "فاغفر لي" كما في هذا الحديث "فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" شوف، فاغفر لي مغفرة من عندك المغفرة من عنده سبحانه وتعالى لكن مغفرة لا يقتضيها عمل، وليس مني سبب إنما هو محض فضل منه سبحانه وتعالى، ولهذا إذا كان المغفرة محض فضل من الله ﷻ ما أعظمها وما أوسعها لأن عمل العبد مهما كان، كما في الصحيحين: ﷺ لن يدخل أحد منكم الجنة عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﷺ .

المسألة إلى رحمته ومغفرته سبحانه وتعالى، ولهذا سأل في حديث أبي بكر: "فاغفر لي" يعني رحمة تبتدئ بها أنت وتمن بها لا يقتضيها عمل، وإن كان الله ﷻ لا يظلم عبدا عملا عمله بل يعطيه موفرا بل يضاعفه سبحانه وتعالى، لكن للعبد عليه أن يكون معترفا بظلمه وتقصيره، ويعلم أن عمله مهما كان لا يقوم بشكر نعمه سبحانه وتعالى فضلا عن تكفير سيئاته، فهو دائر بين أمور تحتويه

من نفس أمارة بالسوء والهوى والشيطان والضعف، فليس له إلا عتبة الاعتراف، والتقصير وأنه مقصر أي

.....

معفر "الظالم لنفسه" المسيء، ولهذا في نفس الحديث وهي زيادة لو أن المصنف ذكرها لكان أحسن: ﴿ وأنه إذا قالها العبد حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة وإن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة ﴾ وجاءت في حديث بريدة أيضا، وهذا يبين أنه يقال من أذكار الصباح والمساء هذا الذكر، نعم.

من أذكار الصباح والمساء

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ﴿ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي ﴾ أخرجه النسائي وابن ماجه وصححه الحاكم.

—

حديث ابن عمر رواه أبو داود بإسناد صحيح، وفي هذا الحديث أن من أذكار الصباح والمساء أيضا، "اللهم إني أسألك العافية"، في اللفظ الآخر وهو الصحيح: ﴿ اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي – يعني من أمامي – ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي ﴾ وهذا فيه ذكر جميع الجهات الست من أمام، ومن خلف، وعن يمين وعن شمال، ومن فوق ومن تحت.

﴿ اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي ﴾ في حديث ابن عباس المتقدم: ﴿ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ﴾ الحديث، والشاهد فيه أن قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله ﷻ يحفظك حفظا عاما، ولذا قال: ﴿ اللهم إني أسألك العافية ﴾ وفي اللفظ الآخر: العفو والعافية، قيل: إنه تأكيد، وقيل: إنهما معنيان، فيعافيه العفو والعافية، بأن يعافيه من الناس ويعافي الناس منه فلا يحصل منه شرٌ ولا يصله شر، وأعظم العافية العافية في الدين كما تقدم في حديث أبي بكر الصديق: ﴿ سلوا الله اليقين والعافية فإنه لم يعط عبدٌ بعد العافية خيرا من اليقين ﴾ وأعظم العافية العافية في ديني، ولهذا حديث عمر رضي الله عنه عند الحاكم وجاء من طرق أخرى: ﴿ اللهم احفظني بالإسلام قائما، وبالإسلام قاعدا، وبالإسلام راقدا، ولا

تشمت بي عدوا ولا حاسدا ﴾ وهذا هو أعظم الحفظ حينما يحفظه في دينه، ولهذا: ﴿ من أصبح وكانت الآخرة همه جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه،

. . . . . .

وأتته الدنيا وهي راغمة ﴿ أن تكون الآخرة همه بمعنى أن يجتهد في حفظ دينه، وأن يسأل الله العفو والعافية.

ثم ذكر بعدما صرح في ديني صرح في ديني ودنياي، وأعظم العافية وأعظم الحفظ هو في الدين، هو رأس مالك الحقيقي، فإذا حفظ لا تبالي بعد ذلك ماذا حدث، لا تبالي.

"في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" أسأله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه أن يحفظني وإياكم في ديننا وفي أموالنا وفي أهلينا وفي أولادنا، أسأله سبحانه وتعالى أن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمته أن نغتال من تحتنا، نسأله سبحانه وتعالى اليقين والعافية والعفو والعافية في الدنيا والآخرة، نسأله ذلك بمنه وكرمه آمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

أحسن الله إليكم وبارك في علمكم ونفع بكم الإسلام والمسلمين، هذا سائل يسأل أحسن الله إليكم يقول: ما صحة الحديث الوارد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ﴿ ما أدري أتبعٌ نبي أم لا وما أدري أذو القرنين نبي أم لا؟ ﴾

سنده جيد لا بأس به رواه عبد الرزاق وغيره، وذكره ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية في بعضها قال: ما أدري أهو لعين أم لا؟ في بعض الأسانيد الصحيحة، ويقال+ بعضهم إنها عند عبد الرزاق رحمه الله، وذكرها ابن كثير رحمه الله، نعم.

وهذا سائل يسأل أحسن الله إليكم يقول: هل يشترط استحضار فضل الذكر ليكتب أجره للذاكر؟

مثل ما تقدم فيه خلاف، والأظهر والله أعلم أنه يؤخذ بعموم الأخبار: ويرجو العبد ما عند الله، يرجو ما عند الله، والله سبحانه وتعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، فمن دعا الله عز وجل يظن أن الله يجيبه، ويظن أن الله يثيبه، ويظن أن الله يقبل منه، فالله عند ظن عبده به، وقال: ﴿ حسن الظن من حسن العبادة ﴾ كما هو في الحديث هو حديث جيد، وكذلك في حديث عن أحمد: ﴿ إن

ظني بي خيرا فله في الرواية الصحيحة، خيرا نكرة تشمل كل خير ظن بي خيرا تشمل كل خير، ولهذا قال:

. . . . . .

فإن ظن بي شرا فله، فيرجى للعبد حينما يدعو الله ويرجو الخير أن يحصل له الخير بمنه وكرمه سبحانه وتعالى نعم.

يقول هذا السائل أحسن الله إليكم يقول: إذا زاد الإنسان من سبحان الله وبحمده زاد أجره، فلماذا حدد النبي ﷺ بمائة؟

لأن الأذكار أنت تراها مضبوطة بأعداد، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى أنه لم يأمر بالذكر الدائم المستمر، لو جاء الذكر في الأخبار من ذكر الله كذا وكذا فله..، بدون عدد قد النفوس تضعف حينما لا يحد لها عدد، لكن حينما تعلق الأذكار بأعداد معينة فالنفس تجتهد في إحصاء هذا العدد، وإذا أحصى هذا العدد يرجو أن يحصل له الفضل، لأنه أخبر النبي والصادق المصدوق أن له هذا الفضل بهذا العدد، فيجتهد في تحصيل العدد.

أما أنه لو جاء مطلقا بلا حد ولا عدد لا يدري هل يحصل أو لا يحصل، ثم ربما يمل ويكل ويضعف حينما يؤمر بالذكر الدائم المستمر فهو يقول: أنا حينما أعلم أن ذكر الله سبحانه وتعالى مائة مرة، عشر مرات، وكذلك بعد الصلوات بالأعداد المشروعة، وعند النوم بالأعداد المشروعة والأذكار العارضة اللي فيها سبع، والتي فيها ثلاث، والتي فيها مرة، ويعلم، ويذكر الله ﷻ بما دلت عليه هذه الأخبار، ويرجو ما عند الله لأنه أتى بالعدد فهذا يدعو النفس إلى النشاط، ثم النفس حينما يصبح كل يوم، ويمسي ويقول هذا الذكر بالعدد المطلوب يرجو ما عند الله، ثم يمسي فيحمد الله ﷻ أنه حصل له هذا الذكر وهذا الخير بهذا العدد، فيأتي اليوم الثاني هكذا.

لو جاءت الأذكار هكذا مطلقة لحصل ربما ضعف، كما يحصل أيضا مثل ما تقدم كما أن الصلوات والسنن والنوافل جاءت محددة، مثل في بعضها من صلى قبل العصر أربعا... رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا حديث ابن عمر، وحديث أم حبيبة: من صلى قبل الظهر أربعا وبعده أربعا حرمه الله على النار من صلى في يوم ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة وأحاديث أخرى في هذا الباب كثيرة، فهذا مما يدعو النفس إلى النشاط والعمل ثم بعد ذلك من كانت همته أعظم فمن زاد زاده الله خيرا، نعم.

. . . . . .

—

وهذا سائل يسأل أحسن الله إليكم عن صحة الحديث الوارد: ﴿ امرؤ القيس حامل لواء الشعراء إلى النار يوم القيامة ﴾ ؟

لا، ضعيف هذا رواه أحمد وإسناده ضعيف، رواه الإمام أحمد رحمه الله قال: ﴿ امرؤ القيس قائد لواء الشعراء إلى النار ﴾ والحديث لا يصح رواه الإمام أحمد في مسنده رحمه الله بإسناد ضعيف.

وهذا سائل يسأل أحسن الله إليكم: هل يجوز استخدام المسبحة في الحفاظ على العدد وحتى لا يشك؟

هذا الأولى تركه، وجاء عن أبي هريرة بإسناد ضعيف عند أبي داود عن رجل من بني طفاوة، أنه كان يعد ﷺ وكان يعد ألف تسبيحة بألف حصاة، وجاء من حديث أسيرة بن ياسر أنه عليه الصلاة والسلام – قال: ﴿ اعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات ﴾ وروى أبو داود بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو ﴿ أنه عليه الصلاة والسلام كان يعقد التسبيح بيمينه ﴾ وجاءت الأخبار الأخر تدل على العد بثلاث وثلاثين أو خمسٍ وعشرين، وهذا يكون بالعد ولا يكون العد إلا يكون بالأصابع مثل ما تقدم له، وهذا أفضل، هذا أفضل وهذا أتم وأكمل، وهو المنقول، ولم ينقل أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعد بالمسبحة أو بالحصى نعم.

وهذا سائل يسأل أحسن الله إليكم: يقول ما هو الوارد في تفسير الباقيات الصالحات؟

نعم التسبيح باليمين أفضل لو سبح باليسار لا بأس لكن رواية باليمين هذه رواها زادها زائدة، زائدة ابن قدامة رحمه الله – عند أبي داود، وبعضهم قال إنها زائدة تفرد بهذا عن ما يقارب ثلاثة عشرة راويا قالوا: انفرد، ومنهم من ضعفه، والأظهر أنه ما زاده زائدة جيد لأنه ثقة رحمه الله، زائدة رحمه الله ثقة، فلهذا يعقد بيمينه أفضل وأتم.

ثم النبي في حديث عائشة في الصحيحين كان يعجبه التيمن، في تنعله وطهوره وفي شأنه كله، في حديث حفصة وحديث عائشة، عند أبي داود بإسناد صحيح: ﴿ كانت يمين رسول الله ﷺ لطهوره وما كان نحو ذلك، ويساره للخلاء وما كان نحو ذلك ﴾ فيبين أن أولى ما يكون أن تكون للذكر، عموم الأدلة يدل على أنه مشروع ولو قيل بعدم ثبوت حديث عبد الله بن عمرو.

وهذا سائل يسأل أحسن الله إليكم يقول: ما هو الوارد في تفسير الباقيات الصالحات؟

. . . . . .

فيها قولان، فيها قولان مشهوران، الأشهر أن الباقيات الصالحات هي هذه الكلمات.

والقول الثاني: الباقيات الصالحات جميع الأعمال الصالحة.

وهما قولان، والصحيح أنه ولا تنافي بينهما ولهذا يقولون: إن الصحابي يفسر ببعض المعنى وهذا من باب اختلاف التنوع، اختلاف التنوع في باب التفسير نعم.

وسائل أحسن الله إليكم يقول: ما صحة الحديث الوارد "ويخلق من الشبه أربعين"؟

ما أعرف هذا ما أدري عنه، اللي يظهر أنا ما اطلعت له على سند، لكن يتبين لي عدم صحته، وأنه لا أصل له، لكن لعل السائل يبحث أين هو من ذكره، يراجع كنز العمال، يراجع احتمال المطالب العالية احتمال، لكن اللي يغلب على ظني عدم ثبوته، إن لم يكن لا أصل له، لكن ينبغي يستفرغ الأمر بالبحث، نعم.

وهذا سائل يسأل أحسن الله إليكم يقول: هل يجوز العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال كبعض الأذكار إذا كانت ضعيفة أو منقطعة؟

نعم، يجوز العمل بشروط ثلاثة: أن لا يكون الضعف شديدا، وأن يدخل تحت أصل عام، وأن العامل يرجو بذاك العمل ذاك الثواب، وإن كان لا يجزم أن النبي عليه الصلاة والسلام قاله، يعني لا يجزم أن النبي قاله، لكن يرجو ويؤمل الثواب الوارد في الأخبار في هذه الأحاديث.

وحكى الاتفاق على هذا جمع من أهل العلم إذا توفرت هذه الأخبار الصحيحة، ولهذا جاء في حديث أبي أسيد أنه رواه أحمد بإسناد على شرط مسلم: ﴿ إذا جاءكم الحديث عني تعرفه أبشاركم وتلين له قلوبكم وجلودكم وترون أنكم منه قريب، فأنا أقربكم إليه، وإذا سمعتم الحديث تنفر منه أشعاركم وقلوبكم وجلودكم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه ﴾ حديث جوده وظاهر إسناده أنه جيد، واستدل به في هذا المقام من جهة أن قرب المعنى...، لا شك أنه إذا كان داخلا تحت أصلٍ فهو قريب المعنى، أما حديث: ﴿ من بلغه عني فضل فعمل به فأنا قلته ﴾ أو نحو هذا في اللفظ الآخر، فحديث لا يصح، حديثٌ لا يصح ولا يثبت، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

من أعظم الدعوات اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

قال الحافظ -رحمه الله تعالى-: وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ﴿ اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك ﴾ أخرجه مسلم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

هذا الحديث رواه مسلم كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى، وهو حديث عظيم اشتمل على هذه الجمل الأربع: اللهم إني يعني يا الله، والميم عوض عن يا النداء في قوله: يا الله. ﴿ اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك – والفجاءة وفجأة – وجميع سخطك ﴾ .

وأعظم النعم نعمة الإسلام، وهذا يشمل جميع النعم التي ينعم الله بها على العبد، فيسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيده منها، وأن يمده منها قال الله ﷻ ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [1] والشكر للنعم يزيدها، وأعظم النعم نعمة الإسلام، أعظم النعم نعمة الإسلام، ولهذا يشرع للعبد أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبته عليه، وأن يزيده منه، بأن يحمد الله سبحانه وتعالى على ذلك، وأن يشكره وأن يثني عليه سبحانه وتعالى.

وهذا ورد في الأخبار عنه عليه الصلاة والسلام في سؤال الله سبحانه وتعالى المزيد من نعمه: ﴿ اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك – أن تتحول من حال إلى حال – وفجاءة

- ١سورة إبراهيم آية : ٧.

نقمتك فجأة النقمة أو فجاءة النقمة من بلاء أو مصيبة يأتي على فجأة بخلاف ما إذا سبقه شيء

بأن لم يكن فجأة فإنه يكون أخف، وربما كان سببا في توبة العبد ورجوعه، والفجأة أو فجاءة النقمة كل ما يكون نقمة، ومنه عند بعض أهل العلم "موت الفجأة" فقالوا: إنهم كانوا يكره كثير من السلف الفجأة فيه، منهم من لم يكرهه ولم يجعله نقمة.

وجاء في الحديث حديث عبيد بن خالد السلمي عند أحمد وأبي داود أنه عليه الصلاة والسلام قال: "موت الفجأة أخذة أسف" أسف معناها غضب، وزنا ومعنى، وجاء عند أحمد من حديث عائشة أنه سألته عنه رضي الله عنها سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن موت الفجأة قال: ﴿ راحة للمؤمن وأخذة أسف للفاجر ﴾ والحديث ضعيف، حديث عبيد بن خالد الذي تقدم أيضا فيه ضعف لكنه أقوى.

وعند أحمد أنه عليه الصلاة والسلام: ﴿ مر بجدار مائل فأسرع، فقيل له في ذلك فقال: أخشى موت الفوات ﴾ وقال جماعة كالنووي: إن موت الفجأة لا بأس به لمن كان مستعدا على حال حسنة، ويكون خلاف ذلك لمن لم يكن مستعدا منهمكا في الذنوب والمعاصي، ولهذا ثبت موت الفجأة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة ولم ينكره، وهذا ذكر البخاري رحمه الله قال: "باب موت الفجأة" وذكر عليه حديث تلك المرأة التي..، وجاء أنها أم سعد بن عبادة أنها افتلتت نفسها قال: وأظنها لو تكلمت تصدقت.

وبالجملة فإنه لا يحمد العبد إذا مات إلا إذا كان على طريقة حسنة، ومن جاءه موت الفجأة أو ما يسمى بالسكتة القلبية يسمونه الآن بالسكتة القلبية، هذا مثل ما تقدم لا فرق بين يعني لا فرق في الحال بما يتعلق بموت الفجأة وعدمه إذا كان الشخص مستعدا وإذا كان على حال حسنة، لكن لا شك أنه إذا حصل له شيء قبل ذلك وحصل سبق موته شيء ربما يكون خيرا له، لكن لا يلزم أن يكون ذا شرا له لأنه سبحانه وتعالى ربما رفع درجة العبد بأمور وأعمال أخرى، وربما وفقه قبل موته لعمل صالح، ولم يسبق موته أذى وشدة، لكن المؤمن ربما أصابته الشدة عند الموت ولهذا ثبت في حديث بريدة أنه عليه الصلاة والسلام قال:

إن المؤمن يموت بعرق الجبين رواه النسائي وغيره بإسناد جيد، المؤمن يموت بعرق الجبين، قيل: إنه يجد ويجتهد ويكدح، وقيل: إنه ربما يحصل له شدة عند الموت، كما قال النبي عليه الصلاة

والسلام: ﴿ إن للموت سكرات ﴾ إن للموت سكرات، وكان عنده رِكوة وهو إناء من جلد، أو رَكوة، وكان يأخذ منها ويمسح وجهه عليه الصلاة والسلام.

"وجميع سخطك" وهذا أيضا من أعظم الدعوات أن يستعيذ العبد من جميع سخطه سبحانه وتعالى، وأعظم سخطه أن يأتي العبد ما حرم الله، ولهذا جاء في بعض الألفاظ والأخبار أن رضاه سبحانه وتعالى يكون في بعض الأعمال الصالحة، كما في حديث عبد الله بن عمرو: ﴿ رضا الله في رضا الوالد، وسخطه في سخط الوالد ﴾ لكن على العبد أن يجتهد في إرضائه سبحانه وتعالى ولو أسخط الناس، المراد إذا كان السخط هذا ليس في معصية الله.

أما إذا كان في معصية الله كما في الحديث الذي جاء من طرق عن عائشة وغيرها أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ﴾ نعم.

اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ﴿ اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ﴾ رواه النسائي وصححه الحاكم.

الحديث لا بأس به: ﴿ اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ﴾ برواية حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبري بن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو، وكان النبي يتعوذ من هذه من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء.

ولا شك أن غلبة الدين تؤدي إلى أمور من الشدة على العبد، ربما يشغله هذا الدين، وربما يشغل نفسه في سداد الدين، وربما يجلب الدين عليه دينا آخر، لكن هذا فيما إذا غلبه ما تعوذ من الدين عليه الصلاة والسلام قال: غلبة الدين، ولهذا في اللفظ الآخر من حديث أنس في الصحيحين: ﴿ اللهم إني أعوذ بك من الهم والغم، والحزن والجبن والبخل والعجز والكسل وضلع الدين وقهر الرجال ﴾ ضلع الدين وهو شدته وغلبته. في حديث عائشة في الصحيحين ﴿ أنه عليه الصلاة والسلام كان يتعوذ بالله من المأثم والمغرم، قالت: قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تستعيذ من المأثم والمغرم، قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف ﴾ .

أما مجرد الدين فإن النبي استدان عليه الصلاة والسلام ومات ودرعه مرهونة، ثبت في الأحاديث الصحيحة، جاء من حديث أنس ومن حديث ابن عباس، ومن حديث عائشة، وجاء في أنه عليه الصلاة والسلام اشترى شيئا ولم ينقد ثمنه إلا بعد ذلك كما في قصة شرائه لجمل جابر رضي الله عنه وفي قصص أخرى أيضا وقع ذلك، أنه استدان بكرا ورد رباعيا عليه الصلاة والسلام، وجاء أنه استدان شيئا من تمر ورد ضعفه عند البزار وغيره، وجاء أيضا أنه استدان من ذلك الرجل اليهودي، الذي رواه ابن حبان بإسناد جيد: حتى جاءه وشدد عليه وقال: إنكم لمطل يا آل محمد.

ثم بعد ذلك آل به إلى الإسلام، آل به الأمر إلى أن أسلم وهو زيد بن ساعية، الذي شدد لأنه علم أنه لا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلما، قال: ولم يبق إلى آية وإني رأيت كل آية ولم يبق إلا هذه

.....

وأنه لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وكان النبي عليه الصلاة والسلام حلم عنه وأمر أن يعطى حقه، وأن يوفى.

المقصود أنه كان يستدين عليه الصلاة والسلام، وفي قصص كثيرة معروفة، وثبت أيضا من حديث عائشة وجاء من حديث ميمونة أنهما كانتا تستدينان وكانتا تقولان: إنا نرجو عون الله، وأنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ إن العبد إذا استدان فإن الله معه ﴾ أو إن عون الله معه، وإني أرجو عون الله ﷻ وقال النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه البخاري: ﴿ من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله ﴾ والمراد به المراد منه الدين الذي يغلب أو يكون شديدا أو يأخذه في غير حقه أو ينفقه في غير حقه، أو يأخذه عازما على عدم السداد، كل هذا لا يجوز أصلا وابتداء، ثم هو يئول إلى الشدة، بعد ذلك في أداءه.

ولهذا جاء في حديث بكرة عند أحمد بإسناد جيد، أنه عليه الصلاة والسلام، قال: أعوذ بالله من الكفر والفقر، الذي يئول به إلى...، الذي يكون سببه شدة الدين، الذي يكون في غير حاجة، أو استعاذ به منه أصلا من جهة أنه ربما آل به إلى أمور لا تحمد عقباها، وقيل: إن المراد بالفقر القلبي، وقيل: ما يكون حاملا على أمورٍ منكرة، ولهذا لو أن إنسانا تبرع بماله كله، وعنده يقين بالله ﷻ فإن هذه حال محمودة كما هي حال أبي بكر ﷺ أما زيادة: "أو يعدل الكفر بالفقر" فهي رواية ضعيفة من حديث أبي سعيد الخدري، عن الدراج عن أبي الأيهم عن أبي سعيد الخدري لكن الشأن أن الأخبار إذا جمعتها تبين لك أن ما استعاذ به عليه الصلاة والسلام هو حالٌ خاصة من الدين، لا الحال التي يكون العبد يستدين بها لأجل عفة نفسه ولأجل حاجته، أو يكون عنده ما يقضي مثلا، أو يكون من يستدين منه يصبر عليه.

ولهذا لو استدان في أمرٍ من أمور الدين، التي يحيي بها سنة من سنن النبي عليه الصلاة والسلام كان أمرا حسنا، لو استدان لأجل أن يضحي لا بأس، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: أرجو أن يخلف الله عليه. يحيي سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فيما إذا كان يستطيع السداد ولا يشق عليه ذلك، نعم.

الاسم الأعظم

وعن بريدة رضي الله عنه قال: ﴿ سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فقال: لقد سأل الله باسمه الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب ﴾ أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان.

—

حديث أبي هريرة هذا حديث صحيح، وهو من أصح الأخبار التي وردت في الاسم الأعظم، الاسم الأعظم ورد فيه أخبار كثيرة منها حديث بريدة هذا، وحديث أنس، وحديث أسماء بنت يزيد وأحاديث كثيرة، لكن أصحها هذا الخبر، وهو أنه مر النبي عليه الصلاة والسلام برجل جاء عند أحمد أنه أبو موسى الأشعري، وفيه أنه مر به وهو يقرأ القرآن وهو يصلي، قال: أتراه مرائيا؟ ثم قال: مر به وهو يقرأ، ثم قال: بل هو قانت. ثم مر به ليلة أخرى، وقال: أتراه مرائيا؟ قلت يا رسول الله أمراءٍ هو؟ قال: بل هو قانت قانت قانت، أو قال موقن عليه الصلاة والسلام، وكان يدعو بهذا الدعاء: ﴿ اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قال: لقد سأل الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ﴾ حديث أنس: ﴿ اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ﴾ في رواية: إني أسألك وفي معنى هذا الحديث وهذا الدعاء من أعظم الأدعية، ومشتمل على التوحيد والاعتراف به لله سبحانه وتعالى:

"اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" مشتمل على سورة قل هو الله أحد التي هي ثلث القرآن، مشتملة على أسمائه سبحانه وتعالى وعلى صفاته، وعلى توحيده، فلهذا كان من أعظم الأدعية ومن أعظم السؤال، ومن أعظم التوسل، ومن أعظم العبادة، أن يدعو بهذه الكلمات، وأن يسأل الله بهذه الكلمات.

ما توسل متوسل بأعظم من هذه، فهو داعٍ وسائل ومتعبد لله عز وجل وخاضع ومثن له سبحانه وتعالى على سبيل المطابقة، وهو منزه لله سبحانه وتعالى على سبيل اللزوم لأن الثناء على سبيل المطابقة

تنزيه على سبيل اللزوم، يلزم منه نفي النقص عنه سبحانه وتعالى، كما أن التنزيه على سبيل المطابقة، هو أيضا ثناء على سبيل اللزوم، فلا ينزه ولا يعني تذكر الصفات التي أو تنفى الصفات التي ليست وصفا له سبحانه وتعالى إلا لإثبات كمال ضده.

أما نفي محضٌ لا يثبت كمال ضده، أو لا يكون المقصود إثبات الكمال، هذا لا، ليس بثناء وليس بدعاء لله ﷻ ولهذا لا يقصد مجرد النفي المحض، ولهذا تراه في الكتاب العزيز وفي السنة النبوية عنه عليه الصلاة والسلام أنه يأتي مجملا إلا في بعض المواضع اليسيرة عند الحاجة إليه فلهذا كان هذا الدعاء من أعظم الأدعية، وفيه النص الصريح أنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى سبحانه وتعالى، نعم.

من أذكار الصباح والمساء

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أصبح يقول: ﴿ اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور وإذا أمسى قال مثل ذلك إلا أنه قال: وإليك المصير ﴾ أخرجه الأربعة.

—

هو حديث صحيح: ﴿ اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور. وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير ﴾ يعني النشور عند الصباح يعني الانتشار لأنه كالحياة بعد الموت، والمصير لأنه ينام والنوم موتة صغرى، النوم موتة صغرى، فالمصير إليه سبحانه وتعالى.

نعم، يعني إذا أصبح قال: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا يعني يبدأ بقوله بك أصبحنا إذا أصبح، وبك أمسينا إذا أمسى، وهنا يقول: إليك النشور لاختلاف البداية والنهاية، مع أنه جاء في بعضها عكس هذا، لكن هذا هو الصواب ما دلت عليه هذه الرواية: إليك النشور عند الصباح، وإليك المصير عند المساء.

والأحاديث في القول في الصباح والمساء كثيرة جدا تقدم معنا حديث أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ من قال: إذا أصبح وإذا أمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد ﴾ وفي الرواية الأخرى أيضا نبه على الرواية الأخرى أنه قلنا: إن هذا محتمل أنه يقوله: مائة مرة مفرقة أو يقوله مائتي مرة مائة مرة في الصباح ومائة مرة في المساء، لأن الرواية تحتمل.

لكن جاء في الرواية عند أبي داود كالنص، وأنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ من قال إذا أصبح سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، وإذا أمسى مثل ذلك ﴾ رواية أبي داود هذه مفسرة وموضحة ومبينة، وفيها فائدتان:

أولا: أنها صرحت بذكر مائة عند الصباح ومائة مرة عند المساء، سبحان الله العظيم وبحمده عند الصباح، وسبحان الله العظيم وبحمده عند المساء.

.....

الأمر الثاني: أن فيها زيادة العظيم، رواية مسلم: سبحان الله وبحمده، وهذه سبحان الله العظيم وبحمده، رواية البخاري ما فيها الصباح والمساء فيها: في يوم فيها: من قالها في يوم، ومثل الرواية هذه مفسرة، وجاء أحاديث كثيرة فيما يقول إذا أصبح وإذا أمسى على هذه الرواية في الصحيح.

تقدم معنا حديث شداد بن أوس أيضا: سيد الاستغفار ﴿ اللهم أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ﴾ هذا قد جاء أنه إذا قالها إذا أصبح وإذا أمسى فمات من يومه دخل الجنة، يعني في المساء، وكذلك إذا أصبح ومات من يومه دخل الجنة.

حديث ﴿ أمسينا وأمسى الملك لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ وإذا أصبح كذلك حديث ابن مسعود في صحيح مسلم، حديث عثمان رضي الله عنه ﴿ من قال إذا أصبح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض وهو السميع العليم، ثلاث مرات إذا أصبح وثلاث مرات إذا أمسى لم يضره شيء ﴾ وفي لفظ: ﴿ لم يصبه فجأة بلاء في ذلك اليوم ﴾ أحاديث كثيرة في هذا الباب.

ومنها أيضا قراءة المعوذتين ثلاث مرات صباحا ومساء جاءت نصا عند أهل السنن صباح ثلاثا ومساء ثلاثا فهي أحاديث كثيرة عنه –عليه الصلاة والسلام– نعم.

أكثر دعاء رسول الله ﷺ

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار ﴾ متفق عليه.

وهذا الحديث حديث عظيم: ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [1] **إلى أن قال:** ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [2] .

هذا فيه فضل هذا الذكر في هذا المقام، فضل الذكر في هذا المقام، وأن العبد يقول هذا الذكر ويلازمه، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كما في حديث أنس كان يكثر هذه الكلمة، وكان أنس رضي الله عنه إذا دعا لنفسه أو لإخوانه دعا لهم بهذه الكلمة، وإذا سألوه دعا لهم، وقال مرة تريدون أن أشقق لكم، يعني أنه دعا لهم بهذه الدعوة العظيمة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

آتنا في الدنيا، قيد: آتنا في الدنيا حسنة، حسنة الدنيا تشمل كل خير، من خيري الدين والدنيا، والآخرة حسناتها أعظمها رؤيته –سبحانه وتعالى– في الجنة في نعيم الجنة، ومن ذلك أن يحل رضوانه عليهم فلا يسخط أبدا سبحانه وتعالى.

- ١سورة البقرة آية : ١٩٨-١٩٩.

- ٢سورة البقرة آية : ٢٠١-٢٠٢.

.....

—

وفي حديث أنس في صحيح مسلم أن النبي –عليه الصلاة والسلام– عاد رجلا من الأنصار عاد كالفرخ من ضعفه كالفرخ، قال له النبي –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ أكنت تدعو بشيء ﴾ استنكر حاله، قال إني أقول: يا رب ما كنت معذبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، ما كنت معذبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا قال: سبحان الله إنك لا تطيق أو لا تستطيع، أولا قلت: أو فهلا قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قل هذا، لا يدعو العبد، العبد لا يطيق، ومن يطيق العذاب.

الله –سبحانه وتعالى– رحمته واسعة، ولهذا كان عبرة أن حصل له ما حصل حتى يكون عبرة هو يعتبر، وغيره يعتبر، لما رأى النبي –عليه الصلاة والسلام– حاله فأرشده إلى هذه الكلمة العظيمة.

وجاء في معناه أخبار أيضا حديث عبد الله بن السائب عند أبي داود أنه سمع النبي –عليه الصلاة والسلام– يدعو بين الركن والمقام، بين الحجر الأسود والمقام، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وهذا الدعاء يشرع أن يدعو به المسلم، يدعو به في صلاته، يدعو به في التشهد، يدعو به في كل مقام، والقاعدة أن الأدعية المطلقة التي لم تقيد يدعى بها في كل مقام، يدعا بها في كل مقام إلا في المواطن التي جاءت أذكار خاصة بها، نعم.

من أدعية النبي اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو: ﴿ اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهذلي وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم والمؤخر وأنت على كل شيء قدير ﴾ متفق عليه.

حديث أبي موسى حديث عظيم اعتراف، وفيه أن العبد لا بأس يفصل أحيانا ﴿ اللهم اغفر لي خطيئتي وعمدي وجهلي وإسرافي في أمري، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي جدي وهذلي وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ .

حديث ابن عباس وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، لا إله إلا أنت، وفي لفظ وفي زيادة: ولا حول ولا قوة إلا بالله، ذكرها البخاري، لكن تكلم فيها بعضهم، في حديث علي أيضا في صحيح مسلم أيضا في الدعاء قال في آخر وتره: ﴿ اللهم اغفري لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي جدي وهذلي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفري لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأنت على كل شيء قدير ﴾ .

وهذا لم يأت في الروايات تقييده، ما أتى في الروايات تقييده، بل جاء مطلقا لكن آخره جاء مقيدا أن النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يقوله في صلاة الليل، أن نفس الدعاء، الحديث طويل ﴿ اللهم أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، اللهم أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن،اللهم أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، اللهم لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن،

اللهم أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم اغفر لي

ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أسرفت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ﴾ .

هذا جاء أنه يقوله في صلاة الليل عند ابن خزيمة أنه كان يقوله –عليه الصلاة والسلام– بعد التكبير، كان يقوله بعد التكبير، وهذا يبين أن هذا من أدعية الاستفتاح، في حديث علي ﷺ في صحيح مسلم أنه كان يقول ما بين التشهد إلى التسليم: ﴿ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ﴾ هذا يدل على أنه من أدعية التشهد.

وفي عند ابن حبان أنه كان يقوله بعد التسليم إذا فرغ من صلاته وسلم، وهذا يبين أنه من الأدعية التي تقال بعد الصلاة، وهذا يبين عظمة الذكر، فهو دعاء استفتاح يقال في أول الصلاة، وهو ثناء ودعاء يقال في آخر الصلاة، وهو ذكر يقال بعد الفراغ من الصلاة، وهذا الصحيح أن نقول اختلفت الروايات وكلها صحيحة فنحمل كل مقام أنه كان يقوله فيه –عليه الصلاة والسلام– ولا تعارض في مثل هذا، لا تعارض في هذه الأقوال كان يقوله في هذا، وهذا، وهذا جار في الأدعية.

وكان –عليه الصلاة والسلام– يفصل في الأدعية أحيانا، مثل حينما قال: ﴿ اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وعن يمني نورا، وعن شمالي نورا، ومن أمامي نورا ومن خلفي نورا ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وأعظم لي نورا واجعل لي نورا ﴾ كان –عليه الصلاة والسلام– يقول هذه الأدعية وربما قالها في صلاة، وربما قالها إذا خرج إلى المسجد عليه الصلاة والسلام.

والعبد لا بأس أن يفصل أحيانا عند الحاجة، وإن كان يعجبه الكوامل والجوامع من الدعاء ويدعو بها، لكن إذا دعا أحيانا بهذه الكلمات التي فيها تفصيل كما نقل عنه في بعض الأحايين، وفي بعض الأحوال لا بأس بذلك كما في هذا الخبر، وما جاء في معناه نعم.

من أدعية النبي اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر أخرجه مسلم.

نعم وهذا الحديث حديث عظيم أيضا من الأدعية التي كان يقولها –عليه الصلاة والسلام– وأيضا مثل ما تقدم الأدعية المطلقة التي جاءت مطلقة تقال في كل وقت: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر، وهذا دعاء لا بأس أن يقوله العبد على أي حال مثل أن يقال ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وفيه دعاء فيما يغلب على ظني أنه ورد أيضا بهذا اللفظ أو قريب منه بعد الصلاة، من حديث صهيب أو قريب من هذا اللفظ عند النسائي أو عند ابن السني أو عندهما قريب من هذا اللفظ، وبالجملة فإن ثبت أو جاء معناه، فيكون من الأذكار أيضا التي تقال بعد الصلاة، لكن هو بهذا اللفظ مطلق يقال على كل حال، وفيه: والموت راحة لي من كل شر، فيه أن لا بأس أن يدعو الإنسان بأن يكون أن يسأل الله أن يريحه من الشر ولو بالموت وهذا محمول على الفتن في الدين.

ولذا اختلف العلماء هل يجوز سؤال الموت؟ الصحيح أنه لا يجوز سؤال الموت إلا عند لأجل فتنة في الدنيا، أما فتنة الدين فلا بأس كما سأل يوسف – عليه الصلاة والسلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [1] **مع أنه اختلف في قوله: توفني مسلما، هل هو سؤال الله أن يميته**

- ١سورة يوسف آية : ١٠١.

. . . . . .

حالا أو سؤال الله إذا أماته أن يميته على الإسلام؟ أو أنه سأل الله حال نزول الموت أن يثبته على الإسلام.

وبالجملة إن كان السؤال الموت لأجل فتنة في الدين فلا بأس به، ولهذا حديث معاذ عند أبي داود وغيره، أنه علمه قال: وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، وروى مسلم في صحيحه لما ذكر الفتن وشدتها وقال، والرجل يمر بالقبر، فيتمنى أن يكون به مكانه ليس به الدين إنما به البلاء، يعني ليس به تمني الموت من أجل الدين والفتنة في الدين، لا من أجل البلاء من أمور الدنيا، ويفهم منه أنه لو كان من أجل الدين فلا بأس به.

وقد سأل عمر ﷺ فيما ثبت عنه كما روى مالك في الموطأ وغيره، أنه قال: اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مفرط ولا مضيع، ثبت عن البخاري –رحمه الله– أيضا أنه لما حصلت له الأمور التي مع أبي خراسان في مسألة لفظ القرآن وما أشبه ذلك وحصل بعض الأمور وبعض الفتن في زمانه، سأل الله –سبحانه وتعالى– أن يقبضه، فلم يلبث إلا ليالي فمات رحمه الله.

وكذلك يروى عن بعض السلف أيضا أنهم فعلوا ذلك، وكذلك قول مريم عليها السلام: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] لأنهم حينما قذفوها واتهموها، وكان هذا من أعظم المصائب في الدين مثل ما تقدم، هذا وإن كان شرع من قبلنا فهو شرع من قبلنا إذا كان ساقه ذكره الشارع على سبيل المدح فهو شرع لنا عند الجمهور وخاصة بما جاء في الأدلة ما يؤيد هذا ويدل عليه.

ولهذا قال: والموت راحة لي من كل شر، والشرور المراد بها الشرور التي يحصل بها الفتنة، في الدين، وكذلك قوله والموت راحة لي من كل شر، هو في الحقيقة لم يسأل الله أن يقول ما قال: أمتني،

- ١سورة مريم آية : ٢٣.

.....

قال: واجعل الموت، وهذا فرق، فرق بين أن يسأل الله الموت، وبين أن يقول: اللهم اجعل الموت راحة لي من كل شر، بين أن يسأل الله أن يميته، وبين أن يكون راحة له من كل شر كما ورد في الخبر نعم.

من أدعية النبي اللهم انفعني بما علمتني

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ﴿ اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علما ينفعني ﴾ رواه النسائي والحاكم.

—

وللترمذي من حديث نحوه وقال في آخره: ﴿ وزدني علما والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار ﴾ وإسناده حسن.

هذا فيه نظر اللفظ الأول عند الحاكم وهو من طريق عبد الله بن وهب عن أسامة بن زيد الليثي، عن مكحول عن أنس، وهذا إسناد جيد، وأسامة بن زيد الليثي وإن كان فيه لين، وقد روى له مسلم –رحمه الله– من رواية ابن وهب ولهذا رواية ابن وهب عنه جيدة، رواية ابن وهب عن أسامة جيدة، ولهذا قال المصنف إسناده حسن، ولو أنه جعل قال إسناده حسن في الرواية الأولى لكان أحسن، لأن الرواية الثانية من طريق موسى بن عبيد الربضي وهو ضعيف، وهي من طريق أبي هريرة، وموسى بن عبيد ضعيف عن محمد بن ثابت أيضا وكذلك فيه ضعف، فلو أنه قال قوله إسناده حسن، جعله للرواية الأولى لكان أحسن.

وينظر أيضا هل رواه النسائي، الحديث اللفظ الأول عند الحاكم، وفيه الدعوات وسؤال الله العلم النافع هذا ما جاءت فيه الأخبار، وأن العلم هو العلم النافع، لأن العلم الذي لا ينفع هو علم اللسان، وهو حجة الله على خلقه، والعالم الحقيقي هو العالم بالله، العالم بأمر الله، هؤلاء هم العلماء الحقيقيون.

أما إذا كان عالما بأمر الله وليس عالما بالله فعلمه وبال عليه، وأعظم العلم هو علم القلب وهو العلم بالله عز وجل والعلم بأمر الله إن لم يكن دالا عليه –سبحانه وتعالى– وعلى العلم به وبما يستحقه –سبحانه وتعالى– فإنه وبال على صاحبه، والعلم بأمر الله كونه يعلم الأحكام لكنه فاجر، أو ربما يكون سببا في إضلال الخلق وما أشبه ذلك فهذا علمه وبال على صاحبه.

. . . . . .

—

والعلم الحقيقي هو العلم بأمر الله بما يستحقه –سبحانه وتعالى– وهذا هو الذي يقود إليه –سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ۝ ﴾ [1] يدل عليه –سبحانه وتعالى– ويوصل إليه على الصراط المستقيم، وهو معرفة ما يستحقه وهو خشية الله –سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [2] قال ابن مسعود أو غيره كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار به جهلا.

ولذا كان يقول –عليه الصلاة والسلام– كما في صحيح مسلم: قال ﷺ أعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع، أعوذ بالله من هؤلاء الأربع ﷺ وهو ذكر منها العلم الذي لا ينفع، ويكون مثل علماء بني إسرائيل الذين أوتوا علما لكنهم على ضلال، فعالمهم غوي مبين، وشر الناس منافق عليم اللسان، لسانه عليم ويتكلم بالظاهر بالحق، ويسمعه من يسمعه فيضل الناس بسبب ذلاقته وتفاصحه، وما يظهر، لكن الباطل لا يخفى على أهل البصيرة، لكنه قد يخفى على عامة الناس وقد يضلهم بذلك.

والعالم وصاحب الحق ومريد الحق ليس معنى ذلك أن كل من كان عنده علم أنه لا يخطئ، لا، ولهذا قال معاذ بن جبل رضي الله عنه إياك وزيغة الحكيم، قال: وكيف لي بها، قال تلقى الحق فإن على الحق نورا ويوشك أن يراجع، لكن وإياك والمشبهات التي يقال ما هذه تستنكرها القلوب وهي من حواز القلوب، ومن حزازات النفوس تستنكرها النفوس ولا تقبلها؟ تقول ما هذه، تقف وتكلم بها متكلم، وربما حصل فيها إضلال، فالنفوس تتوقف فيها لكن لما لبس فيها من ظاهر الحق، ومن الاستدلال الباطل يحصل الشبهة، ولهذا سماها المشبهات وأمر معاذا رضي الله عنه التوقف عندها والحذر منها، كما روى عنه أبو داود –رحمه الله– نعم.

- ١سورة هود آية : ٥٦.

- ٢سورة فاطر آية : ٢٨.

من الأدعية التي تقال كلما تيسر

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علمها هذا الدعاء: ﴿ اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا ﴾ أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم.

وهذا الحديث حديث صحيح وهو من الأدعية التي تقال كلما تيسر ويدعو بها المسلم في دعواته في صلاته في طريقه كغيرها من الأدعية: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، جميع الشر، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك، وأستعيذك من شر ما عاذك منه عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا.

هذا من أعظم الاستسلام مع العمل لقضاء الله سبحانه وتعالى، وبذل الأسباب الشرعية في طاعته -سبحانه وتعالى- والحذر من معصيته، ثم بعد ذلك سأل الله أن يجعل كل قضاء له خيرا، كما في حديث صهيب -رضي الله عنه: ﴿ عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له ﴾ وهذا في الأخبار كثيرة عنه عليه الصلاة والسلام.

.....

وجاء معنى حديث صهيب أيضا عند أحمد عن غير صهيب رضي الله عنه والمقصود أن هذا سؤال الله عز وجل وتوسل إليه -سبحانه وتعالى- ولهذا استعاذ سأل الله من الخير كله، وهذا من الجوامع مثل ما تقدم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، أسألك من الخير كله عاجله وآجله، يسأل الله الخير ويحب الخير لإخوانه ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﷺ عند النسائي بسند صحيح، حتى يحب لأخيه من الخير، فهو يحبه لنفسه بقلبه ويسأل الله بلسانه فيواطؤ اللسان القلب، القلب يحب الخير، وأعظم الخير هو الخير الذي يدل على الله والدار الآخرة، لأن به هو الذي تحصل البركة في الخير الذي يأتيه من الدنيا، فيسأل الله الخير كله عاجله وآجله، ويعوذ به من الشر كله عاجله وآجله.

ثم أتى بكلمة عظيمة: "أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذك منه عبدك ونبيك" النبي -عليه الصلاة والسلام- استعاذه وسأله، سأله أشياء عظيمة، وهذا من أعظم الأدعية، ومن أجمعها حينما تقول، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك وعبدك، النبي -عليه الصلاة والسلام- سأل دعا الله دعوات وسأله دعوات كثيرة كثيرة، ربما، كثيرة لا نعلمها أو لا نحفظها، أو لا نستحضرها فهذه أدعية كثيرة، وربما يضعف عنها المكلفون، فإذا جاء بهذه الجملة، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك.

وأستعيذك من شر ما عاذك منه عبدك ونبيك، يرجى أن يشمله الخير الذي سأله النبي -عليه الصلاة والسلام- ربه، وأن يعيذه الله من الشر الذي استعاذ منه النبي -عليه الصلاة والسلام- اللهم إني ثم بعد ذلك سأله خصوصا بعد عموم، جاء بكلمة عامة الخير كله.

ثم جاء بسؤال أخص وهو ما سأل وما عاذ به النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم بعد ذلك سأل أمرا أخص لأن الجنة سألها النبي -عليه الصلاة والسلام- ربه، وهي داخلة في سؤاله، لكن خص، فأنت سألت الله الجنة ثلاث مرات، في المرة الأولى حينما قلت أسألك من الخير كله، وهذا يدخل فيه الجنة وهو أعظم الخير.

ثم سألته الجنة حينما قلت: أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك، لأنه من أعظم ما سأل النبي ربه، ثم سألت ربك على سبيل التنصيص، أسألك الجنة، كررت الدعاء، وفي هذا تكرير المسألة

. . . . . .

ثلاثا بسؤال الجنة، ومن سأل الله الجنة ثلاثا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استعاذ بالله من النار ثلاثا قالت النار: اللهم أعذه من النار نعم.

فضل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ .

—

وهذا الحديث ختم المصنف –رحمه الله– كتابه، كما ختم البخاري –رحمه الله– صحيحه بهذا الحديث ﴿ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ تقدم الكلام على هذه الكلمة، وما تشتمل عليه سبحان الله وبحمده، ثم قال: سبحان الله العظيم، وكلها تنزيه، وفي ضمنها التعظيم له سبحانه وتعالى.

وهذه الكلمات جاء فضلها في مواطن كثيرة بعد الصلاة، وجاءت أيضا في التسبيح تسبيحه –سبحانه وتعالى– في الركوع سبحان الله العظيم، أو سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، فهاتان الكلمتان خفيفتان على اللسان، وهكذا الذكر كله خفيف على اللسان، وهاتان الكلمتان من أخف الكلام على اللسان، لكنهما ثقيلتان في الميزان.

وفي هذا إثبات الميزان وأنه ميزان الحق كما هو قول أهل السنة قاطبة رحمة الله عليهم، توزن يوزن به أعمال العباد أو يوزن به العباد على خلاف، المقصود أنه ميزان حق يوضع، وهاتان الكلمتان كما أخبر النبي –عليه الصلاة والسلام– حبيبتان إلى الرحمن، اشتملت على هذه الفضائل أن الله –سبحانه وتعالى– يحبها إثبات المحبة لله –سبحانه وتعالى– وأنه يحب بعض الأعيان –سبحانه وتعالى– على الوجه اللائق به –سبحانه وتعالى– كما يحبهم ويحبونه، وكذلك يحب بعض، وهناك بعض الكلمات تكون أحب إليه وهذا يبين أن بعض كلامه أحب كما أن بعض كلامه أعظم.

ولهذا في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ﴿ أي آية في كتاب الله عندك أعظم، قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: ليهنك العلم أبا المنذر ﴾ وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن فهذا فيه تفاضل أن كلامه يتفاضل –سبحانه وتعالى– وفيه أن بعض الذكر أحب إليه –سبحانه وتعالى– ومثل ما تقدم

. . . . . .

—

حديث سمرة: ﴿ أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ هي دخلت في حديث سمرة المتقدم، ودخلت مع سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم في هذا الحديث.

فأسأله –سبحانه وتعالى– أن يجعلني وإياكم من الشاكرين الذاكرين، وأن يعينني وإياكم على شكره –سبحانه وتعالى– وكثرة ذكره، وأن يتقبل مني ومنكم وإن يعينني وإياكم على كل خير وأن يعيذني وإياكم من كل شر أسأله –سبحانه وتعالى– من الخير كله لي ولكم ولإخواني السامعين الحاضرين، ولعموم المسلمين من كل خير، أسأله من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بالله من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

ونسأله –سبحانه وتعالى– من خير ما سأله منه عبده ونبيه محمد ﷺ ونعوذه من شر ما استعاذه منه عبدك ونبيك محمد ﷺ اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

ونسألك –سبحانه وتعالى– أن تجعل كل قضاء قضيته لنا أن يكون خيرا بمنك وكرمك آمين نسأله –سبحانه وتعالى– ذلك، وكما نسأله –سبحانه وتعالى– أن يرزقني وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يبلغنا وإياكم المرام في ختام بلوغ المرام بمنه وكرمه آمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

أحسن الله إليكم وبارك في علمكم يقول هذا السائل هل ورد أن موت الفجأة من علامات الساعة؟

من علامات الساعة الله أعلم، الله أعلم، لكن ورد في حديث عبس الغفاري رواه أحمد –رحمه الله– أنه سأل الله الموت، فقال له عليب الكندي: أتسأل الله الموت؟ قال: إن النبي قال: بادروا بالساعة ستا، ثم ذكر منها ذكر هذه الأشياء، وذكر طلب الموت مع ذكر علامات الساعة.

وثبت أيضا هذا المعنى في حديث عوف بن مالك، في مسند أحمد وأنه قال كما قال عبس الغفاري قال عبس وعابس كما قال لعليب الكندي عند أحمد –رحمه الله– لكن ورد في الحديث

حديث سحار عند أحمد، سحار العبدي أظن أنه لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل، حتى يخسف بقبائل، أنا ما أذكر

. . . . . .

سنده الآن لكن ذكر الحافظ –رحمه الله– في آخر في كتاب الفتن، وأظنه سكت عليه –رحمه الله– فيه أنه ذكر أنه يخسف بقبائل وأن هذا يعني قريب من قيام الساعة، قريب من قيام الساعة.

والحديث في صحيح مسلم، أنه تأتي ريح فتقبض نفس كل مؤمن ومؤمنة فلا يبقى إلا شرار الخلق، فعليهم تقوم الساعة، يؤخذ من هذا والله أعلم هذا المعنى من هذا.

ويسأل أحسن الله إليكم هذا السائل يقول: هل ورد أن اسم الله الأعظم هو الحي القيوم؟

هذا ورد في حديث أسماء بنت يزيد عند أحمد وعند أبي داود وفي سنده بعض الضعف، وأصح الأخبار مثل ما جاء أنه جاء في فاتحة آل عمران، وكذلك في الآية هذه، وجاء في بعض الروايات آيات أخرى، لكن الأثبت مثل ما تقدم حديث بريدة وحديث أنس، ومنهم من يقول إنها متفقة الأخبار لأن المعنى دلت عليه الأحاديث، ودلت عليه الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [1] لأن المقصود هو سؤاله –سبحانه وتعالى– بالتوحيد.

وهذا فيه سؤال الله بالتوحيد اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، كذلك تلك الآية كلها توحيد، مشتملة على جمل نحو عشر جمل أو أكثر وكلها توحيد من أولها إلى آخرها الله لا إله إلا هو الحي القيوم نعم.

يسأل أحسن الله إليكم يقول ما ورد أن أذكار المساء هل تقال بعد العصر أو بعد المغرب؟

المعروف من كلام أهل العلم أن أذكار المساء تقال بعد الزوال، وأذكار الصباح تقال بعد طلوع الفجر، لكن لو أنه أخرها بعد العصر أو بعد المغرب فلا بأس، فلا بأس في بعضها صباح كل يوم مساء كل ليلة، كما في الأخبار اللي سبقت معنا، قد يقال مساء كل ليلة قيد المساء بالليلة وأنه يؤخر الذكر حتى يدخل الليل، لأنه لم يطلق المساء، لأن المساء إذا أطلق، مثل قول الرجل رميت بعدما أمسيت. في حديث ابن عباس في صحيح البخاري: قال ارم ولا حرج والمراد به يعني بعد الزوال، رميت بعدما أمسيت، لكن هذا مساء كل ليلة قيد المساء بالليل، لأن المساء إما أن يكون في النهار أو أن يكون في الليل، لأنه من زوال الشمس إلى نصف الليل مساء.

- ١سورة البقرة آية : ٢٥٥.

.....

—

واختلف هل يمتد إلى طلوع الفجر، أو ينتهي إلى نصف الليل، والأظهر والله أعلم أنه ينتهي، أنه بنصف الليل هذا الأقرب اللي يتبين لي والله أعلم إنه ينتهي بنصف الليل، لأن نصف الليل الثاني، ليس من وقت العشاء لأن وقت العشاء ينتهي بنصف الليل، وبعد النصف الثاني، وإن كان وقت ضرورة لكنه أقرب ما يكون بالفجر، وطلوع الفجر.

وبعد نصف الليل تكون الأمور متعلقة بآخر الليل من نزوله –سبحانه وتعالى– ومن الأمور المتعلقة مثلا بالصيام من سحور ونحوه، فلهذا يكون إلى نصف الليل، ووقت العشاء كما في حديث عبد الله بن عمرو وغيره حديث أبي هريرة إلى نصف الليل أو نصف الليل الأوسط كما في اللفظ، نصف الليل الأوسط كما يبين نصف الليل الأوسط قيده بالأوسط يبين يختلف الأوسط من الصيف إلى الشتاء فوسطه في الصيف غير وسطه في الشتاء، نعم.

يسأل أحسن الله إليكم يقول: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دعائه الذهاب إلى المسجد: أعظم لي نورا وعظم لي نورا واجعل لي نورا واجعلني نورا؟

اللي يظهر والله أعلم أنه سأل الله أن يشمله بالنور؛ لأن النور مطلوب، والنور نور حسي، ونور معنوي، في الحديث عند أهل السنن حديث بريدة وغيره ﷺ بشر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة ﷺ فسأل الله –سبحانه وتعالى– لما سار إلى المسجد قد يكون مناسبا لكونه يمشي في ظلمة، ظلمة الليل، وسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعل له نورا حسيا يوم القيامة، وهو النور العظيم الذي يكون لأهل الإيمان وبسبب الأنوار التي شمله –سبحانه وتعالى– ومن كان على نور فهو على نور من ربه، نور على نور، نور القرآن ونور السنة، فهو على نور، بمعنى أنه يمشي على هدى وهذا نور.

ولهذا كما تقدم معنا في حديث ابن عمر أنه استعاذ بالله، استعاذ بالله من أمامه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه، واستعاذ بالله أن يغتال من تحته، استعاذ الله ﷻ من جميع الجهات كذلك سأل الله من جميع الجهات: اللهم اجعل لي نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، ومن أمامي نورا، ومن خلفي نورا، ومن تحتي نورا ومن فوقي نورا، سأل

الله النور في جميع الجهات في جسمه، ثم سأل النور في داخله، كما أنه استعاذ بالله –سبحانه وتعالى– من

. . . . . .

الشرور في الجهات الست، فهذا من أعظم الصيانة والحفظ في سؤال الله –سبحانه وتعالى– وطلبه. نعم.

يسأل أحسن الله إليكم يقول إذا كان توجهي إلى علم الفقه فماذا إذا كان يعني ميله إلى علم الفقه فماذا يحتاج من علم الحديث؟

لا شك طالب العلم ما يستغني عن هذا وهذا، ولا بد أن يكون لديه اجتهاد في طلب دراسة كتب العلم في كتب الفقه، وكتب الحديث، فيجتهد وهذا محل بحث ولا يمكن يعني تفصيله في مثل هذا الدرس مسألة ما يطلب وما..، لكن يأخذ متنا مختصرا في الفقه، ومتنا من متون الحديث إما عمدة الأحكام أو بلوغ المرام ويدرسه، يدرس بلوغ المرام ويعتني بشرح سبل السلام وبعض الشروح الموجودة، يعتني بشرح سبل السلام يقرأه أقل ما يقرأ ثلاث مرات، يقرأ قراءة متأنية ثم يتابع تخريجه وينظر في طرقه ثم يطالع مسائله في كتب الفقه.

فإن كان سبق له مثلا معرفة قبل ذلك فلا بأس أن يطالع المطولات، ومن أنفع الكتب في معرفة الخلاف والترجيح الشرح الكبير لابن أبي عمر المقدسي –رحمه الله– في شرح المقنع، هذا من أنفع الكتب، وإن كان مأخوذا من المغني لكن رتب المغني ترتيبا عظيما، وهو من أحسنها عبارة، ومن أسلسها ويسوق الأدلة –رحمه الله– ويذكر المأخذ وخاصة إذا أضاف إليه الإنصاف، إذا أضاف الإنصاف إلى الشرح الكبير في الغالب أنه يندر حاجته إلى كتاب آخر، يحتاج لا بد له من بحث لكن غالب المسائل يستوفيها صاحب الشرح.

ثم يأتيك الإنصاف يذكر لك الاختيارات التي تبنى على الأدلة، يذكر اختيارات تقي الدين، والمجد وابن أبي موسى، وابن حمدان، وابن عقيل، وابن رجب، وأمثالهم من الكبار الذين يختارون الوجوه الراجحة في الدليل، وقد تكون مروية في المذهب، وكثيرٌ من الأوجه التي يذكرها صاحب الإنصاف –رحمه الله– توافق الدليل غالبا كثيرا ما يكون الوجه الذي يخالف فيه الإمام الكبير مذهبه في الغالب أنه يكون هو الأرجح؛ لأن ما خالف لأن الوجه هو القول الذي يختاره الإمام الكبير في المذهب إذا قال وجهه في المذهب اختاره.

ولهذا اختلفوا قالوا: إنه من أصحاب الوجوه يعني الذين له اختيار، وله رواية، واختلفوا في بعض ما لهم من أهل الوجوه الذين يختار ويقول: إنه وجه في المذهب، فمنهم متفق عليه مثل ابن قدامة –رحمه الله– والمجد، وابن عقيل وأمثالهم، ومنهم من هو مختلف فيه من المتأخرين، لكن على كل حال إذا اختار هذا من المتأخرين، فلا يكون اختياره مخالفا للمذهب إلا ما هو راجح من جهة الدليل، فإذا أضاف الإنصاف إلى الشرح الكبير.

ثم بعد ذلك إذا علت همته وسمت ونظر مثلا في الكتب الأخرى مثل التمهيد مثلا لابن عبد البر، أو المنتقى للباجي، ومن أنفع الشروح ومن أحسنها وأنفعها فائدة كتاب المنتقى للباجي شرح الموطأ هذا كتاب عظيم فيه من الاستنباطات والفوائد الشيء الكثير وفي كتب المالكية، مع كتاب التمهيد لابن عبد البر –رحمه الله– نعم.

يسأل أحسن الله إليكم يقول: هل تجوز هذه العبارة، وهي أحسن الله عاقبتنا بمحمد وآله؟

ما أدري أيش المراد بهذا، أجول ما أدري هو ورد من حديث بسر بن أرطأة عند أحمد: اللهم أجرنا من خزي الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها بلا تقييد، اللي ورد عند أحمد وغيره في بسر بن أرطاة، اختلف في صحبة بسر هذا، منهم من أنكرها، لكن على كل حال الخبر في هذا أقوى من جهة أنهم ذكروه، وذكر طلب حسن العاقبة في الأمور كلها، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا والآخرة.

إنما إذا ذكر محمدا –عليه الصلاة والسلام– يسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يعظم أجره في المصيبة، يعني إذا أصيب في أحد يعني:

إذا ذكرت محمدا ومصابه فاذكر مصابك بالنبي محمد

إذا ذكرت مصابا لك في قريب فأعظم مصاب في مصابك بمحمد عليه الصلاة والسلام.

وردت أسئلة أحسن الله إليكم عن نصيحة في آخر هذه الدورة في استغلال الإجازة الصيفية وغيرها؟

وصيتي لنفسي أولا ولإخواني: هو الاجتهاد في استغلال هذه الأيام في مجالس العلم خاصة أنه ولله الحمد تكثر دروس العلم وحلق العلم والدورات العلمية في هذه البلاد في كثير من المساجد في غالب

.....

—

الأوقات وهي متوفرة يقوم بها أهل العلم يشرحون فيها المتون، فأوصي نفسي وإخواني بالاجتهاد فيها وحضورها والعناية بالاجتهاد قبل ذلك بالتحضير قبلها والمراجعة، فأسأله –سبحانه وتعالى– أن يرزقني وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح بمنه وكرمه آمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.